مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تُعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد الخامس السنة الثالثة محرم ١٤٤٠هـ الموافق أكتوبر ٢٠١٨

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]



موضوعات العدد:

مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العَدَدُ الخَامِسُ، مُحَرَّمُ ١٤٤٠هـ أكتُوبَرُ ٢٠١٨م



مجلة تدبر

٣٥٢ ص، ١٧× ٢٤ سم

رقم الإيداع: ٥٨٨٣/ ١٤٣٨

بتاريخ: ٢٤/ ٦/ ١٤٣٨

ردمد: ٧٦٤٢- ١٦٥٨

مجلة تدبر

سعر المجلة (٢٥) ريالًا سعوديًا أو ما يعادلها

المجلة مصرحة من وزارة الإعلام

بالمملكة العربية السعودية برقم ٣٧٥

للمراسلات والاشتراكات

جميع المراسلات وطلبات الاشتراك باسم:

رئيس التحرير

Info@tadabburmag.sa

+966503072333

@tadabburmag

http://www.tadabburmag.sa

المواد العلمية المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها

إخراج فني: همت العزب

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة تدبر

مجلة تدبر

دورية علمية محكَّمة، تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات العلمية المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة.

- **المرجعية:** مصرحة من وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية.

الرؤية:

أن تكون المجلة خيار الباحثين الأول لنشر بحوثهم في تدبر القرآن الكريم.

الرسالة:

أن تكون وعاءً علميًّا محكَّمًا للباحثين لنشر أعمالهم العلمية في تدبر القرآن الكريم وما اتصل به وفق معايير مهنية عالمية للنشر.

الأهداف:

- **تشجيع** البحث العلمي المتصل بتدبر القرآن الكريم.
- **نشر** البحوث العلمية والدراسات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.
- **تحقيق التواصل العلمي** بين المعنيين بالدراسات القرآنية من خلال تبادل الخبرات.
- **فتح آفاق جديدة** للبحث العلمي المتخصص في مجالات تدبر القرآن.

مجالات النشر في المجلة

أولًا: البحوث والدراسات في مجالات تدبر القرآن الكريم:

١. التأصيل العلمي في تدبر القرآن الكريم.

٢. تعليم تدبر القرآن الكريم.

٣. الاستنباط من القرآن الكريم.

٤. المقاصد القرآنية.

٥. الإعجاز القرآني.

٦. البلاغة القرآنية.

٧. الموضوعات القرآنية.

ثانيًا: تقارير الملتقيات والمؤتمرات العلمية المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

ثالثًا: مستخلصات المشاريع والرسائل العلمية المتميزة في المجالات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

رابعًا: ما تطرحه هيئة التحرير من قضايا تستكتب فيها المتخصصين في المجالات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

قواعد وشروط النشر

❁ أولًا: طبيعة المواد المنشورة:

تهدف المجلة إلى إتاحة الفرصة للباحثين في جميع بلدان العالم لنشر إنتاجهم العلمي في مجال تدبر القرآن الكريم، الذي تتوافر فيه الأصالة والجدة، وأخلاقيات البحث العلمي، والمنهجية العلمية.

وتقوم المجلة بنشر المواد التي لم يسبق نشرها باللغة العربية، وتقبل المواد في أي الفئات التالية:

❁ البحوث الأصيلة.

❁ المراجعات العلمية.

❁ مستخلصات المشاريع والرسائل العلمية المتميزة.

❁ تقارير الملتقيات والمؤتمرات العلمية.

❁ ثانيًا: إرشادات للباحثين لتقديم بحوثهم:

١. لا يتجاوز عدد صفحات البحث (٥٠) صفحة مقاس (A4) متضمنة الملخصين العربي والإنجليزي، والمراجع، ولا يقل عن (٢٥) صفحة.

٢. هوامش الصفحة تكون (٢ سم) من: أعلى، وأسفل، ويمين، ويسار، ويكون تباعد الأسطر مفردًا.

٣. يستخدم خط (traditional arabic) للغة العربية بحجم (١٦)، وبحجم (١٢) للحاشية والمستخلص، وبحجم (١١) للجداول والأشكال.

٤. يستخدم خط (Times New Roman) للغة الإنجليزية بحجم (١٢)، وبحجم (١٠) للحاشية والمستخلص والجداول والأشكال.

٥. تكتب الآيات القرآنية وفق المصحف الإلكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بحجم (١٤) بلون عادي (غير مسوَّد).

٦. توضع حواشي كل صفحة أسفلها على حدة، ويكون ترقيم حواشي كل صفحة مستقلًا، وتضبط الحواشي آليًّا لا يدويًّا.

٧. تكتب بيانات البحث باللغتين العربية والإنجليزية، وتحتوي على: (عنوان البحث، اسم الباحث والتعريف به، بيانات التواصل معه، عناوين رسائله العلمية).

٨. لا يتجاوز عدد كلمات المستخلص (٢٥٠) كلمة، ويتضمن العناصر التالية: (موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه، وأهم النتائج، وأهم التوصيات) مع العناية بتحريرها بشكل دقيق.

٩. يُتبع كل مستخلص (عربي/ إنجليزي) بالكلمات الدالة (المفتاحية) المعبرة بدقة عن موضوع البحث، والقضايا الرئيسة التي تناولها، بحيث لا يتجاوز عددها (٦) كلمات.

١٠. سلامة البحث من الأخطاء اللغوية والنحوية.

عناصر البحث

يُنظِّمُ الباحثُ بحثَه وفقَ مُقتضَيات (مَنهجِ البحثِ العِلميّ) كالتَّالي:

١- كتابة مقدمة تحتوي على: (موضوع البحث، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته، وخطة البحث).

٢- تبيين الدراسات السابقة - إن وجدت - وإضافته العلمية عليها.

٣- تقسيم البحث إلى أقسام (مباحث) وفق (خطة البحث)، بحيث تكون مترابطة.

٤- عرض فكرة محددة في كل قسم (مبحث) تكون جزءًا من الفكرة المركزية للبحث.

٥- يكتب البحث بصياغة علمية متقنة، خالية من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع الدقة في التوثيق.

٦- كتابة خاتمة بخلاصة شاملة للبحث تتضمن أهم (النتائج) و(التوصيات).

٧- كتابة الحاشية السفلية يكون بذكر (عنوان الكتاب، واسم المؤلف، والجزء/ الصفحة) حسب المنهج العلمي المعمول به في توثيق الدراسات الشرعية واللغة العربية.

مثال: لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٢٣٣).

أما الآية القرآنية: فيشار إليها في المتن فقط باسم السورة يتبعه نقطتان: ثم رقم الآية [النساء: ٥٥].

۞ يُوَثِّقُ البَاحِثُ المَرَاجِعَ في نِهايَةِ البَحْثِ حَسَبَ النِّظَامِ التَّالي:

١ - إذا كان المرجع (كتابًا): («عنوان الكتاب». فالاسم الأخير للمؤلف (اسم الشهرة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى، فاسم المحقق - إن وجد-، فبيان الطبعة، فمدينة النشر، فاسم الناشر، فسنة النشر).

مثال: «الجامع الصحيح». الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرين. ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٤م.

٢- إذا كان المرجع (رسالة علمية لم تطبع): («عنوان الرسالة». فالاسم الأخير للباحث (اسم العائلة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى. فنوع الرسالة (ماجستير / دكتوراه)، فالمكان: فاسم الكلية، فاسم الجامعة، فالسنة).

مثال: «يعقوب بن شيبة السدوسي: آثاره ومنهجه في الجرح والتعديل». المطيري، علي بن عبد الله. رسالة ماجستير، السعودية: كلية التربية، جامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ.

٣- إذا كان المرجع (مقالًا من دورية): («عنوان المقال»، فالاسم الأخير للمؤلف (اسم العائلة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى، فاسم الدورية، فالمكان، فرقم المجلد (رقم العدد)، فسنة النشر، فالصفحة من ص... - إلى ص...).

مثال: «الإمام عفان بن مسلم الصفار ومنهجه في التلقي والأداء والنقد». المطيري، علي بن عبد الله. مجلة جامعة القصيم: العلوم الشرعية، القصيم. م(٣)، (١)، ١٤٣١هـ، ٣٥ - ٨٥.

٤- هذا بالإضافة إلى ذكر بعض الاختصارات إن لم يوجد لها أي بيان في بيانات المرجع، وهي كالتالي:

بدون اسم الناشر: (د. ن).

بدون رقم الطبعة: (د. ط).

بدون تاريخ النشر: (د. ت).

مسار البحث المقدم للمجلة

❁ **إرسال البحث لموقع أو بريد المجلة** يُعد تعهدًا من الباحث بأن البحث لم يسبق نشره، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في جهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه في المجلة.

❁ **لهيئة تحرير المجلة** حق الفحص الأولي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو رفضه.

❁ **يطلع الباحث على خلاصة تقارير المُحكّمين** ليعدل بحثه وفقها، ويبين رأيه فيما لا يؤخذ به من أقوالهم، وتحسم الهيئة الخلاف بينهما.

❁ **في حال (قبول البحث للنشر)** يتم إرسال رسالة للباحث بـ(قبول البحث للنشر)، وعند رفض البحث للنشر يتم إرسال رسالة (اعتذار) للباحث.

❁ **للباحث بعد نشر عمله في المجلة** أن ينشره مرة أخرى بعد مضي ستة أشهر من صدورها، على أن يشير إلى نشره في المجلة.

❁ **إرسال البحث عبر الموقع أو البريد الإلكتروني للمجلة** يُعد قبولًا من الباحث بـ(شروط النشر في المجلة)، ولهيئة التحرير الحق في تحديد أولويات نشر البحوث.

❁ **الآراء الواردة في البحوث المنشورة** تعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

❁ **نظام التوثيق المعتمد في المجلة** بالنسبة للمراجع الأجنبية هو نظام (جامعة شيكاغو).

❁ **في حال (نشر البحث)** يمنح الباحث خمس نسخ من عدد المجلة التي تم نشر بحثه فيها.

المواد العلمية المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها

المحتويات

الموضـــــوع	الصفحة

مجلة تدبر



افتتاحية العدد

مجلة تدبر

كلمة رئيس التحرير

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن خير ما تُقضَى فيه الأوقات، وأفضل ما تُفنَى فيه الأعمار، وأحسن ما تَنصَب فيه الأنفس، وأعظم ما تَلهج به الألسنة -تعلُّمًا وتعليمًا، وتلاوةً وتفسيرًا، وتدبُّرًا وتطبيقًا- هو كلام الله تعالى؛ فهو مصدر هداية البشرية، ومنهاج سعادتها، ومناط عزتها، الذي إن عملت به خرجت من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

ولذلك كانت حاجة الأمة إلى تدبُّر كلام الله ﷻ، والتأثر به، وفهمه، وضبط معانيه، والعمل بحدوده، أعظم من حاجتها إلى الماء والشراب؛ لأنه هو الذي يهدي إلى الصراط المستقيم، والمنهاج القويم، والحياة الحقيقية.

وقد شَحَذَ علماء المسلمين الهمم في بيانه، وتنوعت مؤلفاتهم تجاهه؛ فمنهم من ألَّف في أسباب نزوله، ومنهم من ألَّف في ناسخه ومنسوخه، ومنهم من ألَّف في معاني ألفاظه، أو في إعراب تراكيبه، أو في أساليب نَظْمه، إلى غير ذلك من العلوم المتعلقة به.

ولمَّا مَنّ الله تعالى ووفّق لإصدار مجلة تدبر، كان من هَمِّ القائمين عليها أن تكون قامة علمية متخصصة، وأن يتحقق بها ما يُرتَجى من الفائدة العلمية والعملية، وأن يعُمَّ نفعُها أفرادَ الأمة بإذن الله ﷻ؛ فواصلوا من أجل ذلك الجهود لتوجيه ما يَرِدُها من الأبحاث العلمية، والارتقاء بها إلى الأفضل.

ورغم تخصص المجلة الدقيق، ووفرة المجلات العلمية المحكّمة؛ إلاَّ أنها -بفضل الله- دخلت عامها الثالث وهي تشقُّ طريقها وتحقق أهدافها، وتَلْقى القبول من الباحثين والأساتذة الفضلاء.

وها نحن نقدم العدد الخامس مُزدانًا بالبحوث العلمية المحكمة، مع ما صاحبها من تقارير عن الرسائل والبرامج والمؤتمرات العلمية، التي تخدم تخصص المجلة، وذلك بُغية **تشجيع الباحثين للكتابة في تدبر القرآن الكريم بمختلف مجالاته، ودراسة مناهج تناوله المتداولة اليوم، مع الدراسات الميدانية والتطبيقية المتعلقة بذلك للوصول لهدايات الكتاب القيّم.**

ونحمد الله أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، على ما أنعم به وتفضَّل من التوفيق لإتمام هذه الأعداد، ونسأله ﷻ أن يجعل ذلك خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وبصفتي **رئيس التحرير** أتقدَّم بالشكر الجزيل لأعضاء **الهيئة الاستشارية** المباركة الذين شاركونا الهَمَّ، ولأعضاء **هيئة التحرير** المباركين؛ الذين لم يدَّخروا جهدهم وأوقاتهم؛ فاجتهدوا في قراءة الأبحاث وتقارير المحكمين وجوابات الباحثين، وأعطوا آراءهم بكل موضوعية، ولم يتوانَوا في ذلك، فشكرًا لهم على جهودهم وتعاونهم واحتسابهم؛ اللهم أجزل لهم المثوبة والأجر وتقبل منهم وبارك لهم. وشكر **لأمين تحرير المجلة** على ما يبذله من جهود مباركة لإنجاز الأعمال على أحسن حال، أجزل الله له العطاء وجزاه خير الجزاء.

ومن الله نستمد العون، ونسأله التوفيق والسداد في القول والعمل، إنه على كل شيء قدير.

رئيس هيئة التحرير

أ.د. مُحَمَّد بن عَبْدِ العَزِيز العَوَاجِي

مجلة تدبر

مجلة تدبر



أولًا: البُحُوث

مجلة تدبر

مجلة تدبر



البحث الأول

اللطائف المستنبطة من قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ دراسة بيانية

أ.د. أحمد معاذ علوان حقي العلواني

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة، جامعة الزهراء في غازي عنتاب – تركيا.

❁ حصل على درجة الدكتوراة من كلية أصول الدين- قسم العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بأطروحته: (بيان تلبيس الجهمة في تأسيس بِدَعهم الكلامية.. دراسة مصادر الكتاب، وتحقيق الجزء الثالث).

❁ حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين- قسم العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بأطروحته: (نظرية الواجب الأخلاقي عند كانط.. دراسة ونقد).

النتاج العلمي:

❁ العقيدة الإسلامية.. الإلهيات والنبوات- منهج الراسخين في تدبّر وحي رب العالمين- أثر الإيمان في بناء الحضارة الإنسانيّة- الأربعون حديثًا في الأخلاق مع شرحها- فضائل العبادة- الفضيل بن عياض العالم القدرة- الثقافة الإسلامية.. مفهومها ومصدرها ومجالاتها.

❁ البريد الإلكتروني: Hakkia1958@gmail.com

أ. عائشة أحمد معاذ علوان حقي العلواني

طالبة في مرحلة الدكتوراة تخصص التفسير - جامعة الشارقة.

❁ حاصلة على الماجستير -تخصص التفسير وعلوم القرآن- جامعة الشارقة بأطروحتها: (تفسير النقاش: سورة لقمان والسجدة والأحزاب- دراسة وتحقيق).

❁ البريد الإلكتروني: aychaakı@gmail.com

مستخلص البحث

هذا البحث يفسّـر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾، وقد قسم الباحث البحث إلى مقدّمة وتمهيد، وستة مباحث:

المقدّمة: ذكر فيها الباحث السبب الذي حمله على كتابة الموضوع؛ لأن خدمة الجناب المحمّديّ من آكد الواجبات، كما ذكرت الدراسـات السـابقة، والمنهج، وخطة البحث.

التمهيد: عرّف الباحث الصلاة والسلام لغة واصطلاحًا.

المبحث الأول: الوجـوه الدلاليّة في الآية: بيَّن الباحـث الوجوه الدلاليّة التي استنبطها العلماء من الآية الكريمة.

المبحث الثاني: كيفية الصلاة علـى النبي ﷺ وحُكْمُها: بيَّن الباحث أن صفـة الصـلاة عليـه ﷺ وردت فيها صفـات كثيرة بأحاديـث ثابتة، وذكر أن أكثـر العلمـاء ذهبوا إلـى أن الصلاة على النبي ﷺ واجبـة، ثم اختلفوا في موضع وجوبها.

حُكْمُ السـلام على النبي ﷺ: بيَّن الباحث أن حكم السلام يرتقي درجة التسلّم عليه ﷺ إلى الوجوب في مواضع.

المبحث الثالث: حَدُّ كَثْرة الصلاة على النبـي ﷺ: بيَّن الباحث أن الآية الكريمة تشير إلى الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ، إلا أنه لم يرِد نص في بيان أقل حدِّ الإكثار، كما لم تُشِر الآية إلى مواطن الصلاة عليه ﷺ ولهذا لم تحدّد بوقت بل تصحّ في جميع الأوقات.

المبحث الرابع: الحِكْمَة من الصلاة على النبي ﷺ: ذكر الباحث أقوال العلماء رحمهم الله في الحِكَمة من أمر الله عباده المؤمنين بالصلاة عليه ﷺ.

المبحث الخامس: اللطائف التي استنبطت من الآية: استنبط العلماء عدة استنباطات من الآية الكريمة، كما أن الآية تشير إلى عظيم قدره ﷺ.

المبحث السادس: سياق الآية: ذكر الباحث سياق الآية في سورة الأحزاب.

الخاتمة: ذكر الباحث أهم ما توصّل إليه من نتائج.

الكلمات المفتاحية المعتمدة: كيفية الصلاة على النبي ﷺ- حُكْمُ الصلاة والسلام على النبي ﷺ- حَدُّ كَثْرة الصلاة على النبي ﷺ- اللطائف المستنبطة- الوجوه الدلالية- سورة الأحزاب.

....

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله ﴿ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة: ٣٣]، وأصلّي وأسلّم على سيدنا رسول الله سيد المرسلين وخاتم النبيّين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المُحجّلين، وشفيع المحشر، وصاحب لواء الحمد يوم القيامة، وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين،

أمّا بعد:

فقد كانت لي رغبة في أن أتشرّف بكتابة كتاب عن فضل الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ؛ لأن خدمة الجناب المحمّديّ من آكد الواجبات، وأهمّ المطلوبات، وأشرف المقامات، وأفضل الشمائل، ولكن كَتَبَ في هذا الباب كوكبة كريمة من السادة العلماء الراسخين في العلم، فماذا عسى لواحد مثلي أن يكتب بعدهم؟! وبعد القراءة في هذا الباب خطر ببالي أن أكتب بحثًا لطيفًا أجمع فيه ما استنبطه العلماء الراسخون من لطائف ومعانٍ من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وقد ارتأيت ذلك لما وجدت من وجوه بلاغية واستنباطات علمية دقيقة استنبطها سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم- من الآية الكريمة؛ فتوكّلت على الله تعالى وبدأت أجمع المادة العلميّة للمقال؛ لأنتظم في سلك من فاز بهذا الفخر الأعظم، وسلك سنن هذا الصراط الأقوم، بكتابة بحث عن فضائله ﷺ المستنبطة من الآية الكريمة؛ ليكون وسيلة لي أقدّمها غدًا يوم القيامة لعلي أنال شفاعته ﷺ.

ولما كانت محبة النبي ﷺ شرطًا في صحة إيمان كلِّ مؤمن، كما قال ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[(١)]، ومن دلائل محبته ﷺ الإكثار من الصلاة والسلام عليه، امتثالاً لأمر الله تعالى، وتشوّقًا إليه، واغتنامًا لما فيها من الفوائد العظيمة والأجور المضاعفة الجسيمة، ولهذه الخيرات والبركات أَلَّفَ كثيرٌ من العلماء الأفاضل من المتقدمين والمتأخرين تصانيف في الصلاة على خير الأنام ﷺ، وفي بيان حكمها وكيفيتها وفضلها، وما أعده الله من الثواب والأجر لمن يصلي على النبي ﷺ، **ومن هذه المؤلفات:**

١- (الإعلام بفضل الصلاة على خير الأنام) لمحمد النميري الغرناطي (ت ٥٤٤هـ).

٢- (كتاب القربة إلى رب العالمين بالصلاة على محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لأبي القاسم خلف بن عبد الملك، المعروف بابن بشكوال (٤٩٤- ٥٧٨ هـ).

٣- (جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام) لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).

٤- (الصِّلات والبشر في الصلاة على خير البشر) لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت ٨١٧هـ).

٥- (القَولُ البَدِيعُ في الصَّلاةِ عَلَى الحَبِيبِ الشَّفِيعِ) لشمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ).

(١) صحيح البخاري، للبخاري، كتاب الإيمان/ باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، ح (١٥)، صحيح مسلم، لمسلم، كتاب الإيمان/ باب وجوب محبة رسول الله ﷺ.

٦- (الدرّ المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود) أحمد بن محمد بن علي بن حجر (ت ٩٧٤هـ).

ومؤلفات أخرى لخلق من العلماء المتقدّمين والمتأخّرين.

منهج البحث: يعالج البحث -إن شاء الله تعالى- بطريقة علمية منهجية، تنهج منهجًا تحليليًّا، يستند إلى تحليل النصوص وتصنيفها وترتيبها حسب الموضوعات.

وقد قسّمت البحث إلى:

المقدمة.

تمهيد.

المطلب الأول: تعريف الصلاة.

المطلب الثاني: تعريف السلام.

المبحث الأول: الوجوه الدلاليّة في الآية.

المبحث الثاني: كيفية الصلاة على النبي ﷺ وحُكْمُها.

المطلب الأول: كيفية الصلاة على النبي ﷺ.

المطلب الثاني: حُكْمُ الصلاة على النبي ﷺ.

المطلب الثالث: حُكْمُ السلام على النبي ﷺ.

المبحث الثالث: حَدُّ كَثْرة الصلاة على النبي ﷺ.

المطلب الأول: كثرة الصلاة.

المطلب الثاني: مواطِن الصلاة على النبي ﷺ.

المبحث الرابع: الحِكْمَة من الصلاة على النبي ﷺ.

المبحث الخامس: اللطائف التي استنبطت من الآية.

المطلب الأول: اللطائف التي استنبطها العلماء من الآية الكريمة.

المطلب الثاني: عظيم قدره ﷺ.

المبحث السادس: سياق الآية.

الخاتمة.

والله أسأل العون والمدد، إنه ولي ذلك، القادر عليه.

التمهيد

المطلب الأول: تعريف الصلاة:

قال ابن فارس: «(صلى) الصاد واللام والحرف المعتل أصلان: أحدهما النار وما أشبهها من الحمى، والآخر جنس من العبادة.

فأما الأول فقولهم: صليت العود بالنار. والصلى صلى النار. واصطليت بالنار. والصلاء: ما يصطلى به وما يذكى به النار ويوقد، وقال:

تجعل العود واليلنجوج والرند صلاء لها على الكانون

ومعنى صَلَّى الرّجلُ، أي: أزال عن نفسه بهذه العبادة الصَّلَى الذي هو نار الله الموقدة»[(١)].

وأما الثاني فالصلاة هي الدعاء، وقال رسول الله ﷺ: «**إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ، وَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ**»[(٢)]، أي فليدعُ لهم بالخير والبركة[(٣)]، وقال الزبيدي: فقيل: (الدعاء)، وهو أصل معانيها -وذكر الحديث السابق- وقال: كل داعٍ مصلٍّ[(٤)].

ومن معاني الصلاة: الاستغفار، ومنه: قوله ﷺ: «**إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أَهْلِ الْبَقِيعِ لِأُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ**»[(٥)]، أي: أستغفر لهم.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة (صلى). وراجع الصحاح، للجوهري: مادة (صلا).

(٢) سنن أبي داود، لأبي داود، كتاب الصوم/ باب في الصائم يدعى إلى وليمة، ح (٢٤٦٠).

(٣) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة (صلى). و(المفردات) للراغب الأصبهاني: ص ٤٩١.

(٤) راجع تاج العروس، للفيروزآبادي، مادة (صلي).

(٥) سنن النسائي، للنسائي، كتاب الجنائز/ باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين، (٢٠٣٨)، والمستدرك، للحاكم، ح (١٧٢٩)، وقال: حديث صحيح، ولم يخرجاه.

ومن معانيها: البركة، ومنه: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى)[١].

والصلاة: عبادة فيها ركوع وسجود، وهذه العبادة لم تنفكّ شريعة عنها وإن اختلفت صورها بحسب شرع فشرع، ولذلك قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾ [النساء: ١٠٣][٢].

فالصلاة في اللغة مشتركة بين الدعاء والتعظيم والرحمة والبركة[٣].

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن اللفظ المشترك يجوز استعماله في معنييه معًا»[٤]. واستعمل اللفظ بمعانٍ، ومعناها يختلف بحسب حال المُصلّي، والمُصلّى له، والمُصلّى عليه[٥].

فقيل في صلاة الله ﷻ على نبيّه وجوه:

أولًا: ثناء الله على نبيه ﷺ وتعظيمه: فالصلاة حسن الثناء من الله ﷻ على رسوله ﷺ، ومنه قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ ﴾ [البقرة: ١٥٧][٦]. **فمعنى «اللهمَّ صلّ على محمد»:** اللهمَّ عظّمه في الدنيا بإعلاء ذِكْره، وإظهار دينه، وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته، وإجزال أجره ومثوبته، وإبداء فضله للأولين والآخرين بالمقام المحمود، وتقديمه على كافة المقرّبين الشهود.

ومعنى «الصلوات لله» أي: الأذكار المراد بها تعظيمه، والاعتراف له بجلال العبودية وعلوّ القدرة والمرتبة، مستحقة له، لا تليق بأحد سواه[٧].

(١) صحيح البخاري، للبخاري: كتاب الزكاة/ باب صلاة الإمام، ح (١٤٩٨).
(٢) تاج العروس، للزبيدي: مادة (صلي).
(٣) تاج العروس، للزبيدي: مادة (صلي).
(٤) مفاتيح الغيب، للرازي: ٢٥/ ١٧٢.
(٥) راجع الدر المنضود، لابن حجر: ص ٣٧-٣٩.
(٦) تاج العروس، للزبيدي: مادة (صلي).
(٧) راجع كتاب المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي: ٢/ ١٣٣ - ١٣٤، والدرّ المنضود، لابن حجر: ص ٤٠.

○ **ثانيًا: التزكية،** قال الراغب: وصلاة الله للمسلمين هي في التحقيق: تزكيته إياهم. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ﴾ [البقرة:١٥٧][(١)]، قال ابن حجر الهيتمي: «وأخرج الطبراني في (الأوسط) و(الصغير) حديثًا يومئ إليه، وهو: قُلْتُ: (يَا جِبْرِيلُ أَيُصَلِّي رَبُّكَ جَلَّ ذِكْرُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ؟، قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: مَا صَلاتُهُ؟، قَالَ: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي، سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي)[(٢)]، وهذا السياق صريح في أن (سبّوح قدّوس) من كلامه تعالى؛ تنزيهًا لنفسه بنفسه»[(٣)].

○ **ثالثًا: رحمته،** نقله التّرمذي عن الثّوري وغير واحد من أهل العلم، ونقل عن أبي العالية أيضًا، وعن الضحاك، وجرى عليه المبرّد، والفخر الرازي والآمدي، والإمام الماوردي، وقال: إن ذلك أظهر الوجوه[(٤)]. قال ابن الأعرابي: الصلاة من الله (الرحمة)، ومنه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ﴾ [الأحزاب:٤٣][(٥)]، أي يرحم. وقال الزمخشري: «لما كان من شأن المصلي أن ينعطف في ركوعه وسجوده، استعير لمن ينعطف على غيره حنوًّا عليه وترؤّفًا، كعائد المريض في انعطافه عليه، والمرأة في حنوّها على ولدها، ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤّف، ومنه قولهم: «صلى الله عليك» أي: ترحّم وترأّف»[(٦)].

(١) المفردات، للراغب: ص ٤٩١.

(٢) المعجم الصغير، للطبراني، ح (٢٣)، إسناد ضعيف؛ لأن به موضع إرسال، وفيه محمد بن يحيى الحفار وهو مجهول.

(٣) الدرّ المنضود، لابن حجر الهيتمي: ص ٤١.

(٤) راجع المحرّر الوجيز، لابن عطية، ٤/ ٣٩٨، والدرّ المنضود، لابن حجر، ص ٤٠. ومفاتيح الغيب، للرازي، ٢٥/ ١٧٢. وجلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية، ص ١٥٥- ١٥٦.

(٥) تاج العروس، للزبيدي، مادة (صلي).

(٦) الكشاف، للزمخشري، ٣/ ٥٤٥.

○ **رابعًا: البركة، رحمة الله:** بركته[1].

○ **خامسًا:** قال ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقيل: هي الاستغفار، ونقله ابن أبي حاتم عن ابن جبير ومقاتل، وروي عن الضحاك، ورجحه القرافي، وجرى عليه البيضاوي وغيره.

ولك أن تقول: هذا لا ينافي القولين الأولين؛ لأن المغفرة فيه بمعنى الرحمة المخصوصة المراد بها تعظيمه، والثناء عليه وتشريفه، والتنويه بعَلِيّ قدره وشرفه بين ملائكته، مع مزيد الإفضال عليه من سوابغ إنعامه بما يليق بعظيم كماله، فاتضح أنه لا مخالفة في الحقيقة بين هذه الأقوال الثلاثة، وأن مآلها ومرجعها إلى ما ذكرته، فتدبره»[2].

والصلاة من الملائكة: الاستغفار والدعاء، ومنه: صلّت عليه الملائكة عشْرًا، أي استغفرت؛ وقد يكون من غير الملائكة؛ ومنه حديث سودة: (إِذَا مِتْنَا صَلَّى لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ)[3]، أي استغفر، وكان قد مات يومئذ[4]. قال ابن عطية: وصلاة الملائكة دعاء[5].

«قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب:٥٦]، قال ابن عباس: أراد أن الله يرحم النبي، والملائكة يدعون له، وعن ابن عباس أيضًا: ﴿يُصَلُّونَ﴾: يتبرّكون.

---

(١) المحرر الوجيز، لابن عطية، ٤/ ٣٩٨.

(٢) الدرّ المنضود، لابن حجر الهيتمي، ص ٤٣- ٤٤.

(٣) الزهد، لابن المبارك، ح (٢٥٠)، إسناده متصل، ورجاله ثقات.

(٤) تاج العروس، للزبيدي: مادة (صلي). والمفردات، للراغب، ص ٣٩١.

(٥) راجع المحرر الوجيز، لابن عطية، ٤/ ٣٩٨. والمفردات، للراغب، ص ٣٩١.

وقيل: الصلاة من الله: الرحمة، ومن الملائكة: الاستغفار، وقال أبو العالية: صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء»[(١)].

«عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ ﴾ [الأحزاب:٥٦]، يَقُولُ: «يُبَارِكون على النَّبِيِّ»، وقد يَحْتَمِلُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ معنى ذلك: أَنَّ اللهَ يَرْحَمُ النَّبِيَّ، وتَدْعو له ملَائِكَتُه وَيَسْتَغْفِرُونَ وذلك أَنَّ الصَّلاةَ في كلامِ العربِ من غيرِ اللهِ إِنَّمَا هو دُعاءٌ»[(٢)].

وصلاة المؤمنين تأتي بمعانٍ عدّة: الدعاء[(٣)]، والتعظيم[(٤)]، والاستغفار[(٥)]، «﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ ﴾ [الأحزاب:٥٦]، أي: ادعوا له بالرحمة»[(٦)].

«وَذَلِكَ أَنَّ الصَّلَاةَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مِنْ غَيْرِ اللهِ إِنَّمَا هِيَ دُعَاءٌ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْعُوا لِنَبِيِّ اللهِ مُحَمَّدٍ ﷺ»[(٧)].

وقال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والصلاة: ذكر بخير، وأقوال تجلب الخير، فلا جرم كان الدعاء هو أشهر مسميات الصلاة، فصلاة الله: كلامه الذي يقدر به خيرًا لرسوله ﷺ؛ لأن حقيقة الدعاء في جانب الله معطل؛ لأن الله هو الذي يدعوه الناس، وصلاة الملائكة والناس: استغفار ودعاء بالرحمات»[(٨)].

---

(١) تفسير البغوي، للبغوي، ٦/ ٣٧٢.
(٢) تفسير، للطبري: ١٩/ ١٧٤.
(٣) راجع المحرّر الوجيز، لابن عطية: ٤/ ٣٩٨. والمفردات، للراغب: ص ٣٩١.
(٤) راجع المحرّر الوجيز، لابن عطية: ٤/ ٣٩٨.
(٥) راجع المفردات، للراغب: ص ٣٩١.
(٦) تفسير البغوي، للبغوي، ٦/ ٣٧٢.
(٧) تفسير، للطبري، ١٩/ ١٧٤.
(٨) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٣/ ٩٨.

المطلب الثاني: تعريف السلام:

ومعنى السلام على ثلاثة وجوه:

➢ الأول: التحية. قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ أي: حيّوه بتحية الإسلام»[١]، قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾، يَقُولُ: وَحَيُّوهُ تَحِيَّةَ الْإِسْلَامِ وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ جَاءَتِ الْآثَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ»[٢].

وقال ابن جزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما السلام على النبي ﷺ فيحتمل أن يريد السلام عليه في التشهد في الصلاة، أو السلام عليه حين لقائه، وأما السلام عليه بعد موته، فقد قال ﷺ: (من سلَّم عليّ قريبًا سمعته، ومن سلَّم عليّ بعيدًا أبلغته، فإن الله حرَّم على الأرض أن تأكلَ أجسادَ الأنبياء)»[٣] [٤].

➢ الثاني: التسليم والانقياد. «قال القاضي: قيل معنى ﴿ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ أي انقادوا لأوامره. فالسلام من التسليم والانقياد»[٥].

قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (شرح الإلمام): «قد ينتقل السلام لمعنى التحيّة ومعنى الانقياد، وقد يتردّد بينهما، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ [النساء: ٩٤]، أي: التحية أو السلام، وكقوله: ﴿ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾. سَلامٌ، فإذا أبدل سلام من «ما» احتمل الأمرين أيضًا؛ أي: لهم سلامة أو تحية من الله تعالى أو ملائكته»[٦].

---

(١) تفسير، للطبري، ١٩/ ١٧٤. وتفسير البغوي، للبغوي، ٦/ ٣٧٢.

(٢) تفسير، للطبري، ١٩/ ١٧٤.

(٣) لم أجده.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، ٢/ ١٥٨.

(٥) محاسن التأويل، للقاسمي، ٨/ ١١٠.

(٦) الدرّ المنضود، لابن حجر، ص ٧٦ – ٧٨.

➢ **الثالث: السلام على حفظك ورعايتك متولٍّ له وكفيل به، ويكون السلام هنا اسم الله.** وقيـل: معناه «السلام الذي هو اسم من أسـماء الله تعالى عليك، وتأويلـه: لا خَلَوتَ من الخيرات والبركات، وسَـلِمْتَ من المكاره والآفات؛ إذ يذكر اسـم الله تعالى على الأمور توقّعًا لاجتمـاع معاني الخير والبركة فيها، وانتفاء عوارض الخلل والفساد عنها.

ويحتمل أن يكون السـلام بمعنى السـلامة، أي: ليكن قضـاء الله تعالى عليك السـلام، أي: سلّمك من الملامة والنقائص، فإذا قلت: اللهم سلّمْ على محمد فإنما تريد به اللهم اكتب لمحمد في دعوته وأمته وذكره السلامة من كل نقص، فتزداد دعوتُه على ممر الأيام علوًّا، وأمته تكاثرًا، وذكره ارتفاعًا»[١].

....

(١) الصلات والبشر، للفيروز أبادي، ٩٠. وراجع الشفا، للقاضي عياض، ٢/ ١٣٨-١٣٩.

المبحث الأول

الوجوه الدلاليّة في الآية

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

عُبِّر بالجملة الاسمية المفيدة عن الدوام والاستمرار؛ لتدل على دوام صلاة الله تعالى وملائكته على نبيّه ﷺ، وهذه مرتبة عليّة باهرة لم توجد لغيره ﷺ[١]، ومجيء الجملة الاسمية لتقوية الخبر، و"الجملة الخبرية هنا صُدّرت بـ (إنَّ) لتأكيد مضمون الجملة وتحقيقها"[٢].

وافتتح الجملة باسم الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾ لإدخال المهابة والتعظيم في الحكم، وذكر صلاة الملائكة مع صلاة الله ليكون مثالًا من صلاة أشرف المخلوقات على الرسول لتقريب درجة صلاة المؤمنين التي يُؤمَرون بها عقب ذلك، والتأكيد للاهتمام[٣]، ولحثّ المؤمنين على الاقتداء بصلاة الله وملائكته[٤].

«وعبّر بـ ﴿وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾ دون الملائكة؛ إشارة إلى عظيم قدرهم، ومزيد شرفهم بإضافتهم إليه تعالى، وذلك مستلزم لتعظيمه ﷺ بما يصل إليه منهم؛ فإن العظيم لا يصدر عنه إلا عظيم، ثم فيه التنبيه على كثرتهم، وأن الصلاة من هذا الجمع الكثير الذي لا يحيط بمنتهاه غير خالقه وبارئه، واصلة إليه ﷺ على ممرّ الأيام والدّهور، مع تجدُّدها من سائر أفرادهم عليه كل وقت وحين،

(١) راجع الدرّ المنضود، لابن حجر، ص٥٣.

(٢) الصلات والبشر، للفيروز أبادي، ص ٢٩.

(٣) راجع، التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٣/ ٩٨.

(٤) راجع، التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٢/ ١٠٣.

وهذا أبلغ تعظيم وأنهاه، وأشـمله وأكملـه وأزكاه، وكما أفادت الجملة الدّوام لكونها اسمية، كذلك تفيد التجدّد؛ نظرًا لخبرها»[1].

وجيء في صلاة الله وملائكته بـ ﴿يُصَلُّونَ﴾ بالمضارع الدال على التجديد والتكرير ليكون أمر المؤمنين بالصلاة عليه والتسـليم عقب ذلك، مشـيرًا إلى تكرير ذلك منهم أسوة بصلاة الله وملائكته[2].

قـال الشـيخ الفاكهـاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صيغـة المضارعة هنـا دالة علـى التجدّد والحـدوث، لتدلّ على أنه سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وجميع ملائكته يصلّون على نبيّنا ﷺ دائمًا أبدًا[3].

وقولـه تعالـى: ﴿ٱلنَّبِيِّۚ﴾ الألف والـلام في كلمة النبـي يحتمل أن تكون للعهد؛ فقد تقدّم ذكر النبي ﷺ قبل، ولكن الأَوْلى أن يكون للغلبة، كالمدينة، والنجـم، والكتـاب، فكأنه المعـروف الحقيقي به، المقدم على سـائر الأنبياء -صلوات الله عليهم أجمعين- وآل كل سائر الصحابة أجمعين[4].

ولـم يقـل الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: «محمد، فاختار له أحبَّ أسـمائه وأشـرف صفاتـه، وهو مـن المواضع الكثيرة التـي عظَّم الله فيها نبيَّه ﷺ، وشـرَّفه على الخلق كلهم بها؛ فلم يخاطبه إلا باسم النبوة أو الرسالة، ولما ذكره مع الخليل ذكر الخليل باسـمه، وذكـر الحبيب بلقبه، فقـال: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [آل عمران:٦٨]، فضيلة عظيمة قد نوَّه العلماء بذكرها وشـرفها

(١) راجع، الدر المنضود، لابن حجر، ص ٥٦-٥٧.
(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٣/ ٩٨.
(٣) راجع، القول البديع، للسخاوي، ص ٣٥-٣٦.
(٤) راجع، القول البديع، السخاوي، ص ٣٨.

وجعلها من المراتب العليا وأجدرِها، وفي كل موضع سـمَّاه باسمه فإنما ذلك لمصلحة تقتضي ذلك فافهم إن شاء الله تعالى»[١].

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا﴾، في النداء (يا) تنزيل للقريب الغافل منزلة البعيد. ولا يرد قول العبد يا الله، يا رب، وهو أقرب من حبل الوريد؛ لأن ذلك استقصار منه لنفسه، واستبعاد لها من مظانّ الزلفى، وإقرار بالتفريط في جنب الله[٢].

«وجملـة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾ هي المقصودة، وما قبلها توطئة لها وتمهيد؛ لأن الله لمَّا حذَّر المؤمنين من كل ما يؤذي الرسول -عليه الصلاة والسلام- أعقبه بأن ذلك ليس هو أقصى حظهم من معاملة رسولهم أن يتركوا أذاه، بل حظهم أكبر من ذلك وهو أن يصلّوا عليه ويسلّموا، وذلك هو إكرامهم الرسول -عليه الصلاة والسلام- فيما بينهم وبين ربهم، فهو يدلّ على وجوب إكرامـه في أقوالهـم وأفعالهم بحضرتـه بدلالة الفحـوى، فجملة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بمنزلة النتيجة الواقعة بعد التمهيد»[٣].

وجاء التعبير القرآني بـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ دون الناس الشامل للكفار؛ إشارة إلى أن الصلاة عليه ﷺ من أجلّ الوسائل وأنفعها، والكافر لا وسيلة له، فلم يؤتَ بلفظ يشمله[٤].

رُوي أَنَّ رَجُلًا أَتى عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْـعُودٍ رضي الله عنه فَقَـالَ: أَعْهِد إِلَيَّ، فَقَالَ: إِذَا سَـمِعْتَ اللهَ يَقُولُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، فَأَرْعِهَا سَمْعَكَ فَإِنَّهُ خَيرٌ يَأْمُرُهُ أَوْ شَرٌّ يَنْهَى عَنْهُ»[٥]، ولا يخفى على مؤمن فضائل الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ.

(١) الصلات والبشر، للفيروز أبادي، ص ٣٧-٣٨.

(٢) راجع، الصلات والبشر، للفيروز آبادي، ص ٢٩- ٣٠.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٣/ ٩٨.

(٤) راجع، الدرّ المنضود، لابن حجر، ص ٥٨.

(٥) كتاب التفسير، لابن أبي حاتم، ١/ ١٩٦. تفسير العثيمين، ١/ ٣٣٧.

وحصل الأمر بالسلام عليه تأكيدًا بالمصدر، ولم يحصل ذلك التأكيد في الأمر بالصلاة عليه، قال الفيروز أبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن التأكيد قد حصل في القسمين جميعًا، لكن اختلف وجها التأكيد، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ أخبر في صدر الآية بأنه تعالى يصلي عليه، وأُكّدَ هذا الإخبار بحرف (إن) وبإتيان لفظ الملائكة بصيغة الجمع المضاف إليه، ليفيد العموم والاستغراق. ومتى استشعرت نفس المؤمن بهذا الإخبار المؤكدة بهذه التأكيدات بادرت إلى الصلاة على النبي ﷺ وإن لم يحصل لها أمر بذلك بل يكفيها في هذا الإشارة والتنبيه، وإذا حصل الأمر بها لا تحتاج مع ذلك إلى تأكيد آخر؛ لأنه بمجرد حصول الأمر يُبادر ويُسارع إلى موافقة الرب تعالى والأكرمين من عباده في الصلاة على نبيه ﷺ، فاستُغني هناك من تأكيد الفعل بذكر المصدر»[(١)].

أمرنا الله تعالى بالصلاة والسلام عليه، ولكن وردت صلاة الله وملائكته عليه ﷺ دون السلام عليه ﷺ!

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد سُئلت عن إضافة الصلاة إلى الله دون السلام، وأمر المؤمنين بها وبالسلام، فقلت: يحتمل أن يكون السلام له معنيان: التحية والانقياد. وأُمر بهما المؤمنون لصحتهما منهم، والله وملائكته لا يجوز منهم الانقياد، فلم يضِف إليهم، دفعًا للإيهام، والعلم عند الله. انتهى»[(٢)].

وقال الشهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد لاح لي في تخصيص السلام بالمؤمنين دون الله وملائكته نكتة سرية[(٣)]، وهي أن السلام تسليمه عما يؤذيه. فلما جاءت هذه

(١) الصلات والبشر، للفيروز أبادي، ص ٣٤-٣٥.
(٢) راجع، فتح الباري، لابن حجر، ٨/ ٥٣٣.
(٣) أي خفية، ودقيقة.

الآيـة عقب ذكر ما يـؤذي النبيّ ﷺ -والأذية إنما هي من البشـر وقد صدرت منهم- فناسب التخصيص بهم والتأكيد. انتهى»[1].

وقال الشـيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب] لـك أنْ تلحـظ في صـدر الآيـة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ [الأحـزاب:٥٦] ولـم يَقُلْ سـبحانه ويسـلمون، فلما أمر المؤمنيـن، قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحـزاب: ٥٦]، فـزاد: ﴿ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾، قال العلماء: لأن الصلاة على رسـول الله لا تسـتقيم إلا مع التسـليم له بمعنى طاعته والإذعان لأمره، وأن تُسْـلِم زمامك له في كل صغيرة وكبيرة، وإلاَّ فكيف تُصلِّـي عليه وأنـت تعصي أوامـره؟! وقـد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]»[2].

....

(١) محاسن التأويل، للقاسمي، ٨/ ١١٠.

(٢) تفسير الشعراوي، للشعراوي، ١٩/ ١٢١٤٨.

المبحث الثاني

كيفية الصلاة على النبي ﷺ وحُكْمُها

المطلب الأول: كيفية الصلاة على النبي ﷺ:

استدلّ بتعليمه ﷺ لأصحابه كيفية الصلاة عليه بعد سؤالهم عنها: أنها أفضل الكيفيات في الصلاة عليه ﷺ؛ لأنه ﷺ لا يختار لنفسه إلا الأشرف والأفضل.

عن حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ. إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[(١)].

عن أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: «أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَى أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قُولُوا: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ**»[(٢)].

عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عن كَعْب بن عجرة رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا

---

(١) صحيح البخاري، للبخاري، كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قوله تعالى، (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، ح(٣٢٤٣)، وصحيح مسلم، لمسلم، كتاب الصلاة/ باب الصلاة على النبي ﷺ، ح(٦٢٠).

(٢) صحيح مسلم، لمسلم، كتاب الصلاة/ باب الصلاة على النبي ﷺ، ح (٦١٨).

نَزَلَتْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب]، قَالُوا: كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[(١)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد وقفت من تعيين من باشر السؤال على جماعة وهم: كعب بن عجرة، وبشير بن سعد والد النعمان، وزيد بن خارجة الأنصاري، وطلحة بن عبيد الله، وأبو هريرة، وعبد الرحمن بن بشير»[(٢)]. وقد جاءت روايات عدة عن كيفيات الصلاة على النبي ﷺ[(٣)].

قال الفيروز آبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في القدر الواجب منها: فمذهبنا أنه يجزيه أن يقول: اللهم صل على محمد، ولا تجب على آله، صرح به في الأم، ولم يذكر وجوب الصلاة على الآل، فقال: ولو قال: وصلى الله على رسول الله لم تكن عليه إعادة، وبعض الأصحاب يوجب أن يقول: وعلى آله، وهو ضعيف، فإذا قال: اللهم صلِّ على محمد أجزأ ذلك، وهو موافق للمأمور به، فإذا قال: صلّى الله على محمد قطع الرافعي بجوازه، وبه قطع صاحب التهذيب البغوي[(٤)].

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما صفة الصلاة عليه ﷺ فقد وردت فيها صفات كثيرة بأحاديث ثابتة في الصحيحيْن وغيرهما، منها ما هو مقيد بصفة الصلاة عليه في الصلاة، ومنها ما هو مطلق، وهي معروفة في كتب الحديث فلا نطيل بذكرها. والذي يحصل به الامتثال لمطلق الأمر في هذه الآية هو أن يقول

---

(١) مسند الإمام أحمد، للإمام أحمد، ح (١٧٧٦٧)، إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال مسلم.

(٢) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٥٤.

(٣) راجع، فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٥٤- ١٦٣، والشفا، للقاضي عياض، ٢/ ١٦٠-١٧٠، وجلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية، ص ٣٦-١١٠، والقول البديع، للسخاوي، ص ٤٣-٧٣.

(٤) راجع، الصلات والبشر، للفيروز آبادي، ص ١١٨.

القائل: اللهمَّ صلِّ وسلم على رسولك، أو على محمد أو على النبي، أو اللهمَّ صَلِّ على محمد وسلّم. ومن أراد أن يصلي عليه، ويسلم عليه بصفة من الصفات التي ورد التعليم بها والإرشاد إليها فذلك أكمل، وهي صفات كثيرة قد اشتملت عليها كتب السنة المطهّرة»(١).

المطلب الثاني: حُكْمُ الصلاة على النبي ﷺ:

أخبر الله تعالى أن الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ في الملأ الأعلى دائمة ومستمرّة، وأمرنا بالصلاة عليه، وهو أمر لا يُصرَف عنه إلا بقرينة، واختلف العلماء في حكم الصلاة عليه هل هي واجبة أو مندوبة؟

أولًا: الجمهور قالوا: إنها مندوبة. وحكى أبو جعفر الطبري أن محمل الآية عنده على الندب، وادعى فيه الإجماع، وهو محل النزاع، ولعله يقصد فيما زاد على مرة(٢).

ثانيًا: إنها واجبة في الجملة بغير حصر، لكن أقل ما يحصل به الإجزاء مرة ككلمة التوحيد(٣)، وذهب إليه جمهور المالكيّة، كما قال القاضي أبو الحسن ابن القصار فقال: المشهور عن أصحابنا أن ذلك واجب في الجملة على الإنسان وفرض عليه، يجب عليه أن يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك.

وقال القاضي أبو بكر بن بكير رَحِمَهُ اللَّهُ: افترض الله على خلْقه أن يصلُّوا على نبيه ويسلّموا تسليمًا. ولم يجعل ذلك لوقت معلوم، فالواجب أن يكثر المرء منها، ولا يغفل عنها(٤).

(١) فتح القدير، للشوكاني، ٤/ ٣٤٦.
(٢) راجع، الشفاء، للقاضي عياض، ٢/ ١٤٠.
(٣) راجع، التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، ٢/ ١٥٨.
(٤) راجع، الشفاء، للقاضي عياض، ٢/ ١٤١. وفتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٦٥.

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمع العلماء أن الصلاة على النبي ﷺ فرض واجب على كل مسلم، لقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، ثم اختلفوا متى تجب ومتى وقتها وموضعها؟ فمذهب مالك عند أصحابه -وهو قول أبي حنيفة وأصحابه- أن الصلاة على النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ فرض في الجملة بعقد الإيمان، ولا يتعيّن ذلك في الصلاة، ومن مذهبهم أنّ مَنْ صلّى على النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ في التشهد مرة واحدة في عمره فقد سقط فرض ذلك»(١).

قال ابن جزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرض إسلاميّ، فالأمر به محمول على الوجوب، وأقلّه مرة في العمر، وأما حكمها في الصلاة فمذهب الشافعي أنها فرض تبطل الصلاة بتركه، ومذهب مالك أنها سنة»(٢).

ثالثًا: ذهب الإمام الشافعي إلى أنها واجبة في الصلاة، ومن لم يصلِّ على النبي ﷺ من بعد التشهد الآخر قبل السلام فصلاته فاسدة. قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه (الأم): «فرض الله الصلاة على رسول الله ﷺ فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فلم يكن فرض الصلاة عليه في موضع أولى منه في الصلاة، ووجدنا الدلالة عن رسول الله ﷺ بما وصفت من أن الصلاة على رسوله ﷺ فرض في الصلاة، والله أعلم، ثم ساق حديث أبي هريرة وكعب، ثم قال الشافعي: فلما رُوِي أن رسول الله ﷺ كان يعلّمهم التشهد في الصلاة. ورُوي أن رسول الله ﷺ علمهم كيف يصلّون عليه في الصلاة لم يجز -والله تعالى

(١) التمهيد، لابن عبد البر، ١٦/ ١٩١.
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، ٢/ ١٥٨.

أعلم- أن نقول: التشهد واجب، والصلاة على النبي ﷺ غير واجبة، والخبر فيهما عن النبي ﷺ زيادة فرض القرآن»[(١)].

وقال الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]: «هذا دليل على مذهب الشافعي؛ لأن الأمر للوجوب فتجب الصلاة على النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا تجب في غير التشهّد، فتجب في التشهّد»[(٢)].

رابعًا: أنه يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد[(٣)]. قال الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن قلت: الصلاة على رسول الله ﷺ واجبة أم مندوب إليها؟ قلت: بل واجبة، وقد اختلفوا في حال وجوبها؛ فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره. وفي الحديث: «**من ذُكِرتُ عنده فلم يصلِّ عليّ فدخل النار فأبعده الله**»[(٤)]»[(٥)].

خامسًا: تجب كلما ذُكِر ﷺ، أما خارج الصلاة، فقد قال الحليمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد تظاهرت الأخبار بوجوب الصلاة عليه كلما جرى ذكره»[(٦)].

سادسًا: تجب في الصلاة وغيرها، قال الحليمي: «أما في الصلاة فيجب التشهد بها، وأما خارج الصلاة فقد تظاهرت الأخبار بوجوب الصلاة عليه»[(٧)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولم أرَ عن أحد من الصحابة والتابعين التصريح

---

(١) الأم، للشافعي، ١/ ١٤٠.

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي، ٢٥/ ١٨٢.

(٣) راجع، المحرر الوجيز في التفسير، لابن عطية، ٤/ ٣٩٨. والكشاف، للزمخشري، ٣/ ٥٥٧، والتمهيد، لابن عبد البر، ١٦/ ١٩١.

(٤) لم أجده، وروى بنحوه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال، ح (٧٧١٨)، رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، يُخْطَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى النَّارِ**».

(٥) الكشاف، للزمخشري، ٣/ ٥٥٧- ٥٥٨.

(٦) شعب الإيمان، للبيهقي، ٣/ ١٤٩.

(٧) المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، ٢/ ١٤٣.

بعدم الوجوب إلا ما نقل عن إبراهيم النخعي، ومع ذلك فلفظ المنقول عنه كما تقدّم، يشعر بأن غيره كان قائلًا بالوجوب»[١].

واستدل القائلون بوجوب الصلاة بأدلة منها[٢]:

١- استدل العلماء بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، والأمر للوجوب.

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»**[٣].

٣- عن الحسين رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«البَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»**[٤].

٤- عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**«احْضُرُوا الْمِنْبَرَ»**، فَحَضَرْنَا، فَلَمَّا ارْتَقَى دَرَجَةً، قَالَ: **«آمِينَ»**، فَلَمَّا ارْتَقَى الدَّرَجَةَ الثَّانِيَةَ، قَالَ: **«آمِينَ»**، فَلَمَّا ارْتَقَى الدَّرَجَةَ الثَّالِثَةَ، قَالَ: **«آمِينَ»**، فَلَمَّا نَزَلَ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَقَدْ سَمِعْنَا مِنْكَ الْيَوْمَ شَيْئًا مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ، قَالَ: **«إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَرَضَ لِي، فَقَالَ: بُعْدًا لِمَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، قُلْتُ: آمِينَ، فَلَمَّا رَقِيتُ الثَّانِيَةَ، قَالَ: بُعْدًا لِمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، قُلْتُ: آمِينَ، فَلَمَّا رَقِيتُ الثَّالِثَةَ، قَالَ: بُعْدًا لِمَنْ أَدْرَكَ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ عِنْدَهُ أَوْ أَحَدُهُمَا، فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: آمِينَ»»**[٥].

(١) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٦٥.

(٢) راجع، المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، ٢/ ١٤٣-١٤٥.

(٣) سنن الترمذي، للترمذي، كتاب الدعوات/ باب ما جاء في القوم يجلسون ولا يذكرون الله، ح (٣٣٢٧)، وقال حديث حسن صحيح.

(٤) سنن الترمذي، للترمذي، كتاب الدعوات/ باب قول رسول الله ﷺ رغم أنف رجل، ح (٣٥٤٦)، وقال حديث حسن صحيح، وسنن النسائي، للنسائي، كتاب الزينة/ باب البخيل، ح (٩٤٩٥).

(٥) المستدرك الحاكم، للحاكم، ح (٧٣٣٨)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

۞ المطلب الثالث: حُكْمُ السلام على النبي ﷺ:

السلام كالصلاة لوجوبه في التشهد، وصرّح الحليمي بوجوبه كلما جرى ذكره ﷺ[1]، يوافق ما مرّ عنه في الصلاة، وسوّى ابن فارس اللغوي بينه وبين الصلاة في الفرضية؛ أي: لأن كلًّا منهما مأمور به في الآية، والأمر للوجوب حقيقة، إلا إذا ورد ما يصرفه عنه[2].

قال الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ أمر فيجب، ولم يجب في غير الصلاة فيجب فيها، وهو قولنا: «السلام عليك أيها النبي» في التشهّد، وهو حجّة على من قال بعدم وجوبه، وذكر المصدر للتأكيد ليكمل السلام عليه، ولم يؤكد الصلاة بهذا التأكيد؛ لأنها كانت مؤكدة بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾»[3].

قال السخاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: وليعلم أنه قد يرتقي درجة التسلّم عليه إلى الوجوب من مواضع: **الأول**: في التشهد الأخير نصّ عليه الشافعي، **والثاني**: ما نقله الحليمي أنه يجب التسليم على النبي ﷺ كلما ذكر، وفي الشفا نقلًا عن القاضي أبي بكر بن بكير: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ فأمر الله أصحابه أن يسلموا عليه، وكذلك من بعدهم، أُمِروا أن يسلموا على النبي ﷺ عند حضورهم قبره وعند ذكره[4]، **والثالث**: يجب بالنذر؛ لأنه من العبادات العظيمة والقربات الجليلة[5].

---

(١) راجع، المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، ٢/ ١٣١.
(٢) راجع، الدرّ المنضود، لابن حجر، ص ٧٦.
(٣) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٥/ ١٨٢.
(٤) راجع، الشفا، للقاضي عياض، ٢/ ١٣٨.
(٥) راجع، القول البديع، للسخاوي، ص ٧٣- ٧٥.

المبحث الثالث

حَدُّ كَثْرة الصلاة على النبي ﷺ

المطلب الأول: كثرة الصلاة:

تشير الآية الكريمة إلى وجوب كثرة الصلاة عليه ﷺ، وفي ذلك تلويح أيّ تلويح، وإرشاد أتمّ إرشاد للمؤمنين بأنه ينبغي لهم إدامة الصلاة عليه ﷺ؛ تأسّيًا بالله وملائكته في ذلك، وكما أفادت الجملة الدّوام لكونها اسمية كذلك تفيد التجدّد؛ نظرًا لخبرها.

مرَّ بنا أن القرآن الكريم عبّر بالجملة الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار، وقال الشيخ الفاكهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صيغة المضارعة هنا دالة على الدوام والاستمرار، لتدل على أنه سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وجميع ملائكته يصلون على نبينا ﷺ دائمًا أبدًا، فكيف يحسن بالمؤمن ألّا يُكثر من الصلاة عليه أو يغفل عن ذلك[1]. ومرَّ بنا أن الشيخ ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: وجيء في صلاة الله وملائكته بالمضارع الدال على التجديد والتكرير ليكون أمر المؤمنين بالصلاة عليه والتسليم عقب ذلك، مشيرًا إلى تكرير ذلك منهم أسوة بصلاة الله وملائكته[2].

وإكثار الصلاة عليه ﷺ من علامات أهل الإيمان، قَالَ أُبَيُّ بنُ كَعْب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ؛ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟» فَقَالَ: **«مَا شِئْتَ»**، قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ؟ قَالَ: **«مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»**، قُلْتُ: النِّصْفَ؟ قَالَ: **«مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»**، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟

---

(١) راجع، القول البديع، للسخاوي، ص ٣٥- ٣٦.

(٢) راجع، التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٢/ ٩٧.

قَالَ: «**مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا، قَالَ: «**إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ**»(١).

«روى التّيمي عن زين العابدين عليّ بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أنه قال: «علامة أهل السنة كثرة الصلاة على رسول الله ﷺ»(٢)، «وكان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة»(٣).

وعلّل الشيخ ابن عطاء الله السكندري رحمه الله كثرة الصلاة على النبي ﷺ يؤدي إلى حبه والاقتداء به، فقال: «ذكر حبيب الله ﷺ والإكثار من الصلاة عليه يثمر تمكن محبته من القلب، وتمكّن محبته يثمر شدة الاعتناء به، وبما كان عليه من الصفات والأخلاق، فلما علمنا أنه لا يتوصل لاكتساب اتباع أفعاله وأخلاقه إلا بعد شدة الاعتناء به إلا بالمبالغة في حبه، ولا يتوصل للمبالغة في حبه إلا بكثرة الصلاة عليه ومن أحب شيئًا أكثر من ذكره»(٤).

أما أقلّ حدِّ الإكثار فلم يرد في ذلك نصّ صحيح، وما جاء في ذلك في غاية الضعف. عن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي يَوْمٍ أَلْفَ مَرَّةٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ**»(٥)، والحديث إسناده شديد الضعف فيه محمد بن عبد العزيز الدينوري وهو منكر الحديث.

---

(١) سنن الترمذي، للترمذي، كتاب صفة القيامة/ باب ما جاء في وصف أواني الحوض، ح (٢٤٥٧). وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) الدرّ المنضود، لابن حجر، ص ٨١.

(٣) جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية، ص ٨٧.

(٤) مفتاح الفلاح في تهذيب النفوس، لابن عطاء الله السكندري: ص ٣١.

(٥) أمالي، لابن سمعون الواعظ، ح(٥٦)، وإسناد شديد الضعف فيه محمد بن عبد العزيز الدينوري وهو منكر الحديث.

عن زَيْدِ بنِ وَهْبٍ، قال: قال لي ابنُ مَسْعُودٍ: «لَا تَدَعْ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ أَنْ تُصَلِّـيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَلْفَ مَرَّةٍ تَقُولُ اللهُـمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»[(١)]. وقد وردت أحاديث أخرى كلها في غاية الضعف لا يحسن الاستدلال بها كالصلاة عليه ﷺ يوم الجمعة مائة مرة، وفي رواية أخرى أربعين مرة، أوردها السخاوي في كتابه (القول البديع)[(٢)].

قال أبو طالب المكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب (قوت القلوب): أقل ذلك ثلاثمائة مرة. قال الشيخ السخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولم أقف على مستنده في ذلك، ويحتمل أن يكون تلقى ذلك عن أحد من الصالحين، إما بالتجارب أو بغيره، أو يكون ممن يرى أن الكثرة أقل ما يحصل بثلاثمائة كما حكوا في المتواتر قولًا: إن أقل ما يحصل التواتر ثلاثمائة، والله تعالى أعلم[(٣)].

وبعضهم اعتمد في ذلك على منامات رأى فيها النبي ﷺ[(٤)]. وقد تناقل كثير من العلماء خلال الشبكة العنكبوتية قولًا منسوبًا إلى العلامة المتَّقي الهندي في أن أقل الإكثار ألف مرة، وقيل: أقله ثلاثمائة، وأحيل إلى كتابه (هداية ربي عند فقد المربي) ولكني لم أجد ذلك في كتابه، وأظن أن حد الإكثار يرجع إلى العرف، والله أعلم.

أما كتابة الصلاة عليه ﷺ عند ورود اسمه المبارك، فقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد استحبّ أهل الكتابة أن يكرّر الكاتب الصلاة على النبي ﷺ كلما كتبه، وقد ورد في الحديث من طريق كادح بن رحمة، عن نهشل، عن الضحاك، عن

(١) حِلية الأولياء، للأصبهاني، ٨/ ٢٣٧. وفي سنده لين.

(٢) راجع، القول البديع، ص ١٩٧.

(٣) راجع، القول البديع، للسخاوي، ص ١٦٩.

(٤) راجع، القول البديع، للسخاوي، ص ١٦٦.

ابـن عبـاس رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: «**مـن صلّى عليّ في كتـاب لم تزل الصلاة جارية له ما دام اسـمي في ذلـك الكتاب**»، وليس هذا الحديث بصحيح من وجوه كثيرة، وقد رُوي من حديث أبي هريرة، ولا يصحّ أيضًا، قال الحافظ أبوعبد الله الذهبي شيخنا: أحسبه موضوعًا. وقد رُوِي نحوه عن أبي بكر، وابن عباس، ولا يصح من ذلك شيء، والله أعلم»[1]. وقد ذكر الخطيب البغدادي رحمه الله في كتابه: (**الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**)، قال: «رأيت بخط أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل في عدة أحاديث اسم النبي، ولم يكتب الصلاة عليه، وبلغنـي أنه كان يصلي على النبي ﷺ نطقًا لا خطًا، وقد خالفه غيره من الأئمة المتقدمين في ذلك»[2].

قـال ابـن عاشـور رحمه الله: «ثم أحدثـت الصلاة علـى النبـي ﷺ في أوائل الكتب في زمن هارون الرشيد، ذكر ذلك ابن الأثير في «الكامل» في سنة إحدى وثمانيـن ومائـة، وذكره عيـاض في (**الشـفاء**)، ولم يذكرا صيغـة التصلية، وفي (**المخصص**)[3] لابن سـيده في ذكر الخف والنعـل: أن أبا محلم بعث إلى حذّاء بنعل ليحذوها وقال له: «ثم سنّ شفرتك، وسنِّ رأس الإزميل، ثم سمِّ باسم الله وصلِّ على محمد ثم انحها» إلى آخره.

ولا شـك أن اتبـاع اسـم النبـي ﷺ بالصـلاة عليـه في كتـب الحديث والتفسـير وغيرها كان موجودًا في القرن الرابع، وقد وقفت على قطعة عتيقة من تفسير يحيى بن سلام البصري مؤرَّخ نسخها سنة ثلاث وثمانين وثلاثمئة

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٦/ ٤٧٧. والحديث أخرجه أبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب برقم (١٦٩٩) من طريق أحمد بن جعفر الهاشمي عن سليمان بن الربيع عن كادح بن رحمة.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، ١/ ٢٧١.

(٣) المخصّص، لابن سيده، ١/ ٤١١.

فإذا فيها الصلاة على النبي عقب ذكره اسمه. وأحسب أن الذين سنوا ذلك هم أهل الحديث»[(١)].

وروى عن عباس العنبري، وعلي بن المديني، أنهما كانا يقولان: «ما تركنا الصلاة على النبي ﷺ في كل حديث سمعناه، وربما عجلنا فنبيّض الكتاب في كل حديث حتى نرجع إليه»[(٢)].

قال الإمَامُ ابن الصَّلَاحِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبغي له أن يحافظ على كتابة الصلاة والتسليم على رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم- عند ذكره، ولا يسأم من تكرير ذلك عند تكرره، فإن ذلك من أكبر الفوائد التي يتعجلها طلبة الحديث، وكَتبته، ومن أغفل ذلك حُرِم حظًا عظيمًا»[(٣)].

وقال الفيروز آبادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَا يَنْبَغِي أَن تَرْمُزَ للصَّلاةِ كما يفعله بعض الكُسَالَى والجهلة وعوامُّ الطّلبة فيكتبون صُورةَ حروفٍ صَمَّاءَ بدلًا مِن ﷺ»[(٤)].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة شرحه على (صحيح مسلم): «يُستحبّ لكاتب الحديث إذا مَرّ بذكر الله أن يكتب عَزَّ وَجَلَّ، أو تعالى، أو تبارك وتعالى، أو جلّ ذكره، أو تبارك اسمه، أو جلّت عظمته، أو ما أشبه ذلك، وكذلك يكتب عند ذكر النبي ﷺ بكمالها لا رامزًا إليها ولا مقتصرا على أحدهما، ويكتب كل هذا وإن لم يكن مكتوبًا في الأصل الذي ينقل منه فإن هذا ليس رواية وإنما هو دعاء، وينبغي للقارئ أن يقرأ كل ما ذكرناه وإن لم يكن مذكورًا في الأصل الذي يقرأ منه، ولا يسأم من تكرار ذلك، ومن أغفل ذلك حُرم خيرًا عظيمًا»[(٥)].

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٢/ ١٠٠- ١٠١.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، ١/ ٢٧٢.

(٣) مقدمة ابن الصلاح، لابن الصلاح، ص ١٨٨.

(٤) الصلات والبشر، ص ١٣٣.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، ١/ ٣٩.

المطلب الثاني: مواطن الصلاة على النبي ﷺ:

لم تُشِر الآية الكريمة إلى مواطن الصلاة عليه ﷺ، ولهذا لم تحدّد الصلاة على النبي ﷺ بوقت بل تصحّ في جميع الأوقات، وقلنا: إن التعبير بالجملة الاسمية، وورود الفعل المضارع يدلان على الدوام والاستمرارية؛ ولذا يستحب «في أي وقت كان وفي الأمر بتحسينها، وأن علامة أهل السّنة الإكثار منها»[(١)].

ذكر ابن قيم الجوزية في كتابه (جلاء الأفهام): مواطن الصلاة على النبي ﷺ التي يتأكد طلبها إما وجوبًا وإما استحبابًا مؤكدًا، ذكر منها: في آخر التشهد، وفي التشهد الأول، وآخر القنوت، وفي صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية، وفي الخطبة، وبعد إجابة المؤذن وعند الإقامة، وعند الدعاء، وعند دخول المسجد والخروج منه، وعلى الصفا والمروة، وعند اجتماع القوم قبل تفرقهم، وعند ذكره، وعند الفراغ من التلبية، وعند استلام الحجر، وعند الوقوف على قبره، وإذا خرج إلى السوق أو إلى دعوة أو نحوها، وإذا قام الرجل من نوم الليل، وعقب ختم القرآن، ويوم الجمعة، وعند القيام من المجلس، وعند المرور على المساجد ورؤيتها، وعند الهَمِّ والشدائد وطلب المغفرة، وعند كتابة اسمه ﷺ، وعند تبليغ العلم إلى الناس عند التذكير والقصص وإلقاء الدروس وتعليم العلم في أول ذلك وآخره، وأول النهار وآخره، وعقب الذنب إذا أراد أن يكفّر عنه، وعند إلمام الفقر أو خوف وقوعه، وعند خطبة الرجل المرأة في النكاح، وعند العطاس، وبعد الفراغ من الوضوء، وعند دخول المنزل، وفي كل موطن يجتمع فيه لذكر الله تعالى، وإذا نَسي الشيء وأراد ذكره، وعند

(١) الدرّ المنضود، لابن حجر، ص ٨٠.

الحاجـة تعرض للعبد، وعند طنيـن الأذن، وعقيب الصلوات، وعند الذبيحة، وفي الصلاة في غير التشهد، وبدل الصدقة، وعند النوم، وعند كل كلام ذي بال، وفي أثناء صلاة العيد[1]، والمقام لا يسع لذكر الأدلة.

قلت: لما كان النبي ﷺ هو الذي بلغنا هذه الشرائع من عند الله ﷻ كانت صلاتنا عليه ﷺ في هذه المواطن هو من باب شكر المحسن، ولا إحسان بعد إحسان الله تعالى أفضل من إحسانه ﷺ.

(١) راجع، جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية، ص ٣٢٧- ٤٤٣. والصلات والبشر، للفيروز آبادي، ص ١١٤-١١٩، ١٣٤- ١٣٩، والقول البديع، للسخاوي، ص ١٧٥- ٢٤٥.

المبحث الرابع

الحِكْمَة من الصلاة على النبي ﷺ

ذكر علماؤنا رحمهم الله عِدَّة حِكَم من أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عباده المؤمنين بالصلاة عليه ﷺ، من ذلك:

١- إظهار تعظيمه ﷺ، قال الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا صلى الله وملائكته عليه فأيُّ حاجة إلى صلاتنا؟ نقول الصلاة عليه ليس لحاجته إليها وإلا فلا حاجة إلى صلاة الملائكة مع صلاة الله عليه، وإنما هو لإظهار تعظيمه، كما أن الله تعالى أوجب علينا ذكر نفسه ولا حاجة له إليه، وإنما هو لإظهار تعظيمه منا شفقة علينا ليثيبنا عليه»(١)، وإلى مثل ذلك أشار الشيخ عمر بن علي الحنبلي الدمشقي رَحِمَهُ اللَّهُ(٢).

٢- الصلاة على النبي هي من باب شكره ﷺ. إن «من أعظم شُعَبِ الإيمان الصلاةَ على النبي ﷺ محبةً له لحقه وتوقيرًا له وتعظيمًا، والمواظبة عليها من باب شكره ﷺ، وشكره واجب لما عظم منه من الإنعام؛ فإنه سبب نجاتنا من الجحيم، ودخولنا في دار النعيم، وإدراكنا الفوز بأيسر الأسباب، ونيلنا السعادة من كل الأبواب، ووصولنا إلى المراتب السَّنيّة والمناقب العلية بلا حجاب، ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]»(٣).

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي، ٢٥/ ١٨٢.

(٢) راجع، اللباب في علوم الكتاب، لعمر بن علي الحنبلي الدمشقي: ١٥/ ٥٨٧.

(٣) القول البديع، للسخاوي، ص ٣٤-٣٥.

وقال ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الصلاة عليه ﷺ أداء لأقل القليل من حقّه، وشكرٌ له على نعمه التي أنعم الله بها علينا، مع أن الذي يستحقه من ذلك لا يُحْصى علمًا ولا قدرة ولا إرادة، ولكن الله سبحانه لكرمه رضي من عباده باليسير من شكره وأداء حقه»(١).

وقال أيضًا: «المعنى أنه إذا كان الله وملائكته يصلون على رسوله فصلّوا عليه أنتم أيضًا، صلوا عليه وسلموا تسليمًا لما نالكم ببركة رسالته ويُمْن سفارته، من خير شرفيْ الدنيا والآخرة»(٢).

قال ابن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليست صلاتنا عليه شفاعةً منّا له؛ فإن مثلنا لا يشفع لمثله، ولكن الله تعالى أمرنا بالمكافأة لمن أحسن إلينا وأنعم علينا، فإن عجزنا عنها كافأناه بالدعاء، فأرشدنا لما علم عجزنا عن مكافأة نبيّنا إلى الصلاة عليه ﷺ، لتكون صلاتنا عليه مكافأة بإحسانه إلينا، وإفضاله علينا؛ إذ لا إحسان أفضل من إحسانه ﷺ»(٣).

٣- زيادة مراتبه ﷺ وللمصلي عليه، قال الشيخ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن في الصلاة عليه ﷺ فائدةً له بطلب زيادة ما مرّ له بزيادة درجاته فيه؛ إذ لا غاية لفضل الله تعالى وإنعامه، وهو ﷺ لا يزال دائم الترقّي في حضرات القرب، وسوابغ الفضل، فلا بِدْعَ أن تحصل له بصلاة أمته زياداتٌ في ذلك لا غاية لها ولا انتهاء، وفائدة للمصلّي بحصول ما مرّ له، ومن حصر الفائدة في الثاني، إنما أراد بذلك تنبيه المصلّي، وحثّه على تحصيل الكمال المسبّب له عن صلاته»(٤).

(١) جلاء الأفهام، ص ٤٥٣.

(٢) جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية، ص ١٦٢.

(٣) الدرّ المنضود، لابن حجر، ص ٤٧-٤٨.

(٤) الدرّ المنضود، لابن حجر، ص ٤٨.

٤- التقـرّب بأدائهـا إلى الله ﷻ. قال الشـيخ الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسـير قولـه تعالـى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾ [الأحزاب:٥٦]، فأمـر عباده بهـا بعد إخبارهم أن ملائكته يصلون لتنبيههم إلـى أن الملائكة مع انفكاكهم عن التقيّد بشـريعته يتقربون إلى الله تعالى بالصلاة عليه، فنحن أولى وأحقُّ، وأحْرى، وأخْلقُ(١).

قال الشيخ ابن عجيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنه ﷺ محبوب لله ﷻ، عظيم القدر عنده، وقـد صلّى عليـه هو وملائكتُـه، فوجبت محبـة المحبوب، والتقـرُّب إلى الله تعالى بمحبته، وتعظيمه، والاشـتغال بحقه، والصلاة عليه، والاقتداء بصلاته، وصلاة ملائكته عليه»(٢).

٥- الصـلاة علـى النبي ﷺ نفعهـا عائد إلى الذي يصلـي عليه. قال أبو محمـد المرجاني: «صلاتك عليه في الحقيقة لما كان نفعها عائدًا عليك صرت في الحقيقة داعيًا لنفسك. وقال ابن العربي: فائدة الصلاة عليه ترجع إلى الذي يصلـي عليه لدلالة ذلك على نصوح العقيدة، وخلوص النيّة، وإظهار المحبة، والمداومة على الطاعة، والاحترام للواسطة الكريمة. انتهى»(٣).

قال الشيخ ابن عجيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أكثر من الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ لما ورد في فضلها، ووعَدَ عليها من جزيل الأجر وعظيم القدر، وفوز مستعملها برضا الله، وقضاء حوائج آخرته ودنياه»(٤).

٦- الصلاة على سـيدنا رسـول الله ﷺ «سبب لإبقاء الله سـبحانه الثناء الحسـن للمصلّي عليه بين أهل السـماء والأرض؛ لأن المصلي طالب من الله

(١) راجع، المنهاج في شعب الإيمان، الحليمي، ٢/ ١٣١، ١٣٤.
(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة: ٤/ ٤٥٩.
(٣) القول البديع، للسخاوي، ص ٣٤.
(٤) راجع، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة: ٤/ ٤٥٩.

أن يثني على رسوله ويكرمه ويشرفه، والجزاء من جنس العمل، فلا بد أن يحصل للمصلي نوع من ذلك»[1].

٧- تشريف المؤمنين بالصلاة عليه ﷺ: شاء الله تعالى بِمَنِّهِ وكرمه أن يشرّف المؤمنين بأن يقرن صلاتهم إلى صلاته، وأن يصلهم عن هذا الطريق بالأفق العلوي الكريم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، قال الشيخ الصاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وحكمةُ صلاةِ الملائكةِ والمؤمنين على النبي ﷺ تشريفُهم بذلك، حيث اقتدوا بالله -جل وعلا- في الصلاة عليه وتعظيمه، ومكافأةٌ لبعض حقوقه على الخلق، لأنه الواسطة العظمى في كل نعمةٍ وصلت لهم، وحقٌّ على مَن وصل له نعمة من شخص أن يكافئه، ولما كان الخلق عاجزين عن مكافأته ﷺ طلبوا من القادر الملك أن يكافئه»[2].

٨- إن الصلاة على النبي ﷺ هي قيام بحق العبودية: قال الشيخ ابن عجيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما فيها من القيام برسم العبودية، بالرجوع لِما يقتضي الأصلُ نفيه، فهو أبلغ في الامتثال، ومن أجل ذلك كانت فضيلة الصلاة على النبي ﷺ على كل عمل. والذي يقتضي الأصل نفيه، هو كون العبد يتقرب إلى الله بالاشتغال بحق غيره لأن قولنا «اللهم صَلِّ على محمد» هو الاشتغال بحق محمد ﷺ، وأصل التعبّدات: ألا يتقرب إلى الله تعالى إلا بالاشتغال بحقه. ولكن لمّا كان الاشتغال بالصلاة على محمد بإذن من الله تعالى، كان الاشتغال بها أبلغ في امتثال الأمر»[3].

(١) جلاء الأفهام، ابن قيم الجوزية، ص ٤٤٧.

(٢) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني: ٢/ ٤٩٣.

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة: ٤/ ٤٥٩.

٩- أن الصلاة على النبي ﷺ سبب في زيادة محبته ﷺ وهداية المصلّي.

قال ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه؛ فإنه كلما أكثر الصلاة عليه ﷺ وذكره استولت محبته على قلبه حتى لا يبقى في قلبه معارضة لشيء من أوامره، ولا شك في شيء مما جاء به بل يصير ما جاء به مكتوبًا مسطورًا في قلبه لا يزال يقرؤه على تعاقب أحواله ويقتبس الهدى والفلاح وأنواع العلوم منه، وكلما ازداد في ذلك بصيرة وقوة ومعرفة ازدادت صلاته عليه ﷺ.

ولهذا كانت صلاة أهل العلم العارفين بسنته وهديه المتبعين له على خلاف صلاة العوام عليه، الذين حظهم منها إزعاج أعضائهم بها، ورفع أصواتهم، أما أتباعه العارفون بسنته العالمون بما جاء به فصلاتهم عليه نوع آخر؛ فكلما ازدادوا فيما جاء به معرفة ازدادوا له محبة ومعرفة بحقيقة الصلاة المطلوبة له من الله تعالى.

وهكذا ذكر الله سبحانه؛ فكلما كان العبد به أعرف وله أطوع وإليه أحب كان ذكره غير ذكر الغافلين اللاهين، وهذا أمر إنما يُعلم بالخُبْر[١] لا بالخَبَر، وفرق بين مَنْ يذكر صفات محبوبه الذي قد ملك حبّه جميع قلبه ويثني عليه ويمجده بها وبين من يذكرها إما أمارة وإما لفظًا، لا يدري ما معناه ولا يطابق فيه قلبه لسانه كما أنه فرق بين بكاء النائحة وبكاء الثكلى؛ فذكره ﷺ، وذكر ما جاء به، وحمد الله سبحانه على إنعامه علينا ومنّته بإرساله هو حياة الوجود وروحه»[٢].

وقد ذكر ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه **(جلاء الأفهام)** الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه ﷺ[٣]. والمقام لا يسع لذكرها.

(١) الخُبْرُ: مَخْبَرَة الإِنْسَانِ -إِذا خُبِرَ- أَي: جُرِّبَ فَبَدَتْ أَخْلَاقُهُ. تهذيب اللغة، لابن فارس، مادة (خبر)، ٧/ ١٥٧.

(٢) جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية، ص ٤٥٢.

(٣) راجع، جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية، ص ٤٤٥- ٤٥٥.

المبحث الخامس

اللطائف التي استنبطت من الآية

المطلب الأول: اللطائف التي استنبطها العلماء من الآية الكريمة:

١- قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]: «والمقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيّه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقرّبين، وأن الملائكة تصلّي عليه، ثم أمر الله تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا»(١).

٢- قال الشيخ الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب]، أمر الله تعالى عباده بها بعد إخبارهم أن ملائكته يصلون لتنبيههم إلى أن الملائكة مع انفكاكهم عن التقيّد بشريعته يتقربون إلى الله تعالى بالصلاة والتسليم عليه، فنحن أولى وأحقُّ وأحْرى وأَخلقُ(٢).

٣- قال ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقلًا عن الإمام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عبّر بالجملة الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار؛ لتدلّ على دوام صلاة الله تعالى وملائكته على نبيّه ﷺ، وهذه مرتبة عليّة باهرة لم توجد لغيره ﷺ وإن وجد أصل الصلاة لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وآله، كما يفيده حديث التشهد الرادّ على من زعم أنه ليس في القرآن ولا في غيره -فيما علم- صلاة من الله على غير نبيّنا ﷺ، وفي ذلك تلويح أيّ تلويح، وإرشاد أتمّ إرشاد للمؤمنين بأنهم ينبغي لهم إدامة

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٦/ ٤٥٧.

(٢) راجع، المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، ٢/ ١٣١.

الصلاة عليه ﷺ؛ تأسّيًا بالله وملائكته في ذلك، وكما أفادت الجملة الدّوام لكونها اسمية، كذلك تفيد التجدّد؛ نظرًا لخبرها، كما قالوا: حكمة العدول عن مستهزئ في قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة:١٥]، إلى يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ: قصد استمرار الاستهزاء، وتجدّده وقتًا فوقتًا»[(١)].

٤- قال الشيخ الفاكهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صيغة المضارعة هنا دالة على الدوام والاستمرار، لتدلّ على أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وجميع ملائكته يصلّون على نبيّنا ﷺ دائمًا وأبدًا، وغاية مطلوب الأوّلين والآخرين صلاة واحدة من الله تعالى وأنَّى لهم بذلك؟! بل لو قيل للعاقل: أيّما أحب إليك أن تكون أعمال جميع الخلائق في صحيفتك أو صلاة من الله تعالى عليك؟ لما اختار غير الصلاة من الله تعالى، فما ظنّك بمن يصلي عليه ربنا سبحانه وجميع ملائكته على الدوام والاستمرار؟! فكيف يَحسُن بالمؤمن ألا يكثر من الصلاة عليه أو يغفل عن ذلك؟!»[(٢)].

وعلّق الشيخ السخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ما قاله الشيخ الفاكهاني، فقال: «ولعله نظر في أول كلامه إلى أن ذلك سيق مساق الامتنان، أو إلى أن الجملة ذات الوجهين، فكما تدل بخبرها على التجدد والحدوث تدل بمبتدئها على الاستقرار والثبوت، فحينئذ الجمع بينهما يدل على ما ذكر وقد ذكر أهل المعاني أن الحكمة في العدول عن (مستهزئ) في قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة:١٥]، إلى (يستهزئ) قصد استمرار الاستهزاء وتجدّده وقتًا فوقتًا، وأفاد أيضًا أنه ليس في القرآن ولا غيره -فما علم- صلاة من الله على غير نبيّنا -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فهي خصوصية اختصه الله بها دون سائر الأنبياء. انتهى»[(٣)].

(١) الدرّ المنضود، لابن حجر، ص ٥٣.
(٢) راجع، القول البديع، للسخاوي، ص ٣٥- ٣٦.
(٣) القول البديع، للسخاوي، ص ٣٥- ٣٦.

٥- إن صلاة الله وملائكته والمؤمنين على سيدنا رسول الله ﷺ أعظم تشريفًا من أمر الله تعالى لملائكته بالسجود لآدم عليه السلام، قال العلامة ابن حجر الهيتمي رحمه الله: «وهذا أتم وأجمع من تشريف الله تعالى لآدم -صلى الله على نبيّنا وسلّم- بأمر الملائكة بالسجود له لاختصاصه بالملائكة، والصلاة شاركهم تعالى فيها، والتشريفُ الصادرُ عنه تعالى أبلغُ مما يختص به الملائكة.

وأيضًا فسجودهم لآدم كان تأديبًا، وأَمْرُهم بالصلاة على نبينا ﷺ كان توقيرًا وتعظيمًا.

وأيضًا فذاك وقع مرةً وانقطع، وهذا دائم إلى يوم القيامة[١]، وإلى مثل ذلك ذهب الشيخ عمر بن علي الحنبلي الدمشقي في تفسيره **(اللباب في علوم الكتاب)**[٢].

قال الواحدي رحمه الله: «سمعت الأستاذ أبا عثمان الحافظ يقول: سمعت الإمام سهل بن محمد بن سليمان يقول: هذا التشريف الذي شرّف الله تعالى به نبيّنا ﷺ بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٦] أبلغ وأتمّ من تشريف آدم بأمر الملائكة بالسجود له؛ لأنه لا يجوز أن يكون الله مع الملائكة في ذلك التشريف، وقد أخبر الله تعالى عن نفسه بالصلاة على النبي، ثم عن الملائكة بالصلاة عليه، فتشريف صدر عنه أبلغ من تشريف تختص به بالملائكة من غير جواز أن يكون الله معهم في ذلك. وهذا الذي قاله سهل منتزع من قول المهدي، ولعله رآه ونظر إليه، فأخذه منه وشرحه، وقابل ذلك بتشريف آدم، فكان أبلغ وأتمّ منه»[٣].

(١) الدرّ المنضود، لابن حجر، ص ٥٣.

(٢) اللباب في علوم الكتاب، لعمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي: ٤/ ٣٠٢.

(٣) أسباب النزول، للواحدي، ص ٣٦١-٣٦٢.

٦- قولـه تعالـى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾ «فيه التنبيه علـى كثرتهم، وأن الصلاة من هذا الجمع الكثير الذي لا يحيط بمنتهاه غير خالقه وبارئه، واصلة إليه ﷺ على ممرّ الأيام والدّهور، مع تجددها من سائر أفرادهم عليه كل وقت وحين، وهذا أبلغ تعظيم وأنهاه، وأشمله وأكمله وأزكاه.

وقـد ورد في كثرتهم ما يبهر العقل ويفوق الحصر، ومنه حديث الطبري: (إن لـكل آدمي عشـرة منهم موكلـون به ليلًا، وعشـرة نهـارًا)[١]. وصحّ: (إن الله ﷻ جزّأ الخلق عشـرة أجزاء، فجعل الملائكة تسـعة أجزاء، وجزءًا سـائر الخلق)[٢] [٣].

٧- «الصـلاة عليه ﷺ من العبد دعـاء، ودعاء العبد إما بقضاء الله تعالى لحوائجه، أو بأن يثني على حبيبه، ويزيد في تشـريفه وإشهار ذكره ورفعته، ولا شـك أن الله تعالى يحب ذلك، وكذا رسـوله، فالمصلّى عليه قد صرف سؤاله ورغبتـه إلى طلب محابّ الله تعالى ورسـوله، وآثـر ذلك على طلب حوائجه، فقد آثر الله ومحابّه على ما سواه، والجزاء من جنس العمل»[٤].

٨- قال القشيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أراد الله -سبحانه- أن تكون للأمة عنده ﷺ يد خدمة كما له بالشـفاعة عليهم يد نعمة، فأمرهم بالصلاة عليه، ثم كافأ سبحانه عنه فقال ﷺ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّة، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا**»[٥]، وفي هذا إشارة إلى

(١) تفسير الطبري، الطبري، ح (٢٠٢١١)، بلفظ: (وملكان على عينيك. فهؤلاء عشرة أملاك على كلّ آدميّ، ينزلون ملائكة الليل على ملائكة النهار، فهؤلاء عشرون ملكًا على كل آدمي).

(٢) المستدرك، للحاكم، ٤/ ٤٩٠، ح (٨٥٠٦).

(٣) الدرّ المنضود، لابن حجر، ص ٥٦-٥٧.

(٤) الدرّ المنضود، لابن حجر، ص ٤٩.

(٥) صحيح مسلم، لمسلم، كتاب الصلاة/ باب الصلاة على النبي بعد التشهد، ح (٦٢١).

أن العبد لا يستغني عن الزيادة من الله في وقت من الأوقات؛ إذ لا رتبة فوق رتبة الرسول، وقد احتاج إلى زيادة صلوات الأمّة عليه»[1].

قلت: لا أرى للأمة عليه مِنَّة بل الفضل كله لله ولرسوله ﷺ، وإنما أمرنا أن نكافئ الإحسان بالإحسان، والذي أحسن ابتداء لن يصل الإنسان إلى مكافأته؛ لأن ما قام به هو ردُّ جميله، في حين أن الذي أحسن أوّلًا أحسن من غير سابق إحسان به، والفرق كبير بين من تفضّل ابتداء ومن ردّ الجميل.

٩- قال الفيروز آبادي رحمه الله: «أما قولك: (اللهم صلِّ على محمد) فمعناه: اللهم عظِّم محمدًا في الدنيا بإعلاء ذِكْره، وإظهار دعوته، وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أُمّته، وإجزال أجره ومثوبته، وإظهار فضله للأوّلين والآخرين بالمقام المحمود، وتقديمه على جميع المقربين وأهل الشهود.

فإن قلت: أليس أن الله قد أوجب هذه الأمور كلها للنبي ﷺ؟ فما فائدة دعائنا وسؤالنا له ذلك؟ **قلت:** الجواب من وجوه **أحدها:** يحتمل أن يكون بعض هذه المذكورات على درجات ومراتب، فيجوز إذا صلّى عليه أحد من أمته فاستجيب دعاؤه فيه أن يزاد للنبي ﷺ بذلك الدعاء في كل شيء من تلك المراتب والدرجات، ولهذا كانت الصلاة عليه مما يقصد بها قضاءُ حقّه، ويتقرّبُ بإكثارها إلى الله عز وجل، ولا بُعْدَ ولا استحالة في أن الله تعالى يزيد في درجات النبي ﷺ ومعاليه بصلاة الصالحين من ملائكته وعباده، ويضاعف بدعائهم وسؤالهم من ثوابه وإعلاء مراتبه، فإن الصلات الإلهية غيرُ متناهية ولا قابلة للنقص والتقلّل، فافهم ذلك إن شاء الله تعالى»[2].

---

(١) لطائف الإشارات، تفسير القشيري، ٣/ ١٧٠.

(٢) الصلات والبشر، للفيروزآبادي، ص ٨٩- ٩٠.

١٠- قال الشيخ الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصلاة عليه مما يقصد به قضاء حقّه ويتقرّب بإكبارها إلى الله عَزَّ وَجَلَّ فيدلّ قولنا: اللهم صلّ على محمد صلاة منّا عليه، أنا لا نملك اتصال ما يعظم به أمره، ويعلو به قدره إليه، وإنما ذلك على الله تعالى، فيصح أن صلاتنا عليه الدعاء له بذلك، وابتغاؤه له من الله»(١).

قال الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المؤمن حين يُصلِّي على رسول الله، ماذا يملك من عطاء يُؤدِّيه لرسول الله؟ ماذا بأيدينا؟ لذلك تأمّل لفظ صلاتك على رسول الله، إنك لا تقول أصلّي، ولكن تقول: اللهم صَلِّ على محمد، أو صلَّى الله على محمد، فتطلب مِمَّنْ هو أعلى منك أنْ يُصلي على رسول الله؛ لأنه لا يوجد عطاء عندك تُؤدِّيه لرسول الله»(٢).

١١- ذكر الواحدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ الْمَهْدِيَّ عَلَى مِنْبَرِ الْبَصْرَةِ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ وَثَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ، فَقَالَ:** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، **آثَرَهُ ﷺ بِهَا مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الرُّسُلِ، وَاخْتَصَّكُمْ بِهَا مِنْ بَيْنِ الْأَنَامِ، فَقَابِلُوا نِعْمَةَ اللهِ بِالشُّكْرِ**»(٣).

١٢- قال الإمام السمرقندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس شيء من العبادات أفضل من الصلاة على النبيّ ﷺ؛ لأن سائر العبادات أمر الله تعالى بها عباده، وأما الصلاة على النبي ﷺ فقد صلّى عليه أولًا هو بنفسه، وأمر الملائكة بذلك، ثم أمر العباد بذلك، ثم قال: ﴿ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ يعني: اخضعوا له خضوعًا. ويقال: ائتمروا بما يأمركم الله تعالى»(٤).

(١) شعب الإيمان، ٢/ ١٣٤.
(٢) تفسير الشعراوي، ١٩/ ١٢١٤٧.
(٣) أسباب النزول، للواحدي، ص ٣٦١.
(٤) تفسير السمرقندي: بحر العلوم، للسمرقندي: ٣/ ٧٢.

۞ المطلب الثاني: عظيم قدر النبي ﷺ:

تشير الآية الكريمة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، إلى المكانة السامقة التي تبوأها سيدنا رسول الله ﷺ في الملأ الأعلى، قال الشيخ ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه الآية شرّف الله بها رسوله عَلَيْهِ السَّلَامُ وذكر منزلته منه، وطهّر بها سوء فعل من استصحب في جهته فكرة سوء في أمر أزواجه ونحو ذلك»(١).

وذكر العلماء أن «هذه الآية تشريف للنبي ﷺ»(٢)، وهي منزلة عظيمة أبان الله تعالى فضل نبيّه ﷺ بصلاته عليه، ثم بصلاة ملائكته، وأمر عباده بالصلاة والتسليم عليه(٣)، واستدلّ بعض العلماء بهذه الآية على أنه ﷺ أفضل من الملائكة.

المقصود منها أن الله تعالى أخبر عباده بمنزلة نبيّه ﷺ عنده في الملأ الأعلى بأنه يُثنَى عليه عند الملائكة المقرّبين، وأن الملائكة يصلّون عليه، ثم أمر أهل العالم السفلي بالصلاة عليه والتسليم ليجتمع عليه من أَهْلَيْ العالَمَيْن العلوي والسفلي جميعًا(٤)، فاجتمع لسيدنا رسول الله ﷺ الثناء عليه من أهل العَالميْن: العلويّ، والسفليّ(٥)، ويا لها من مرتبة سَنِية تردّد جنبات الوجود ثناء الله على نبيّه ويشرق به الكون كله وتتجاوب به أرجاؤه، ويثبت في كيان الوجود ذلك الثناء الأزلي القديم الأبدي الباقي، وما من نعمة ولا تكريم بعد

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: ٤/ ٣٩٧.

(٢) التسهيل لعوم التنزيل، لابن جزي، ٢/ ١٥٨.

(٣) راجع، الشفا، للقاضي عياض، ١/ ١١٩.

(٤) القول البديع، للسخاوي، ص ٣٥.

(٥) راجع، الدر المنضود، لابن حجر، ص ٣٥.

هذه النعمة، وهذا التكريم يتردّد في جنبات الكون من العالم العلوي والسفلي، الصلاة عليه تعظيمًا له، وتكريمًا، وتقربًا إلى الله، وتزداد مراتبه في كل صلاة عليه كل ذلك يُفهم منه، أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ عظيم قَدْر نَبِيِّنَا ﷺ إِلَّا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأنه ﷺ خير خلق الله تعالى.

وبلغ من عظيم قدره ﷺ أن ينال العبد الفقير شرف صلاة الله عليه وملائكته الكرام بالصلاة عليه ﷺ، وأنَّى للعبد أن ينال هذه الرتبة لولا عظيم قدره ﷺ؟! قال الشيخ محمد العربي ابن السائح في فضل الصلاة على النبي ﷺ أنه مما لا يقدر قدره ولا ينال إلا بالتخصيص الإلهي الذي اقتضاه انبساط جاهه العظيم ﷺ، وإلا فمن أين للعبد الذليل الضعيف أن يصلي عليه ربه عَزَّ وَجَلَّ وملائكته لولا انبساط جاهه؟![(1)].

....

(١) راجع موقع شبكة مدارس الإمارات التعليميّة:
https://uae- classes.dzbatna.com/page/2581/?wptouch_switch=desktop&redirect=%2Fauthor%2Faksachli%2Fpage%2F3582%F

المبحث السادس

سياق الآية

❑ محور السورة:

◈ **لا شك أنّ هناك علاقة بين اسم السورة ومحورها**، فاسم السورة الأحزاب، ومحورها الرئيس كما ظهر لي عوامل النصر في المعركة، وكانت معركة كبيرة اتّحدت فيها أئمة الكفر من المشركين وتحالف معهم يهود المدينة المنوّرة، وبدأ في الداخل المنافقون في بثّ الإشاعات لإضعاف الصف الإسلامي.

◈ **غزو خارجي وطابور خامس في الداخل من المنافقين**، السورة ذكرتهم بالمعركة التي جنّدت فيها قوى الكفر كل قواها، وابتُلي المؤمنون وزُلزِلوا زِلزالًا شديدًا، لقد سعى الكفار واليهود والمنافقون لإيقاع الاضطراب في صفوف الجماعة المسلمة، سواء عن طريق الهجوم الحربي أو الإرجاف في الصفوف والدعوة إلى الهزيمة، أو عن طريق خلخلة الأوضاع الاجتماعية والآداب الخلقية، ولصد الغزو العسكري والفكري، ولصد هذا العدوان الداخلي والخارجي أَمَر المجتمع الإيماني بتوجيهات للحفاظ على الدولة الإسلامية، وهي موجّهة إلينا جميعًا وفي كل عصر.

◈ **أول توجيهات هذه السورة لرسوله ﷺ هو الالتزام المطلق بأمر الله تعالى**، وعدم الالتفات إلى الكفار والمنافقين المرجفين في المدينة، ولا يمكن لإنسان أيًّا كان إلا أن يتجه لمنهج واحد لا إلى مناهج متعدّدة، وإلا نافق لكونه لا يملك إلا قلبًا واحدًا.

◈ **ولا بد للعصبة المؤمنة أن تثبت على الحق في هذه المواقف**، وقد مدح الله تعالى موقف المؤمنين وثباتهم على الحق في هذه الغزوة.

◈ **ولتقوية الجبهة الداخلية** تتولى السورة تقوية المجتمع الإسلامي للوقوف في وجه التيارات المعادِية بتعديل الأوضاع والتقاليد الجاهلية أو إبطالها ونبذها كالتبنّي؛ وتنظيم الجماعة المسلمة وإخضاعها في هذا كلّه للتصوّر الإسلامي الجديد.

◈ **وكانت البداية** توجيهات إلى اللبنة الأولى في المجتمع ألا وهي الأسرة، وبدأ بنموذج الأسرة المسلمة وهي أسرة النبوّة، فلا بد أن تكون العلاقة بينها على أسس إيمانية لا مادية، باعتبارها أسرة القيادة التي تتحمل أكبر أعباء الدعوة.

◈ **وأمر المجتمع الإسلامي** بضرورة إنفاذ أمر الله تعالى ورسوله ﷺ، ثم بيّنت السورة مكانة رسول ﷺ وما ينبغي للمؤمنين حياله ﷺ، والاقتداء به.

مناسبة الآية الكريمة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، لما قبلها وما بعدها من جانبين:

☜ **الجانب الأوّل: مناسبة الآية من خلال السورة:** تحدثت السورة عن عوامل النصر ووصلت في هذه الآية إلى الذروة في أن النصر هو بدهي لهذا النبي الكريم ﷺ المكرم في السماء، فالله ﷻ بعظمته وجلاله يصلي عليه وكذا ملائكته الكرام، ولذلك فإن إيذاءه هو إيذاء لله تعالى، فمن كان في هذه المكانة في السماء كيف يمكن لقوة في الأرض مهما بلغت شأنها أن تغلبه؟ وكيف تكون نقمة الله ممن يؤذيه؟!

يقول الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله: «لما كان الله تعالى مصليًّا على نبيّه لم ينفك إيذاء الله عن إيذائه، فإن من آذى الله فقد آذى الرسول، فبيّن الله للمؤمنين أنكم إن أتيتم بما أمركم وصليتم على النبي كما صليت عليه، لا ينفك

إيذاؤكم عن إيذاء الرسول فيأثم من يؤذيكم لكون إيذائكم إيذاء الرسول، كما أن إيذائـي إيذاؤه، وبالجملة لما حصلت الصلاة من الله والملائكة والرسـول والمؤمنيـن صار لا يكاد ينفك إيذاء أحد منهم عن إيذاء الآخر كما يكون حال الأصدقاء الصادقين في الصداقة»(١).

أمـر الله تعالى المؤمنين بالإكثار من الصلاة عليه ﷺ حتى يتمكن حبّه في قلوبهم ومن ثم يقتدوا به في صفاته ومنهجه، فكانت نتيجة إكثار الصلاة عليه ﷺ التسليم له، ومن هنا لا ينفك إيذاؤهم عن إيذائه ﷺ ويكون النصر حليفهم.

يقول الشيخ البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولمّا كانت ثمرة المراد بهذا الإعلام التأسّي، علم بآخر الكلام أن المعنى: ويسـلمون عليه؛ لأن ذلك من تمام الوصلة التي يدور عليها معنى الصلاة، فأنتج ذلك قطعًا تفسـير المراد بـ«يصلون»: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، أي ادّعـوا ذلك بألسـنتهم ﴿صَلُّوا۟ عَلَيْهِ﴾ [الأحـزاب]، بعدم الغفلة عـن المبادرة إلى إظهار شـرفه في حين مـن الأحيان تصديقـًا لدعواكم، ولأن الكبير إذا فعل شيئًا بادر كل محبٍّ له معتقد لعظمته إلى فعله»(٢).

☜ **ومن جانب آخر، مناسبة الآية لما قبلها وبعدها:** لما كانت هذه الآيات وما قبلها وما بعدها في إظهار شرف النبي ﷺ وبيان مناقبه، تصل السورة في هذه الآيـة إلى ذروة مكانتـه العليّة ومقامه السـامي في أن الله عَزَّوَجَلَّ بعظمته، وملائكته الكرام عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ يصلّون على النبي ﷺ وأمر المؤمنين بالاقتداء بالملأ الأعلى.

وقال الإمام الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما أمر الله المؤمنين بالاستئذان وعدم النظر إلى وجوه نسائه احترامًا كمل بيان حرمته، وذلك لأن حالته منحصرة في اثنتين

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب، للرازي: ٢٥/ ١٨٣.
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: ١٥/ ٤٠٦-٤٠٧.

حال خلوته، وذكر ما يدل على احترامه في تلك الحالة، بقوله: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب:٥٣]، وحالة يكون في ملأ. والملأ إما الملأ الأعلى، وإما الملأ الأدنى، أما في الملأ الأعلى فهو محترم، فإن الله وملائكته يصلّون عليه، وأما في الملأ الأدنى فذلك واجب الاحترام، بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]»[١].

وقال الشيخ البقاعي -رحمه الله تعالى-: «ولما كان سبحانه قد قدّم قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب:٤٣]، فأفرد كلًّا بخبر، وكان النبي ﷺ أعلى المخاطبين حظًّا فإنه رأس المؤمنين، أفرده هنا بهذه الصلاة التي جمع فيها الملائكة الكرام معه سبحانه وجعل الخبر عنهم خبرًا واحدًا ليكون أتمّ، فإن قولك: فلان وفلان ينصران فلانًا، أضخم من قولك: فلان ينصره وفلان، فقال تعالى: ﴿يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾، أي يظهرون شرفه وما له من الوصلة بالملك الأعظم بما يوحيه الله إليه من عجائب الخلق والأمر من عالم الغيب والشهادة.

ولمّا كان المراد بكلٍّ من الصلاة والسلام إظهار الشرف، وكان السلام أظهر معنى في ذلك، وكانت تحيّته عن اللقاء واجبة في التشهد بلا خلاف، ودالة على الإذعان لجميع أوامره التي لا يحصل الإيمان إلا بها، وهو من المسلم نفسه، وأما الصلاة فيطلبها المصلي من الله، أكدهما به فقال: ﴿تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، أي فأظهروا شرفه بكل ما تصل قدرتكم إليه من حسن متابعته وكثرة الثناء الحسن عليه والانقياد لأمره في كل ما يأمر به، ومنه الصلاة والسلام عليه بألسنتكم على نحو ما علمكم في التشهّد وغيره مما ورد في الأحاديث، بيان التقاء الصلاة والسلام في إظهار الشرف»[٢].

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب، للرازي: ٢٥/ ١٨١.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: ١٥/ ٤٠٥-٤٠٧.

مجلة تدبر

الخاتمة

بعد أن سردنا أقوال العلماء في تفسيرهذه الآية الكريم، نخلص إلى النتائج الآتية:

١- **إنّ الصلاة تأتي بمعانٍ متعددة:** صلاة الله تعالى: الثناء عليه ﷺ وتعظيمه، وتزكيته، ورحمته، ومغفرته، وصلاة الملائكة: الاستغفار والدعاء، وصلاة المؤمنين: الدعاء والتعظيم، والاستغفار.

٢- **السلام يأتي بمعانٍ:** التحية، والتسليم، والانقياد، وهو مشتقّ من اسم الله تعالى بمعنى الحفظ والرعاية.

٣- **استنبط العلماء وجوهًا بلاغية متعددة من الآية الكريمة، منها:** لكونها جملة اسمية تفيد الدوام والاستمرار، وكذلك جيء في صلاة الله وملائكته بالفعل المضارع الدال على التجديد والتكرير.

٤- **السلام له معنيان:** التحية والانقياد، وأمر بهما المؤمنين لصحتهما منهم، والله وملائكته لا يجوز منهم الانقياد.

٥- **استدلّ بتعليمه ﷺ لأصحابه كيفية الصلاة عليه بعد سؤالهم عنها،** وهي أفضل الكيفيات في الصلاة عليه ﷺ؛ لأنه ﷺ لا يختار لنفسه إلا الأشرف والأفضل، وهذه هي الأكمل، والذي يحصل به الامتثال لمطلق الأمر في هذه الآية هو أن يقول القائل: اللهم صلِّ وسلِّمْ على رسولك، أو على محمد، أو على النبي.

٦- **اختلف العلماء في حكم الصلاة عليه أهي واجبة أم مندوبة؟** وأكثر أهل العلم ذهبوا إلى أنها واجبة إلا أنهم اختلفوا في حدّ الوجوب.

٧- اختلفوا في حكم السلام عليه ﷺ؛ فمنهم من ساوى بينها وبين الصلاة، ومنهم من قال بوجوبها في الصلاة، ومنهم من قال: يجب السلام عليه كلما ذُكر ﷺ.

٨- تشير الآية الكريمة إلى وجوب كثرة الصلاة عليه ﷺ؛ تأسّيًا بالله تعالى وملائكته، أما أقل حدّ الإكثار فلم يرد في ذلك نص صحيح.

٩- لم تُشِر الآية الكريمة إلى مواطن الصلاة عليه ﷺ، ولهذا لم تحدد الصلاة على النبي ﷺ بوقت بل تصح في جميع الأوقات.

١٠- ذكر العلماء حِكمًا كثيرة للصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ منها:

إظهار تعظيمه ﷺ، وهي من باب شكره ﷺ، وزيادة في مراتبه ﷺ، والتقرّب بأدائها إلى الله ﷻ، ونفعها عائد إلى الذي يصلي عليه، وسبب لإبقاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الثناء الحسن للمصلى عليه بين أهل السماء والأرض، وتشريف للمؤمنين.

١١- أهم اللطائف التي استنبطها العلماء الراسخون من الآية الكريمة:

- أن الله ﷻ جمع الثناء عليه ﷺ من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا.
- أن الملائكة مع انفكاكهم عن التقيّد بشريعته يتقربون إلى الله تعالى بالصلاة عليه، فنحن أَوْلى وأَحقُّ وأَحْرى وأَخْلَقُ.
- تدلّ الآية على دوام صلاة الله تعالى وملائكته على نبيّه ﷺ، وهذه مرتبة عليّة باهرة لم توجد لغيره ﷺ.
- غاية مطلوب الأولين والآخرين صلاة واحدة من الله تعالى وأنَّى لهم بذلك؟ فما ظنك بمن يصلي عليه ربنا سبحانه وجميع ملائكته على

الـدوام والاسـتمرار؟! فكيف يحسـن بالمؤمن ألّا يكثر مـن الصلاة عليه أو يغفل عن ذلك؟!

- إن صلاة الله وملائكته والمؤمنين على سـيدنا رسـول الله ﷺ أعظم تشريفًا من أمر الله تعالى لملائكته بالسجود لآدم عليه السلام.
- المؤمن بصلاته على سـيدنا رسـول الله ﷺ يؤثر محاب الله ورسوله على محاب نفسه، والجزاء من جنس العمل.
- في الآية دليل على زيادة مستمرة لمراتب النبي ﷺ.
- بلغ سـيدنا رسـول الله ﷺ مكانة عالية عند ربه عز وجل، ولا يعرف عظيم قدره إلا الله تعالى.

١٢- رسـول الله ﷺ مؤيّد من السـماء ولن تسـتطيع أيّ قوة في الأرض مهما بلغت شأنها أن تغلبه.

١٣- بيّنت الآيات أن المؤمنين إن التزموا بما أمرهم ربهم وصلوا على نبيّه كما صلى عليه الله عز وجل حينئذ لا ينفك إيذاؤهم عن إيذاء الرسول ﷺ، ويكون النصر حليفهم بإذن الله تعالى.

....

مجلة تدبر

المصادر والمراجع

١. «أسباب نزول القرآن». الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي. تحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط٢، الدمام: دار الإصلاح، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٢. «الأم». الشافعي، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي. (د. ط)، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٣. «أمالي ابن سمعة الواعظ». ابن سمعون الواعظ، ط١، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٢م.

٤. «بحر العلوم». السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، (د. ط)، (د. ت).

٥. «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد». ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، (د. ط)، القاهرة: الدكتور حسن عباس زكي، ١٤١٩ هـ.

٦. «تاج العروس من جواهر القاموس». الزبيدي، مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، (د. ط)، بنغازي: دار ليبيا، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٧. «التسهيل لعلوم التنزيل». ابن جزي الكلبي، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الغرناطي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط١، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦ هـ.

٨. «تفسير البغوي معالم التنزيل». البغوي، الحسين بن مسعود، تحقيق: محمد عبد الله النمر، ط٢، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٩. «تفسـير التحرير والتنوير». ابن عاشـور، محمد بن الطاهر بن عاشـور، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، (د، ت).

١٠. «تفسـير الشـعراوي- الخواطر». الشـعراوي، محمـد متولي الشـعراوي، (د. ط)، القاهرة: مطابع أخبار اليوم، (د.ت)

١١. «تفسير القرآن العظيم». ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ط١، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٢. «تفسير القرآن العظيم». ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، تحقيق: أسـعد محمد الطيب، ط٣، مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩هـ.

١٣. «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسـانيد». ابن عبد البر، يوسـف بن عبد الله بن محمـد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمـد عبـد الكبيـر البكـري، (د. ط)، الناشـر: وزارة عمـوم الأوقاف والشـؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧هـ.

١٤. «جامـع البيان عن تأويل آي القرآن أو تفسـير الطبري». الطبري، محمد بن جرير بن يزيـد بـن كثير بن غالب الآملـي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسـن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط١، القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١ م.

١٥. «الجامـع الصحيـح وهو سـنن الترمـذي». الترمـذي، محمد بـن سـورة، تحقيق: أحمد شـاكر وآخرين، ط٢، القاهرة: شـركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

١٦. «الجامـع لأخلاق الراوي وآداب السـامع». الخطيب البغـدادي، أحمد بن علي بن ثابـت بـن أحمد بـن مهدي، تحقيـق: د. محمود الطحـان، (د. ط)، الناشـر: مكتبة المعارف- الرياض، (د. ت).

١٧ . «الجامع لشُعب الإيمان». البيهقي، أحمد بن حسين، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، ط١، بومباي: الدار السلفية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٨ . «جـلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنـام». ابن قيم الجوزيّة، محمد بن أبـي بكر بن أيوب بن سـعد، تحقيق: شـعيب الأرناؤوط وعبد القـادر الأرناؤوط، ط٢، الناشر: دار العروبة- الكويت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٩ . «حليـة الأولياء وطبقات الأصفياء». الأصفهاني، أحمـد بن عبد الله، تحقيق عبد الله المنشـاوي، محمد أحمد عيسـى، محمد عبد الله الهنـدي، ط١، المنصورة: مكتبة الإيمان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٠ . «الـدر المنضـود في الصلاة والسـلام علـى صاحب المقـام المحمـود». ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسـلام، أبو العباس، عُني به: بوجمعة عبد القادر مكري ومحمد شـادي مصطفى عربش، ط١، جدة: دار المنهاج، ١٤٢٦ هـ.

٢١ . «الزهد والرقائق». ابن المبارك، عبد الله، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، (د. ط)، بيروت: دار الكتب العلمية، (د. ت).

٢٢ . «سـنن أبي داود». أبوداود، سـليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، بيروت: دار الجنان، ومؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٢٣ . «سـنن النسـائي بشـرح الحافظ جلال الدين السـيوطي وحاشـية الإمام السـندي». النسـائي، اعتنـى به ورقّمه وصنع فهارسـه عبد الفتـاح أبو غـدة، ط٣، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٢٤ . «الشـفا بتعريـف حقوق المصطفـى». القاضي عيـاض، عياض بن موسـى بن عياض اليحصبي، تحقيق: على محمد البجاوي، (د. ط)، بيروت: دار الكتاب العربي، (د. ت).

٢٥ . «الصحـاح تاج اللغة وصحـاح العربية». الجوهري، إسـماعيل بن حمـاد، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٣، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٢٦. «صحيح البخاري». البخاري، محمد بن إسماعيل، (د. ط)، استانبول: المكتب الإسلامي، (د. ت).

٢٧. «صحيح مسلم». مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ط)، الرياض: دار الإفتاء، ١٤٠٠هـ.

٢٨. «صفوت التفاسير». الصابوني، محمد علي، ط١، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

٢٩. «الصلاة على رسول الله ﷺ فضلها ومعناها وكيفيتها ومواضعها والتحذير من تركها». صقر، شحاتة محمد، (د. ط)، مكتبة دار العلوم، البحيرة (مصر)، (د. ت).

٣٠. «الصِّلات والبشر في الصلاة على خير البشر». الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، قدّم له وعلّق عليه وخرّج أحاديثه أبو أسماء إبراهيم إسماعيل آل عصر، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣١. «فتح الباري شرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري». ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن باز، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، أشرف على طبعه محب الدين الخطيب. (د. ط)، الرياض: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (د. ت).

٣٢. «فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير». الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، ط٢، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

٣٣. «القَولُ البَدِيعُ فِي الصَّلاةِ عَلَى الحَبِيبِ الشَّفِيعِ». للسخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد، (د. ط)، الناشر: دار الريان للتراث، (د. ت).

٣٤. «الكامل في ضعفاء الرجال». الجرجاني، أبو أحمد بن عدي، تحقيق عادل أحمد معوض، ط١، بيروت: الكتب العلمية، ١٩٩٧م - ١٤١٨هـ.

٣٥. «كتاب المنهاج في شعب الإيمان». الحليمي، الإمام الحافظ الحسين بن الحسن، تحقيق حلمي محمد فودة، ط١، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٣٦. «الكشــاف عن حقائق غوامض التنزيل». الزمخشــري، محمود بن عمرو بن أحمد، ط٣، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت، ١٤٠٧هـ.

٣٧. «اللبــاب في علوم الكتاب» النعماني، أبو حفص ســراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشــقي، تحقيق: الشــيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٣٨. «لطائف الإشــارات- تفسير القشــيري». القشــيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، تحقيق: إبراهيم البســيوني، ط٣، الناشــر: الهيئة المصريــة العامة للكتاب- مصر، (د. ت).

٣٩. «محاســن التأويــل». القاســمي، محمــد جمــال الديــن بن محمد ســعيد بن قاســم الحــلاق، تحقيق: محمد باســل عيون الســود، ط١، الناشــر: دار الكتــب العلمية- بيروت، ١٤١٨هـ.

٤٠. «المحرّر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز». عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤٢٢هـ.

٤١. «المخصص». ابن سيده، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: خليل إبراهم جفال، ط١، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م

٤٢. «مســند الإمام أحمد بن حنبل». ابن حنبل، أحمد، تحقيق شــعيب أرناؤوط وعادل مرشد، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٤٣. «المعجــم الصغير». الطبراني، ســليمان بن أحمد بن أيــوب، تحقيق كمال الحوت، ط١. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٤٤. «معجــم مقاييس اللغة». ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد الســلام محمد هارون، ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

٤٥ . «**المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**». ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤٢٢ هـ.

٤٦ . «**معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح**». ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تحقيق: نور الدين عتر، (د. ط)، الناشر: دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر- بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٤٧ . «**مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**». الفخر الرازي، محمد بن عمر، ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٤٨ . «**المفردات في غريب القرآن**». الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ١٤١٢هـ.

٤٩ . «**نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور**». البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، (د. ط)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د. ت).

....

فهرس الموضوعات

مجلة تدبر



البحث الثاني

مَنْهَجُ الدُّكتُور فَرِيد الأَنصَارِيّ في تَدَارُسِ القُرآن وَتَدَبُّرِ آيِهِ

أ. عَبدُ الحَليم مُصطَفى بلغيتي

أستاذ مادة التربية الإسلامية بالسلك الثانوي الإعدادي بالمغرب.

حصل على درجة الماجستير من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية -جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء- المغرب بأطروحته: شرح جامع بهرام لعبد الله بن يعقوب السملالي (ت١٠٥٢هـ) -دراسة وتحقيق-.

يحضر أطروحة الدكتوراه في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية -جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء- المغرب موسومة بعنوان: الحركة التفسيرية في عهد الدولة السعدية: الخصائص والمناهج والاتجاهات.

البريد الإلكتروني: *abelghiti84@gmail.com*

مجلة تدبر

مستخلص البحث

"منهج الدكتور فريد الأنصاري في تدارس القرآن وتدبر آيه"

إنَّ تحقق وحصول التدبر لا يكون إلا بعد مدارسة آي القرآن الكريم وألفاظه، تفسيرًا وتأويلًا بما تُسَوِّغه الأدلة الصحيحة والقواعد الصريحة التي سار على أثرها الهداة المفسرون من رعيل هذه الأمة الخيرية، كما وصفها ربنا ﷻ.

ويهدف موضوع بحثي هذا الموسوم بـ: **"منهج الدكتور فريد الأنصاري في تدارس القرآن وتدبر آيه"**، تجليةَ وتبصرةَ مشروع الدكتور فريد الأنصاري -رحمة الله عليه- في مدارسة القرآن الكريم وتدبره وإبصار حقائقه ورسائله، والإسهام في التأسيس لمشروع بناء وتركيب النظرية التدبرية للقرآن الكريم في أفق استنباط كليات ناظمةٍ لقواعد تدبر آي القرآن ومدارسته، وضابطةٍ لهذه العملية درءًا لأن يكون كلام الله -تعالى- مرتعًا للخلل والخطل، وقراءات جديدة مغرضة.

أما عن **المنهج العلمي العام** الذي أسعفني لإبراز ما وصلت إليه فكان في غالب شأن البحث **منهجًا وصفيًا** قدمت به المادة العلمية كما هي في الواقع، عارضًا إياها عرضًا مرتبًا منهجيًا، وسالكًا بها -كلما اقتضت اللازمة البحثية- **سَبيل التحليل**.

وقد خلصت في نهاية هذا البحث إلى نتائج كان من أهمها: أن ربط الأمة بالقرآن الكريم ينطلق من التأسيس لمجالس القرآن على وِفق النهج الذي أسس له الدكتور فريد الأنصاري، مجالسُ لا تقف عند مقصد محاولات التفسير والبيان، بل تتعداه إلى التدبر والتفكر والاِستبصار.

وحاصل ما يكن **توصية البَحْثة** به دعوتهم فُرادى ومؤسسات إلى الحسم في أصول التفسير وقواعده ومناهجه، ثم التفكير بجد في التأسيس لمشروع أصول التدبر والتفكر.

الكلمات المفتاحية : (مجالس القرآن، فريد الأنصاري، منهج التدارس، التفكر، اِستبصار الآي، الهدى المنهاجي).

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله منزل الكتاب الحكيم تنزيلًا، خالق الإنسان في أحسن المنازل تقويمًا وتجميلًا، المتفضل ببعثة رسوله الكريم الصدِّيق حيثما كان حالًّا أو نزيلًا.

والصلاة والسلام على نبي الرحمة التي عمَّت العالميْن، فأرشد الناس بها إلى المنهج القويم، والمهيع الرشيد المفضي إلى بُلَهنية وسعادة الداريْن، فكان بفضل الله وقدره المبلغ للوحي المرشد والمبين عنه، قال ﷻ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

وبعد:

فإن من سلامة العاقبة وصفاء المآل؛ وجود نور وسراج يضيء للساري ظلمة المهايع، ويجلي للقاصد سبل النجاة، وإنَّ أعظم مآل يأرز إليه المسلم في دنياه؛ تحقيقه مقامات الرضى الرباني عليه، وحلول القبول الإلهي له، وإن أصدق وآكد نور موصل لذلك هو القرآن الكريم.

ولما كان الأمر كذلك؛ كان ارتباط أمة القرآن به ارتباطَ الطالب للنور المنجي من هلك الهوالك، وظلمة الحوالك، وأيقَنتْ يقينا لا يقاربه شك بمقصد قول الباري -جلَّت عزته-: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

وكان لزامًا على هذه الأمة -لما رامت تحصيل الهدى القرآني ثم الاستقامة والبشارة- تعاهد القرآن بالقراءة والذكر والتلاوة ثم التدبر؛ كل

ذلك على المنهج النبوي الذي عُلِّمه رسوله الله ﷺ؛ إذ هو المبين للوحي، ولا غرو أن يكون البيان مضمونًا ونهجًا.

وحصول التدبر لا يكون إلا بعد مدارسة آي القرآن الكريم وألفاظه تفسيرًا وتأويلًا بما تسوِّغه الأدلة الصحيحة، والقواعد الصريحة التي سار على أثرها الهداة المفسرون من رعيل هذه الأمة الخيرية كما وصفها ربنا جل جلاله؛ ولذلك انطلق فئام من هذه الأمة وجعلوا غاية مقصدهم تثوير[1] القرآن الكريم والإفادة منه؛ طلبًا للصلاح والإصلاح.

وقد أَلِفَ الناس المهتمون بالقرآن وعلومه -كلما سمعوا- علم التفسير، ذِكر أهله من المشرق، غافلين أو متغافلين أهله من الغرب الإسلامي عامة وأهل المغرب خاصة، ولهؤلاء جهودهم الفاضلة في خدمة القرآن الكريم قديمًا وحديثًا، بل قد يكون لأهل المغرب فضلًا على المشارقة في التفسير منهجًا واستمدادًا.

يقول الدكتور مولاي مصطفى الهند: «ولهذا فإن كان من فضل هنا في الإبداع في مجال علم التفسير، فإنه لإمام المغرب يحيى بن سلام أولًا، ثم للإمام الطبري ثانيًا، ثم لمن جاء بعدهم ثالثًا»[2]، ولئن أشار الدكتور الهند إلى أن لأهل المغرب في التفسير فضلًا على المشارقة، فإن القول بالأفضلية يحتاج منا إلى عميق بحث وتمام استقراء. ومع ذلك فلا يمكن البتة نفي

(١) هذا المصدر مأخوذ من خبر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، إذ يقول: «مَنْ أَرَادَ عِلْمًا فَلْيُثَوِّرِ الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ خَيْرُ الْأَوَّلِينَ وَخَيْرُ الْآخَرِينَ»، ينظر المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، ٩/ ١٣٥. والتثوير من مادة: [ث و ر]، وتثوير القرآن: قِراءته ومُفاتشة العُلَماء بِهِ فِي تَفْسيره ومَعَانيه. ينظر تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق محمد عوض مرعب، ١٥/ ٨٠.

(٢) مقدمة في مناهج البحث في العلوم الإسلامية، لمولاي المصطفى الهند، ص: ٢٥٠.

إسهامات المغاربة في تفسير آي كتاب الله ﷻ، وإبداعاتهم النيرة في التأسيس لمنهج مدارسة القرآن الكريم.

وهذا الذي يؤكده الدكتور الهند بقوله: «والذي أرغب في تأكيده والتنبيه عليه أن ما قام به سلف الأمة المغربية، يعتبر تأسيسًا علميًا لمدرسة متميزة في المدارسة العلمية الرصينة للنص القرآني، ونحن بحاجة ماسة اليوم إلى تعميق البحث من طرف المتخصصين المدققين لكشف خبايا الزوايا في هذه المدرسة العلمية المتفردة منهجًا ومعرفة[(١)]».

ولهذا التميز في مدرسة التفسير عند أسلاف المغاربة، امتدادًا إلى متأخريهم وأهل عصرنا ممن راموا تفسير كلام الله ﷻ ومدارسته، وقد يكون للمتأخر سَبقًا لما لم يصل إليه المتقدم، وَلَرُبَّ تَالٍ بَزَّ شَأْوَ مُقَدَّمِ.

والناظر إلى خريطة التفسير وأهله المغاربة في العصر الحديث؛ لا جرم أنه واقع على محاولات في مدارسة القرآن الكريم في بعض سوره وآيه من لدن الدكتور فريد الأنصاري -رحمة الله عليه-، وسأحاول من خلال هذا البحث التبصرة بمنهج الدكتور في تفسير القرآن الكريم، أو لنسميه منهجه في مدارسة القرآن الكريم وتدبره وإبصار حقائقه ورسائله، كما عبر عن ذلك رَحِمَهُ اللَّهُ من خلال كتابيه:

الأول: بعنوان: **"بلاغ الرسالة القرآنية من أجل إبصار لآيات الطريق"**، **والثاني:** الموسوم بعنوان: **"مجالس القرآن"**، وفيهما عبر عن النسق الذي يمكن ضمنه تدارس كلام الله تعالى؛ ليصل الدارس وِفْقه إلى المقصد المرجو ابتداءً من المدارسة، وهو وضع المتلقي عن القرآن «على صراط السير إلى

---

(١) المرجع السابق، ص: ٢٥١.

التخلق بأخلاق القرآن...، وحصول التذكر الذي هو يقظة القلب وعمران الوجدان بالإيمان[1]».

هذا العمران الوجداني هو المهيع البين إلى الِانتقال من القرآن إلى العمران بمعناه الشامل لجميع مناحي الحياة، وتلك هي الغاية من تدارس كتاب ربنا والتأسيس لمشروع مجالس للقرآن على المنوال الذي أراد له الدكتور فريد الأنصاري.

والذي شدني إلى تناول منهجه في التدبر والتفسير بالبحث وصفًا وتحليلًا، أمور عدة أجملها فيما يلي:

- الفخر العميق في إبراز جهود علماء المغرب لخدمة القرآن الكريم وما يتصل به من علوم.
- سيرة الدكتور فريد الأنصاري - رحمة الله عليه - الحافلة بالعطاء العلمي والإبداع المنهجي.
- جمالية أسلوب الدكتور والذي يجمع بين التأصيل العلمي، واللغة العذبة السلسة، والمنهج الدعوي الإصلاحي التربوي.
- خدمته للمنهج القائم على الِانتقال من التلاوة إلى التدارس، ثم إلى البلاغ، ثم إلى التدبر والِاستبصار لمعاني القرآن ورسائله مع العامة والخاصة.
- الإسهام في التأسيس لمشروع بناء وتركيب النظرية التدبرية للقرآن الكريم، في أفق استنباط كليات ناظمةٍ لقواعد تدبر آي القرآن ومدارسته وضابطةٍ لهذه العملية؛ درءًا لأن يكون كلام الله -تعالى- مرتعًا للخلل والخطل، وقراءات جديدة مغرضة.

---

(١) مجالس القرآن، مدارسات في رسائل الهدى المنهاجي للقرآن الكريم، من التلقي إلى البلاغ، للدكتور فريد الأنصاري، ص: ٧٢ و ٧٣، [بتصرف].

وقد نظمت بحثي هذا، -والذي جعلت سيماءه بعنوان: «**منهج الدكتور فريد الأنصاري في تدارس القرآن وتدبر آيه**»- وفق الخطة الآتية:

مقدمة: تضمنت تيمَةَ البحث، وأهميته، وأسباب اختيار العَلَم، والمنهج المتبع في الدراسة.

المبحث الأول: منهج الدكتور فريد الأنصاري في تدارس القرآن وتدبره.

المطلب الأول: السِّمة العامة لمنهج الدكتور فريد في تدارس القرآن الكريم وتدبره.

المطلب الثاني: ضوابط الدكتور فريد في إنجاح منهج التدارس على وفق مجالس القرآن.

المطلب الثالث: الخطوات المنهجية لتدارس القرآن الكريم وتدبر آيه.

المطلب الرابع: السور المنتقاة للتدارس والاِستبصار والاِستمدادات المعرفية والمنهجية.

المبحث الثاني: منهجية الدكتور فريد الأنصاري في عرضه للسورة القرآنية.

المطلب الأول: منهجيته في عرض السورة تلاوة وتدارسًا وتدبرًا.

المطلب الثاني: التطبيق العملي لمنهج ومنهجية الدكتور في التدارس من خلال سورة الحجرات.

خاتمة: نتائج وحصيلات الدراسة.

ملحق: ضم ترجمة للدكتور فريد الأنصاري.

أما عن المنهج العلمي العام الذي أسعفني لإبراز ما وصلت إليه؛ فكان

في غالب شأن البحث منهجًا وصفيًا قدمت به المادة العلمية كما هي في الواقع عارضًا إياها عرضًا مرتبًا منهجيًا، وسالكًا بها -كلما اقتضت اللازمة البحثية- مهيع التحليل.

وحاولت من خلال بحثي هذا توثيق النصوص، بعزو الآيات إلى سورها في متن البحث، وخرَّجت الأحاديث التي استدعيتها، أو التي استدعاها الدكتور لأجل الاِستدلال، فإن كانت في الصحيحين اكتفيت بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث، وإن كان في غيرهما ذكرت رقم الحديث ودرجته وقول أهل العلم من الحديث فيه. كما قمت بشرح الغريب الوارد في نص البحث مما يستأهل أن يشرح ويعرف به.

وأخيرًا، لا مندوحة من الإشارة إلى مسألة أحسبها من صعوبات البحث، والتي تتجلَّى في عدم توفري على أي دراسة سابقة لمنهج الدكتور في تدبر القرآن وتفسيره، إلا ما تناثر في بعض مواقع الشبكة العنكبوتية، والتي لا تعدو أن تكون مجرد إشارات إلى إسهاماته في خدمة القرآن، وأغلبها من محبي الدكتور والساهرين على بعض مواقع تراثه وإبداعاته العلمية.

هذا، وإني لا أزعم أني جئت في هذا البحث، بإبداع متحرر على التمام من ربقة الاتباع والتقليد حينًا، وإنما الإنشاء على غير مثال في حق غير الباري ضرب من ضروب المحال، بل وإني لفي هلع وضيق خاطر، أن يكون ما وصلت إليه، من قبيل التجاسر على الدكتور وأهل العلم عمومًا، سائلًا المولى التوفيق والسداد ومغفرة الزلل والعناد.

المبحث الأول

منهج الدكتور فريد الأنصاري في تدارس القرآن وتدبره

المطلب الأول: السِّمة العامة لمنهج الدكتور فريد في تدارس القرآن الكريم وتدبره:

إن المطالع لبعض كتب الدكتور فريد الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وخصوصا كتابي: **"بلاغ الرسالة القرآنية ومجالس القرآن"**، قد يظن بادي الرأي بأنه فتح باب تدراس القرآن وبلاغه لكل من هب ودب من الخاصة والعامة لأجل تحقيق الهدى المنهاجي، والذي عبر عنه في غير ما موضع من كتابيه، ويظهر ذلك مثلا من خلال قوله: «أبصر لنفسك، فإن الإبصار لا نيابة فيه لأحد على أحد»[١]. أو من خلال دعوته إلى تأميم الدعوة إلى الله، وقوله أيضا: «فدع عنك هذه الوريقات وأمثالها جانبًا، فما كان ليكون بين الله وعبده من وسيط»[٢].

والمتأمل في هذا الكلام واضعًا إياه في سياقه، ومعتبرًا سِباقه ولحاقه، يهدأ روعه، ويعلم أن الدكتور، ما كان ليجرؤ على استرخاص كتاب الله وجعله عُرضة لكل فقيه ومتفيقه؛ إنما حاول التأسيس لنسق منضبط لتدارس القرآن الكريم، يُؤَطِّر ضمنه العالم والمتعلم والأمي على حد سواء، ليصلوا -كلهم- إلى تدبر رسائل القرآن؛ ولأنهم مطالبون في النهاية بإقامة الدين في النفس والمجتمع.

أما دعوته إلى ترك ما كتبه حول منهج مدارسة كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، أو ما عبر عنه بالمدخل إلى مجالس القرآن، أو ما شابهه من كتب أصول التفسير، فإنها

(١) بلاغ الرسالة القرآنية، من أجل إبصار لآيات الطريق، للدكتور فريد الأنصاري، ص: ٥٥.

(٢) مجالس القرآن، ص: ١١.

دعـوة متأخرة عـن النظر فيهـا والاِطلاع عليها والإفـادة منها أصالـة؛ إن كان لدارس القرآن الأهلية لذلك، أو بالتبع بواسـطة من له الكفاءة والكفاية، ولأن التقيـد بها أو بمثيلاتها عند كل محاولة تدبر وتفكر، قد تكون حاجبة للعبد عن اسـتبصار معـاني كلام الله -جل وعز- المخاطب للذات الإنسـانية من حيث إن هذا القرآن كلام ميسـر يخاطب به الكل، يقول ﷻ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩].

وَلْنَنْظر قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ حول ورقاته في منهج تدارس القرآن ومثيلاتها، يقول: «مـن أجل هـذا وذاك إذن كتبت هـذه الورقات، وغايتها بيان منهج الاِشـتغال بكتـاب الله، وكيفية إعـادة بناء الأنفس علـى وزانه، ووفـق مقاييس تصميمه، فـلا تتخذها مُشـغلة لك عن القـرآن الكريـم ولا حاجبة لك عـن مكنون دره الكريـم»[(١)]، فهاهنا ينبه إلى عدم الاِنشـغال عن القرآن بدراسـات وكتابات قد تبعد عن التعامل معه رأسًا، بَيْدَ أنه يؤسس لذلك بمنهج حصين حينما يواصل قائلًا: «بل خذها -يعني الوريقات- آلة اسـتبصار -فحسب- كسائر آلات فقه الدين، مُسـتقاة من كتاب الله رأسًا فإنما هي آيات تربطك بآيات، على نوع من التدريج إلى خوض بحر القرآن[(٢)]».

ولذلك يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حينها إذا وصلت أخي الحبيب إلى الغاية، وحصل لك الإبصار بالآيات مباشـرة، وبدأت تكتسـب حقائق الإيمان مشاهدة، فدع عنك هذه الوريقات وأمثالها جانبًا»[(٣)].

(١) المرجع السابق، ص: ١١.
(٢) نفسه، ص: ١١.
(٣) نفسه، ص: ١١.

فلا يكون الإبصار إلا إذا سُبق باكتساب ملكة التدارس من خلال آلات وضوابط أساس، تشكل بحق مقدمات التعامل مع النص القرآني، وما يعزز هذا الكلام، هو دعوته إلى الِاجتهاد المؤسساتي أو الفردي، الرسمي أو غير الرسمي، في وضع نظريات منهجية تؤسس لنا علم أصول التفسير بقواعد متينة، أشبه ما تكون بقواعد أصول الفقه، وأصول الحديث، «فلو ضبط تفسير كتاب الله تعالى بنظريات منهجية، تتسم بالدقة والعمق، بحيث تشكل مادة مركبة من ضوابط وقواعد جزئية تترابط فيا بينها، لتشكل في النهاية كليات جامعة مانعة، تكون هي المسطرة العلمية المشروعة لتفسير القرآن الكريم، قلت لو كان ذلك كذلك، لما كان التفسير مرتعًا لكل من هب ودب»(١).

فحريٌ -إذن- لمن اطلع على هذا النص، أن يعتقد اعتقادًا جازمًا أن فريد الأنصاري، لايسمح ولا يقول بالتجرؤ على كلام الله ﷻ من غير منهج أو علم حصين، هذا العلم هو الذي: «يضمن لنا بذلك السلامة لكتاب الله من تحريف الكلم عن مواضعه تفسيرًا وتأويلًا»(٢)، وقد أشار الدكتور رحمه الله إلى أنه قد بدأت محاولات الخوض فيه من لدن البحثة المغاربة وغيرهم، من أمثال الدكتور مولاي عمر بن حماد في أطروحته الموسومة بعنوان: **"علم أصول التفسير"**، محاولة في البناء(٣).

كل تلكم العبارات والنصوص لتقودنا إلى أن فريدًا أسس لنفسه منهجًا عامًا يصير على منواله في مدارسة القرآن، والنهل منه تلاوة وتدبرًا وتفكرًا واستبصارًا، وإلا لكان حديثه عن المنهج، والمنهاج القرآني، والمدخل، وبناء

(١) أبجديات البحث في العلوم الشرعية، للدكتور فريد الأنصاري، ص: ١٥٧.
(٢) المرجع نفسه، ص: ١٥٧.
(٣) ينظر المرجع نفسه، ص: ١٥٨.

نظريـات علم الأصـول، وغيرها من العبـارات التي ملأت بعـض كتبه مجرد ترف فكري لا تُرجى منه فائدة.

المطلب الثاني: ضوابط إنجاح منهج مدارسة القرآن الكريم وتدبره على وفق مجالس القرآن:

إن إنجاح عملية تدارس كلام الله وتدبره واسـتبصار معاني آيه، وتنزيلها على النفس البشرية وعلى المجتمع لا تستقيم -بحسب الدكتور- إلا باستحضار ضوابط منهجية أهمها:

١- التعامل مع القرآن بالمنهج الذي كان عليه محمد ﷺ وأصحابه من أمر القرآن.(١)

إن وظيفـة النبـي ﷺ بعد تلقـي الوحي بلاغـه وبيانه، ولا جـرم أن هذا البـلاغ لا يسـتقيم إلا إذا كان متسـاوقًا مـع منهج يجعل من عملية الِاسـتقبال ناجحة؛ من حيث إنها قادرة على إيصال المتلقي إلى مقاصد التزكية والتعليم، بـل ويضمـن لها الِامتـداد في كل الأزمنة والأمكنـة، وإذا كان الصحب الكرام قـد شـهدوا حقيقة مجالس القـرآن النبوية فإنهم -ولا ريـب- قد أفادوا من رسول الله ﷺ اللفظ والمعنى والمقصد؛ بل واستلهموا منه منهج الأداء لا من حيـث القراءة أو المعنى فقـط؛ ولكن من حيث إنه منهـاج صالح لأن تُعلم به الأجيال اللاحقة، والصحابة حملة الوحي بعد رسول ﷺ.

ولذلك كانت دعوة الدكتور إلى العودة المحمودة إلى المدرسة القرآنية علـى عهد النبـي ﷺ وصحبه، يقـول الدكتور: «فيـا أيها الأحبـاب، لنعد إلى مدرسة رسول ﷺ، لنعد إلى مدرسة القرآن ومجالس القرآن على منهج القرآن صافية نقية كما شهد عليها الله ﷻ في جيل القرآن»(٢).

(١) ينظر مجالس القرآن، ص: ٩ - ١٠ - ١١.

(٢) مجالس القرآن، ص: ١١.

هـذه العودة هي الضمان السـليم والمنطلق الرشـيد نحو رشـد منهجي في تـدارس القـرآن وتدبـر آياتـه. والمتملـي في سـيرة المصطفـى ﷺ لا جرم سـيُلفي من الشـواهد الواقعية ما يدل على آكدية التأسـي بمجالس القرآن من حيث هي المنبـع الصافي لتزكية النفوس المؤمنة بالقـرآن لفظًا ومعنى وعبرة، ومنهجًـا للتلقـي والأداء، من ذلك ما أخرجه البخاري مـن حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسـه القرآن، فلَرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة»[(١)].

وهـذا حديث يؤرِّخ ويوثِّـق لأُوليات مجالس القرآن تعليمًا ومدارسـة، وما تؤول إليه من الخيرات تحصيلًا وإكرامًا، هذه المجالس نفسـها تواصلت خيراتها لتعم لقاءات النبي ﷺ مع صحابته رضي الله عنهم، بل وكان من الضرورة الدعوة إلى استمرارها المتجدد في كل زمان ومكان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السـكينة وغشـيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطَّأ به عملُه لم يُسرع به نسبُه»**[(٢)].

ولذلك لـزِم المقبلين على تدارس القرآن وتدبره سـلوك مَهْيَع مجالس القـرآن على عهد النبي ﷺ وصحبه الكـرام رضي الله عنهم اقتفاءً -أولًا- للأثر، ورغبةً

(١) الجامع الصحيح المختصر المسـند من حديث رسول الله ﷺ وسـننه وأيامه، (صحيح البخاري)، لمحمـد بن إسـماعيل أبو عبـدالله البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديـب البغا، (كتاب المناقب، باب: صفة النبي ﷺ)، (رقم/ ٣٣٦١).

(٢) المسـند الصحيـح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسـول الله ﷺ، لأبي الحسـين مسـلم بن الحجاج بن مسـلم القشـيري النيسـابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق محمـد فؤاد عبد الباقـي، (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاسـتغفار، باب: فضل الاجتماع على تـلاوة القرآن وعلى الذكر)، (رقم: ٣٨/ ٢٦٩٩).

في إدراك مـا أدركـوه من الخيرات -ثانيًـا-، ودرءًا للوقوع في الخطل أو الغلط المنهجي -ثالثًا-.

٢- اِعتبار القرآن هو المورد الرئيس لمشروع مجالس القرآن ومدارسته، منه يتلقى نوره ومُداه، وعليه يبني قواعده ورُؤاه.[١]

إذا كانـت مجالس القرآن تقصد أصالةً تزكية نفـوس المؤمنين بالقرآن، فـلا مندوحة لهم عـن الانطلاق رأسًـا من آياتـه، واعتبراها المـورد والمنهل الأسـاس لعملية التـدارس والتدبـر؛ ذلك أن سـلامة المنطلقات سـبيل نحو سـلامة المخرجات، «عسـى يكون أن ينال الجلسـاء المتدارسون من بركات هذا القرآن خُلُقًا ربانيًا، يجعلنا وإياهم -بتوفيق الله- على هدى من ربنا في أمر ديننا ودعوتنا»[٢].

٣- اِحـترام قواعد تـدارس القرآن من التـلاوة بمنهج التلقـي، والتعلم والتعليم بمنهج التدارس، والتزكية بمنهج التدبر[٣]، وسيأتي بيان ذلك وتفصيله من خلال المطلب الذي يلي.

٤- تذوق الآيات وتدبرها وتحريك القلوب والمشاعر، ولا يكون ذلك إلا بعد تلاوتها وتفسيرها، ثم مدارستها، ثم ما ترجع به من زاد إيماني بعد تدبرها[٤].

٥- البعد عن الإيلاغ في التفاسير والمبالغة في ذلك، يقول الدكتور فريد: «وهـا هنا لابـد من التنبيه علـى قاعدة منهجيـة مهمة جدًّا لهـذا الأمر -يقصد مدارسـة القـرآن- من خلال المجالس، وهي الحذر من اسـتغراق الوقت كله

(١) ينظر مجالس القرآن، ص: ١٢.

(٢) المرجع نفسه، ص: ١٢.

(٣) تكرار الدكتور لكلمة المنهج خير دليل على أنه لم يفتح الباب مشرعًا للكل لتدارس القرآن الكريم.

(٤) ينظر المرجع السابق، ص: ٨١.

في التفسير، وتتبع أقوال المفسرين من دقائق اللغات والبلاغة والإعراب وتفاصيل الخلافات الكلامية وتفاريع الأحكام الفقهية، فكل ذلك وما في معناه إنما يحتاجه أهل الاِختصاص، وأما الغرض مما نحن فيه إنما هو تحصيل الحكم من الآية، وإتاحة الفرصة للتدبر والتفكر للوصول إلى الهدى المنهاجي»[1].

وحتى لا يفهم من كلامه الآنف صده عن التفاسير وجهود أصحابها واستمداداتهم، فإنه يوضح رَحِمَهُ ٱللَّهُ حقيقة دعوته تلك بقوله: «ولهذا فإنه يكفي في ذلك كله تحصيل المعنى العام للآية، وما أجمع عليه المفسرون منها، أو ما عليه جمهورهم، فلا يُؤخذ من المعاني اللغوية وكذا الفقهية إلا ما لابد منه لفهم المعنى الكلي للآية، فلا ينبغي أن ننسى أن غاية مجالس القرآن إنما حصول التربية والتزكية أي تحصيل الربانية لا تحصيل العالمية[2]».

ولعل فيما أشرت إليه سابقًا فيه من القطع بما يكفي؛ ليدل على أن الدكتور فريد الأنصاري يرسم حدود عملية مدارسة القرآن والتى لايجوز تجاوزها وتعديها، أما من رام تحقيق العالمية فإن له أن ينهل ويغرف من مصادر التفسير ما يحقق له الاِكتفاء العلمي الذي ينشده ويرجوه.

المطلب الثالث: الخطوات المنهجية لتدارس القرآن:

يحدد الدكتور رَحِمَهُ ٱللَّهُ الخطوات المنهجية لتدارس القرآن الكريم وفق ما تقتضيه مجالس القرآن، التي تَغَيَّا منها ربط المسلم بمشروع الاِستظلال تحت رحمات آي القرآن وفهمه كما فهمه السلف من غير تكلف، أو تنطع،

(١) المرجع نفسه، ص: ٨٢.

(٢) المرجع السابق، ص: ٨٣.

أو كثير تركيب للكلام، الذي قد يُوهِنُ هذا الارتفاق بالقرآن الكريم في سلاسته وعذوبة لفظه.

وقد عبر عن هذا المقصد الجميل بقوله: «فمجالس القرآن: مشروع دعوي تربوي بسيط، سهل التنفيذ والتطبيق، سلس الانتشار؛ غايته تجديد الدين(١)، وإعادة بناء مفاهيمه في النفس وفي المجتمع.. بعيدًا عن جدل (المتكلمين الجدد)، وبعيدًا عن تعقيدات التنظيمات والهيئات.. بعيدًا عن الانتماءات السياسية الضيقة، والتصنيفات الحزبية المُربكة؛ لكن قريبًا من فضاء القرآن الكريم، بل في بحر جماله النوراني العظيم، وتحت شلال روحه الرباني الكريم»(٢)، فجاءت تلك الخطوات كما اختارها في ثلاثةٍ أصَّلَها القرآن الكريم؛ إذ عبرت عنها الآيات الحكيمة في غير ما موضع.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وقوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

(١) لا يفهم من كلام الدكتور إلى أنه يدعو إلى خطاب تجديد الدين وفق فلسفة تتبنى مُكنتها من الدراسات الغربية، والتي تروم نقض الدين من أصله، ولكنه ينطلق من التجديد بمفهومه النبوي والذي ورد في سنن أبي داود (كتاب الملاحم، باب: ما يُذكَرُ في قَرْنِ المِئَة، رقم/ ٤٢٩١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»، والحاكم في «المستدرك» (كتاب الفتن والملاحم، باب: أما حديث أبي عوانة، رقم/ ٨٥٩٢)، والألباني في «السلسلة الصحيحة» (أول الكتاب، رقم/ ٥٩٩)، وقال عنه سنده صحيح، ورجاله ثقات، رجال مسلم. وقد أبان الدكتور الأنصاري عن مراده بالتجديد، والذي يرتبط بفعل البعث المعبر عنه في الحديث، فلا تجديد إلا ببعث من الله تعالى، ولا بعث إلا بمفاهيم القرآن وصحيح السنة؛ وإلا كان التجديد عبثًا لا بعثًا، يُنظر المجالس، ص: ٥٨.

(٢) المجالس، ص: ٥٠ - ٥١.

وقوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

والظاهر من خلال هذه الآيات المباركات أنها أشارت كلها إلى منهج التعامل مع القرآن الكريم تلقيًا وأداءً، بدءًا بمنهج التلاوة ثم التعليم ثم التزكية، مع تقديم وتأخير بين كلمتي التعليم والتزكية، مما يحيل على تساؤل مفاهيمي يؤسس لنظرية تربوية تجيب عن ماهية التزكية وماهية التعليم، وأي هذين المفهومين أسبق من حيث الزمنُ في الفعل التربوي، فهل يشرع المربي أو الداعية في التعليم ومنه يُدلف إلى التزكية؛ أم يبدأ بالتزكية ليجد التعليم المهايع والقنوات ممهدة ميسرة، تكون نتائجها وحصيلاتها آكدية النفع.

وهذه الخطوات الثلاث لا يمكن -بحسب الدكتور- تجزيئها أو التعامل مع واحدة منها دون ربطها بأخرييها من الخطوات في صعيد منهجي واحد متراكب مفض إلى المقصود والمنشود من التمسك بالكتاب، والأخذ به بقوة، يقول الدكتور: «التلاوة والتعليم والتزكية: هي الأصول الكلية لمهمة الرسالة، وهي المراحل الأساسية لبناء النفس المؤمنة، وتكوين النسيج الإِجتماعي الإسلامي؛ إلا أنها مراحل متداخلة في عملية الإِشتغال بالقرآن الكريم لهذا الغرض؛ إذ يصعب القول بأنها منقطعة مبتوتة المفاصل، بل هي متواصلة، يكملُ آخرُها أولَها، ويرفد أولُها آخرَها؛ إذ تجد بدايات اللاحقة منها منذ الشروع في السابقة، وتجد آثار السابقة مستمرة في اللاحقة، وإنما تتميز عن بعضها بالغلبة ليس إلا»(١). وها هي أُورِدُها تِباعا كما رتبها الدكتور على النحو الآتي:

(١) المرجع السابق، ص: ٦٢ و ٦٣.

١ - التلاوة بمنهج التلقي:

لا مندوحة لطالب فهم القرآن وتدبر آيه الكريمة من أن ينطلق رأسًا من هذا الكتاب، ولا يكون ذلك إلا بتحريك الشفاه به تلاوة وقراءة، والأمر بتلاوة القرآن وعدم هجرانه ندبت إليه آيات الكتاب -نفسها- وأحاديث رسول الله ﷺ.

من ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣].

ومنها قوله ﷻ: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].

وقوله ﷻ أيضا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

وفي الصحيح من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**»(١).

وهذه التلاوة والقراءة المنشودة والمدعو إليها على وِزان آي القرآن لا يعقل أن تكون مرسلة من غير حضور قلب ويقظة ذهن، تلاوةً للقرآن على أنه ذكر لله -تعالى- متلقى من لدن حكيم عليم، فالتلقي -بحسبه- استقبال القلب للوحي(٢)، قال ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦].

(١) رواه الإمام مسلم، (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل الماهر في القرآن والذي يتتعتع فيه)، (رقم/ ٢٤٤ - ٧٩٨).

(٢) مجالس القرآن، ص: ٦٦.

فالتلقي من الحكيم العليم، معناه -أيضًا- أن تُصغي إلى الله يخاطبك، كأن آياته تتنزل على موطن الحاجة من قلبك ووجدانك، لتنتقل هذه التلاوة من اللفظ والصوت إلى حضور القلب؛ ولتكون حينها بركة وزكاة في نفسها، ويعيش التالي للآيات على ذلكم الوِزان شُهُودِيَةَ التَّنَزُّل؛ «أَيْ: كأنما هو يشهد تَنَزُّلَه الآن غضًّا طريًّا، فيتدبر القرآن آية، آية، باعتبار أنها تنزلت عليه لتخاطبه هو في نفسه ووجدانه، فتبعث قلبه حيًا في عصره وزمانه... أن تتلقى القرآن: معناه إذن أن تصغي إلى الله يخاطبك! فتبصر حقائق الآيات وهي تتنزل على قلبك روحًا. وبهذا تقع اليقظة والتذكر، ثم يقع التَّخَلُّقُ بالقرآن»[(١)].

فإذا تحققت التلاوة بمنهج التلقي والشهود حصل للقلب التلذذ بكلام الله -تعالى- وانتقل الكلام إلى كونه ذكرًا يمهد القلب والفهم للخطوة التربوية الآتية.

٢- التَّعَلُّمُ والتَّعْلِيم بمنهج التَّدَارُس[(٢)]:

إن عملية التلاوة التي بُينت سلفًا لا تكون ذات غاية مستعرضة ممتدة في البركة والفضل إلا إذا تساوقت معها عمليات أُخر مرتبة في العملية التدبرية زمنًا وكيفًا، فبعد التلاوة بمنهج التلقي تأتي مرحلة تَعلم الآي وتعليمها على وزان التدارس بالمفهوم القرآني.

ولا غرو أن أجمل وأسمى وأسنى ما يتعلمه المرء ويعلمه: آي الكتاب الحكيم مبنى ومعنى، ومقصدًا ومسلكًا للتخلق.

فعن عقبة بن عامر الجهني، قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في

---

(١) نفسه، ص: ٦٦.

(٢) ينظر المرجع السابق، ص: ٦٨ و ٦٩، [بتصرف]، ومن كتاب بلاغ الرسالة القرآنية، ص: ١٥٩، [بتصرف].

الصُّفَّـةِ فقال: «**أيكم يحب أن يَغْدُوَ كلَّ يوم إلى بُطحَـانَ**[1] **أو العَقِيقِ**[2]؛ **فيأتي منه بناقَتين كَوْمَاوَيْنِ**[3] **زَهْرَاوَين**[4]، **يأخذهما بغير إثم بالله ﷻ ولا قطعِ رحِم؟**» قالوا: كلنا يا رسول الله! قال: «**فَلأَنْ يَغْدُوَ أحدكم كل يوم إلى المسجد؛ فيَتَعَلَّم آيتين من كتاب الله ﷻ؛ خير له من ناقتين، وثلاثٌ خير له من ثلاثٍ، وأربعٌ خير له من أربعٍ ومن أعدادهِنَّ من الإبل**»[5].

هذا التعلم يكون لأحكام القرآن وحكمه بمنهج التدارس والدراسة لآيات الوحـي وسـوره، مبنى ومعنـى، ويكون ذلك بتتبـع وجوه المعـاني والدلالات والمقاصـد والغايات من كل آية وسـورة، وتعلم ذلك كله ترتيلًا وتفسـيرًا، بما فيه ضبط ألفاظه وآياته ورسمه؛ للتعرف على أسراره وحكمه؛ فإذا تحققت هذه الخطوات على المنحى المبين تحققت الربانية والتي تُمْتَح من قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩].

---

(١) بُطْحَان: بالضم ثم السكون، كذا يقوله المحدثون أجمعون، وحكى أهل اللغة: بَطِحان، بفتح أوله وكسر ثانيه، وكذلك قَيده أبو عليّ القالي في كتاب البارع وأبو حاتم والبكري وقال: لا يجوز غيره، وهـو واد بالمدينـة، وهـو أحد أوديتها الثلاثـة، وهي العقيق وبطحـان وقناة، ينظر معجـم البلدان، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، ١/ ٤٤٦.

(٢) العَقِيـق: بفتح أوله، وكسـر ثانيه، وقافين بينهما ياء مثناة من تحت، قـال أبو منصور: والعرب تقول لكل مسـيل ماء شـقه السيل في الأرض فأنهره ووسـعه عقيق، قال: وفي بلاد العرب أربعة أعقّة وهي أودية عاديّة شقّتها السيول، وقال الأصمعي: الأعقّة الأودية ومنها: عقيق بناحية المدينة وفيه عيون ونخل، ينظر معجم البلدان، ٤/ ١٣٨ - ١٣٩.

(٣) ناقة كَومَاء: قُلِبَتْ الهمزَةُ فِي التَّثْنية وَاوًا، أَيْ مُشْـرفةَ السَّـنام عاليَته، تُنظر النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السـعادات المبارك ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، ٤/ ٢١١.

(٤) زَهْرَاوَيْـن أي: سـمينتين مائلتين إلى البياض من كثرة السـمن، يُنظر مرعاة المفاتيح شـرح مشـكاة المصابيح، لأبي الحسن عبيد الله المباركفوري، ٧/ ١٧٣.

(٥) رواه الإمـام مسـلم، باب: (كتاب صلاة المسـافرين وقصرهـا، باب فضل قراءة القـرآن في الصلاة وتعلمه)، (رقم/ ٢٥١ - ٨٠٣).

«فالتدارس[1] للقرآن الكريم (أو المُدارسة) هو المنهج التعليمي الكفيل بالوصول بالدارس إلى الحكمة، التي بمقتضاها يصير ربانيًا»[2]. والرباني هو: «عمادُ الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا، وهو الجامعُ إلى العلم والفقه، البصر بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية، وما يصلحهم في دُنياهم ودينهم، الذي يُبَصِّره علمه بضرورة العمل فلا ينفك أحدهما عن الآخر»[3].

٣- التَّدَبُّر بمنهج الاِستبصار[4]:

إن تحقق التزكية التي أشارت إليها الآيات المذكورة آنفًا، تستلزم استدعاء عملية التَّدَبُّر؛ فإذا قرأ الدارس للقرآن الكريم بمنهج التلقي، ثم تعلَّمه وعلَّمه على وِزان المدارسة والتدارس، آن له أن ينظر في مآلات الآيات وعواقبها في النفس والمجتمع بمنهج التدبر، وهو الذي يورث القلبَ الاِعتبارَ، ويمنح النفسَ العزيمةَ على الدخول في الأعمال؛ فهو إذن عملية قلبية ذوقية محضة[5]، وهو غاية إنزال القرآن لقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩].

(١) مصطلح التدارس مصطلح نبوي، ومنهج جبريل في تعليم النبي ﷺ آيات الوحي، ويشهد على ذلك ما رواه الإمام البخاري من حديث الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان، فَيُدَارِسُهُ القرآن، فَلَرسول الله ﷺ أجودُ بالخير من الريح المرسلة»، صحيح البخاري، (كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ)، (رقم / ٦)، ويا عجبا كيف جُمِع بين التَّدارُس وهو منهج تعليمي وبين الجود وهو ثمرة عملية؛ إنه إذن ربط العلم بالعمل، فكل علم ليس تحته عمل فهو باطل على شرط المقاصديين.

(٢) مجالس القرآن، ص: ٦٨.

(٣) ينظر جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، ٦/ ٥٤٤.

(٤) ينظر المجالس، ص: ٧٢ و٧٣ و٧٤، وينظر كتاب بلاغ الرسالة القرآنية، ص: ٤٤ و٤٥ و١٥٧ و١٦٨.

(٥) لا يفهم من ذلك أن الدكتور فريد يدعو إلى منهج إشاري أو باطني في فهم الوحي، فلا يُدلف إلى الذوق إلا بعد التلاوة المنهجية والمدارسة الرصينة.

إنَّ حصول التذكر مرتبط بالتدبر، وهما مقصدا الإنزال، وبهما تسري بركات الآي على المتلقين والمستقبلين من أهل الإيمان، «ولولا التدبر لما حصل التذكر الذي هو يقظة القلب، وعمران الوجدان بالإيمان. فالتدبر هو المنهج القرآني المأمور به لقراءة القرآن العظيم؛ ومن هنا زَجْرُهُ تعالى للناس الذين لا يتدبرونه، قال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤]»(١).

هذه العملية واقعة في النفس لا في النص، عملية تَمْتَحُ المعاني والحكم من التدارس، ثم تدخل بها إلى أعماق النفس، ثم تخرج بها إلى مطالعة أحوال المجتمع، بخلاف التدارس الذي هو عملية تعليمية ذهنية، تشتغل من داخل النص القرآني لا من خارجه، وينتجها العقل في علاقته بنص الخطاب القرآني مباشرة وفي ارتباطه بلغته وأساليبه.

وبعد التدبر تلج إلى باب آخر صِنوٍ له وهو التَّفَكُّر، الذي غالبًا ما يرد مذكورًا في القرآن في سياق النظر في خلق الله والتأمل في بديع صنعه، فإذا كان التدبر هو المنهاج الرباني لقراءة القرآن، فإن التفكر هو المنهج القرآني لقراءة الكون، فيكون كل متدبر للقرآن متفكرًا في الكون، فتقرأ بقراءة القرآن كل آيات الله المنظورة والمقروءة سواء، فإذا استنارت حقائق الآيات القرآنية بالتدبر واستنارت حقائق الآيات الكونية بالتفكر، حصل الإبصار للمتدبرين والمتفكرين وكانت لهم فيها مشاهدات، لاتكون لغيرهم، قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

«هكذا وجب أن تقرأ القرآن آية، آية؛ اِقرأ وتدبر ثم أبصر!.. عسى أن ترى مالم تَرَ، وتدرك من حقائقه ما لم تُدرك من قبل؛ فتكون له متدبرًا حقًّا.

(١) مجالس القرآن، ص: ٧٣.

ذلك كله هو أساس التزكية، ومقياس التصفية، ومنهاج التربية، وسُلَّم العروج إلى رضا الرحمن»[(١)].

وجماع هذه الخطوات الثلاث أو الأربع -إذا اعتبرنا الإبصار عملية مستقلة عن التدبر- يلخصه قول الدكتور فريد الأنصاري: «تتبع منهج القرآن كما عرضه القرآن: التلاوة والتعلم والتعليم والدراسة والتدارس، ثم التدبر بمعنى أن تكون من المبصرين، فاجعل مجلسك القرآني على هذه الفقرات الأربع الموصلة إلى كتاب الله وسنة رسول ﷺ»[(٢)].

المطلب الرابع: السور المنتقاة للتدارس والاِستبصار واستمداداته المعرفية والمنهجية:

بعد التأسيس لمنهجه الموصل إلى استبصار الرسائل القرآنية، عمد الدكتور فريد إلى الشق العملي الهادف إلى إخراج مشروعه الدعوي لمجالس القرآن، من القوة إلى الفعل، وقد اختار لذلك انتقاء بعض سور القرآن الكريم، انتقاءًا بَيَّنَ علَّته ومقصده، اِستهله بفاتحة الكتاب ثم بسورة الفرقان ثم بسورة يس، واختتم بسورة الحجرات، وأما عن مسوِّغات اختياراته تلك فأورِدها كما ساقها الدكتور، على النحو الآتي[(٣)]:

◈ **فأما الفاتحة** فهي الباب الأول لكتاب الله، موقعًا وتدبرًا، وهي سورة الصلاة التي تصحب المؤمن ليله ونهاره، ثم هي صخرة المعراج الأولى

(١) مجالس القرآن، ص: ٧٥.

(٢) بلاغ الرسالة القرآنية، ص: ١٧٥.

(٣) مجالس القرآن، ص: ٩٧.

الضرورية لكل من أراد التحليق في فضاء القرآن، ومن خلال مدارستها سيتبين لـك أنها فعلًا مما ينبغي للمؤمن الإبتـداء به تخلُّقًا وتحقُّقًا، عند إرادة الدخول إلى عالم القرآن.

◈ **وأما سـورة الفرقـان** -وهي تقع بأواسـط القرآن- فقد تَبيَّـن لنا أنها السـورة المُعرِّفة بالقرآن الكريم وبدعوته بامتيـاز! كأن الداخل إليها ينظر إلى قصـر القرآن من وسـطه، ويتجول في عمارتـه البديعة يمينًا وشـمالًا، كما بينَّاه مفصـلًا بمقدمتهـا، كمـا أن التخرج بمدرسـتها الرفيعة كفيـل بتأهيل المؤمن لِتَلَقي رسالات القرآن، والسلوك بمنازل «عباد الرحمن».

◈ **وأما سـورة يس،** -وهي بوابة الربع الأخير من القرآن- فهي مدرسة الدعـوة والداعيـة؛ إذ تضمنت مـن فقه الدعوة إلى الله وبيان منهاج السـير إليه تعالى قواعدَ رحمانية، ومعالم ربانية لا حق لداعية إلى الله أن يكون جاهلًا بها؛ ولذلك فهي جدير بأن تكون سورة مركزية في التداول التربوي العام والخاص، ومقررًا دراسيًا.

◈ **وأما سورة الحجرات** -وهي تقف على باب المفصّل- فهي دستور شامل لنظام الأخلاق الإجتماعية في الإسلام بما هي خادمة للأصل الأول من توحيـد الله وتفريـده. إنها تنفذ إلى أعماق النفس الإنسـانية بمقارض التهذيب والتشـذيب لتسـتأصل الأنانيات البغيضـة، وأمراض الفظاظـة والكبرياء، إنها مدرسـة ربانية، لا بد للمسـلم -أنَّى كان- أن يتلقى رسـالاتها واحدة واحدة، وإلا فشل في الإندماج بمحيطه الإجتماعي.

والمتملـي والمتأمـل في اختيارات الدكتور السـالفة، قـد يخرج بحقيقة مقصده من المدارسـة والتفسير، مدارسة تهيمن عليها مقصدية التزكية التربوية

الداخليـة للنفـس بتصفيـة عقيدة المسـلم، ووضعـه على الصراط المسـتقيم والمنهـاج الرباني الذي قوامه العيش بالقرآن ومعه، ثم حمله لمشـروع الدعوة من حيث هو مسـئول عن ذلك، ثم فعله الإصلاحـي في المجتمع الذي يعيش فيه. هذه الإشارات تجعل من محاولات الدكتور في المدارسة أميل لأن توسم بالتربوية والدعوية والإصلاحية.

ولخدمـة منهجـه في تـدارس السـور المنتقاة مَتَـحَ الدكتـور رَحِمَهُ ٱللَّهُ مادته المعرفيـة والمنهجية من مصادر ومراجع ودراسـات جعلها مُنطلقه المسـاعد والمفيـد في بناء مدارسـاته للقرآن، وقد صرح عنهـا في مقدمته لكتاب مجالس القرآن، مرتبًا لها بحسب درجة الإفادة والتأثر، وتوضيح ذلك على النحو الآتي:

❖ مـن حيـث منهـج التعامل مـع القـرآن الكريـم، فقد اسـتفاد فريد الأنصاري من الدكتور الشاهد البوشيخي، وعبَّر عن ذلكم بقوله: «حيث تلقينا عنه أصول المنهج وقواعده، نظرية وتطبيقًا»(١)، كما اسـتفاد من كتب رسـائل النور، لبديع الزمان النورسي.

❖ أما من حيث المادة التفسيرية -أو ما عبر عنه بالبيان العام-، فيقول مفصحًا عن اسـتمداداتها وطريقة التعامل معها بقوله: «فقد انتقيتها مما ترجح لدي من كلام المفسـرين ورواياتهم، وعلى رأسـهم الإمام أبو جعفر الطبري، والإمام ابن كثير -رحمة الله عليهما-. كما أنني كنت أرجع في تحقيق كثير من القضايـا إلى كتاب «**الكشـاف**» لجار الله الزمخشـري، و«**معالم التنزيـل**» للإمام البغـوي، و«**المحـرر الوجيـز**» لابن عطية الأندلسـي، و«**الجامـع لأحكام القـرآن**»

(١) مجالس القرآن، ص: ١٤.

للإمام أبي عبد الله القرطبي، و«**مفاتيح الغيب**» للإمام فخر الدين الرازي، و«**نظم الدرر**» للإمام نجم الدين البقاعي، و«**الدر المنثور**» للإمام السيوطي، و«**التحرير والتنوير**» للإمام الطاهر ابن عاشور، ثم إلى كتاب «**في ظلال القرآن**» للأستاذ سيد قطب -رحمة الله عليهم جميعًا-. وقد كنت خلال ذلك كله أصوغ ما استفدته من كتب التفسير منزلًا على مقتضى العصر»[(١)].

(١) المرجع السابق، ص: ١٤ - ١٥.

المبحث الثاني

منهجية الدكتور فريد الأنصاري في عرضه للسورة القرآنية

المطلب الأولى: منهجية عرض السورة، وخطواتها:

سار الدكتور فريد في عرضه للسور المنتقاة، وفق منهجية ظل وفيًا لها مع كل سورة، جمع فيها ما هو متداول ومبسوط في كتب التفسير، من حيث الطريقة المتبعة، وجاء بمفاهيم موسـومة بالجدة طرحًا ومضمونًا، ولعل التقسيم الذي سنكشـف عنه فيما يلي، كان اسـتجابة لظروف مجالس القـرآن التي قد تحتم علـى حاضريها والفاعليـن فيها مواءمة الحيز الزمني، والرسـائل القرآنية التي رامـوا الوصـول إليها من خـلال الآيات المتدارسـة بالخطـوات الثلاث التي أشرت إليها في المطالب الآنفة، أما عن تفصيل منهجيته فبيانها كما يلي[1]:

- **تحديده نوع السورة وعدد آياتها**، وفي كم من المجالس ستدرس؟.
- **تقديم بين يدي السورة المقصودة بالمدارسة**، تقديما كليًا يلخص فيه قضيتها ويعرف بشخصيتها[2].
- **تقسيم السورة إلى مجموعة آيات** تشكل وحدة متكاملة في ذاتها.
- **عرض الآيات المراد مدارستها**، وقد وسم هذه المرحلة **بآيات الإبتلاء**، أي باعتبارها آيات للعمل والتطبيق وحقائق للابتلاء والتكليف، لا مجرد كلام للقص والتأريخ.

(١) ينظر مجالس القرآن، ص: ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٤.

(٢) يفهم من هذا الأمر تأثر الدكتور بمنهج التفسـير الموضوعي، وسيظهر ذلك أيضًا من خلال تقسيمه للآيات بحسب وحدة الموضوع، وأيضًا من خلال العناية بذكر المناسبات بين الآي، أو من خلال الكشف عن عِلاقة اسم السورة ببعض موضوعاتها أو بقضيتها الأساس.

❖ **البيان العام:** ويعمد من خلاله إيراد خلاصات تفسيرية لما قاله المفسرون، وما مَنَّ الله به عليه من معانٍ -كما عبر عن ذلك-، دون الإغراق في الجدل الكلامي، أو الاِستطراد اللغوي، أو التفريع الفقهي، إلا ما دعت إليه ضرورة البيان.

❖ **الهدى المنهاجي:** ويقصد به ما يتحصل للمتدبر والدارس لآي القرآن الكريم من رسالات منهجية، مع تقسيم حقائق الهدى المنهاجي إلى رسالات ذات عناوين مستقلة، تشكل كل واحدة منها خطوة إيمانية من خطوات إصلاح النفس.

❖ **مسلك التخلق:** ويكشف فيه عن المسلك العملي والتطبيقي للرسالات المتدبرة والمستخلصة.

❖ **الخاتمة:** يذكر من خلالها أهم حقائق السورة، مع بيان علاقتها بالنفس تحقيقًا وتقويمًا.

وهو في ذلك كله لا يغفل الاِستدلال ببعض الآيات التي تشترك مع الآيات المتدارسة في الموضوع، من باب تفسير القرآن بالقرآن، وكذلك الاِستدلال بالحديث النبوي، وذكر بعض أسباب النزول، وذلكم ما سأبين عنه من خلال المطلب الموالي.

المطلب الثاني: التطبيق والتمثيل لمنهجية الدكتور في مدارسة السورة[1]:

سأحاول من خلال هذا المطلب -بإذن الله- التمثيل لمنهجية الدكتور فريد في عرضه للسورة القرآنية، مقتصرًا في ذلك على سورة الحجرات ممثلًا.

(١) ينظر مجالس القرآن، من ص: ٣٦١ إلى ٤٠٢.

فقد استهل الدكتور الأنصاري مدارستها ببيان نوعها وعدد آياتها، ومقسمًا لها إلى خمسة مجالس وهي:

- مجلس في مقام التلقي لأدب الطاعة لله ورسوله والتوقير لمقام النبوة.[1]
- مجلس في مقام التلقي لموازين الأنباء.[2]
- مجلس في مقام التلقي لموازين العدل والإصلاح، وحقيقة الأخوة في الله.[3]
- مجلس في مقام التلقي لحقوق الأخوة في الله ولجمال التعارف الروحي في ذاته سبحانه.[4]
- مجلس في مقام التلقي لمفهوم الإيمان الحق، وفرق ما بينه وبين الإسلام العام.[5]

وقبل تفصيله في كل مجلس على حدة، اِستهل حديثه عن السورة بمقدمة بيَّن فيها موضوعاتها ومقاصدها وما يميزها عن غيرها من سور القرآن الكريم، مُركِّزًا على مقام الأدب في السورة، أدب العبد مع ربه، وأدبه مع الرسول ﷺ، وأدبه مع إخوانه.

وفي ذلك يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنها سورة جامعة لكل أدب السير إلى الله، سواء على المستوى التعبدي المحض، أو على المستوى الاجتماعي العام، وهذا

(١) ينظر المرجع نفسه، ص: ٣٦٤.
(٢) نفسه، ص: ٣٧١.
(٣) نفسه، ص: ٣٧٧.
(٤) نفسه، ص: ٣٨٤.
(٥) نفسه، ص: ٣٩٤.

إنمـا هو فرع عن ذلك. ولـم تزل آياتها العظيمة -من أول السـورة إلى آخرها- تؤثث عمران الروح وتحليه بالحكم الربانية الرفيعة، وتتناول النفس الإنسانية بالتأديب والتخلية من خبائثها الظاهرة والباطنة، وتصفي الحقائق الإيمانية مما علِق بها من أدران النفس وأوسـاخ الجاهليـة؛ حتى تنجلي مرآتها وتصفو على مقام الإيمان الخالص لله، ذلكم هو الموضوع الرئيس للسورة»[1].

ولا يخلو كلامه -وهو يقدم للسـورة- من بدائع الإشـارات ولطائف المعـاني، ومن ذلك أنه يربط بين اسـم السـورة ومقصدها العام يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنهـا إذن سـورة الموانع والكوابح، صحيح إنها سـميت بـالحجرات؛ لما ذكـر فيهـا من توجيه ربـاني للأعراب الذيـن كانوا ينادون الرسـول ﷺ من وراء بيوتاتـه بفظاظـة وغلظة، ولا يراعون أدب الاِسـتئذان، ولا مقام سـيد الخلق -عليه الصلاة والسلام-.

ولكن في تسميتها بذلك أيضًا دلالة على أنها سورة الموانع والكوابح كما ذكرنا؛ لما في معنى الحجرة من معاني الحجر والمنع، الذي هو أصل اسـتعمال هذه المادة في اللغة. فكأن كل آية من آياتها حجرة تحفظ دين المؤمن وتسترعرضه وتمنع غيره من التعدي عليه أو إيذائه بأي نوع من أنواع الأذى؛ ومن هنا جاءت آياتها نسيجًا مشدودًا إلى تعابير النهي القوية الشديدة، القاضية بالانقطاع الفوري والـترك الكلـي للمنهيات المذكـورة، مع بيان مفاسـدها الاِجتماعية وأسـبابها الشيطانية. إنها سورة لكبح جماح شهوات اللسان، وسائر نوازغ الشيطان، ومن هنا كانت «الحجرات»، سورة اجتماعية من الطراز الأول»[2].

---

(١) مجالس القرآن، ص: ٣٦١.

(٢) مجالس القرآن، ص: ٣٦٣.

وبعـد تقديمه لسـورة الحجرات ذاكـرًا ابتداء عدهـا في (١٨) آية، وأنها مدنية النزول[(١)]، أدلَف إلى عرض آيات الِابتلاء الخاصة بكل مجلس قرآني من مجالس السورة الخمسة، جامعًا فيها ما يلائم موضوعه، فإذا انتهى من تقسيمه لآيات الِابتلاء، أفرد كل مجلس ببيانه العام، والهدى المنهاجي المستفاد منه، ثم مسلك التخلق منه، ثم خاتمة خاصة به.

ففي البيان العام مثلًا يحاول الكشـف عن بعض الإشارات اللغوية، من قبيـل قوله: «فالغـض هو الحفظ برفـق والعطف بلين، وهو عادة ما يسـتعمل في ثنـي الأمور الرطبة المطاوعـة، كالأغصان الغضة»[(٢)]، ويـورد بعض أقوال المفسرين، من ذلك: «وقال ابن كثير: قال العلماء يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ، كما كان يكره في حياته -عليه الصلاة والسلام-»[(٣)].

وكان -رحمـه الله تعالى- يذكر المناسـبات بين الآيات بعبارات رابطة، ففي معرض حديثه عن عدم التقدم بين يدي الله ورسوله بحسب الآية الأولى، جعل عدم رفع الصوت على النبي ﷺ امتدادًا لعدم التقدم على الله، ورسوله.

وفي ذلـك يقول الدكتور: «ثم إن العبد الحـق إنما هو من داخله الخوف من سـيده، لما علم عنه من عظمة سـلطانه، وسـعة ملكه وملكوته ولما تجلى على قلبه من نور أسـمائه الحسـنى وصفاته العلى؛ فلَان لربه وخضع وخشع، حتـى إذا كان بين يدي رسـوله ﷺ شـاهد فيه مـن مقام النبوة العظيم رسـولًا كريمًـا مـن رب كريم؛ فتجلَّت عليه أحـوال الرهبة والرغبة، وأشـواق المحبة والسـلام؛ توقيرًا وتعظيمًا لمن جاءه بالسـلام فلا يملك قلبه آنئذ بين يديه ﷺ

(١) ينظر المرجع نفسه، ص: ٣٥٩.

(٢) المرجع نفسه، ص: ٣٦٧.

(٣) نفسه، ص: ٣٦٧.

إلا أن يذعن ويخضع، ثم لا يجد من صوته ولسانه -بعد ذلك- إلا قنوتًا عميقًا وخشوعًا. ومن هنا ساق الحق تعالى هذا التأديب الثاني للمؤمنين، فقال جل ثناؤه: قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَـٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢]»[1].

ولا يفوته وهو في معرض البيان ذكر بعض أسباب النزول مما يستقيه من مظان التفسير من ذلك قوله: «وقد روي أن هذه الآيات -ابتداء من مطلع السورة- نزلت في الشيخين: أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن الزبير قال: (أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أَمِّر القعقاع بن معبد بن زرارة قال عمر: بل أَمِّر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما؛ فنزل في ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الحجرات: ٤- ٥]، حتى انقضت)[2]»[3].

وقد يستحضر الدكتور رحمه الله في معرض بيانه العام لآيات الإبتلاء بعض العلوم المساعدة على فهم المراد من قوله تعالى، من ذلك ذكر الناسخ والمنسوخ من الآيات وتجلية حكمة النسخ، يقول: «بل قد لزم الصحابة -في المنسوخ من القرآن- تقديم بين يدي نجواه ﷺ صدقة؛ لإشعارهم بنعمة تفردهم بلُقياه ومناجاته ﷺ، وهو رسول الأمة جمعاء، أولها وآخرها فكان حقًّا على من تفرد بوقت يسير من محادثته أن يتصدق لله بصدقة ثم نُسِخ

(١) نفسه، ص: ٣٦٥ - ٣٦٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (باب وفد بني تميم)، (رقم/ ٤١٠٩).

(٣) مجالس القرآن، ص: ٣٦٧.

حُكمهـا ولم تُنسـخ حِكمتها، بل بقيـت قرآنا يُتلى إلى يـوم القيامة؛ لأن الأمة كلها -أولها وآخرها- في حاجة إلى هذا المعنى العظيم»[1].

ولا يخلـو بيـان الدكتـور من الاسـتدلال ببعض الآيات المتسـاوقة من حيث المعنى والموضوع مع آيات الابتلاء، وهو في ذلك ينحو منحى التفسير بالقـرآن، أو لنقل تجميـع آيات ذات الموضوع الواحد، وقـد برز ذلك في غير مـا موضـع مـن كلام الدكتور، وذلك من قبيـل قوله: «كل ذلك كان في سـياق تربية الصحابة - وأجيال الأمة من بعده - على الطاعة التامة لرسـول الله، وهو قوله تعالى في سورة المجادلة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المجادلة: ١٢، ١٣]»[2].

فإذا فرغ من البيان العام انتقل إلى اسـتخلاص الرسـائل التي تشـكل في مجموعها الهدى المنهاجي لآيات الإبتلاء، وتلمس من كلامه حينها تنقلًا بين العبارات والإشارات والموعظة والتنبيه وشحذ الهمم.

وأمثل لذلك ببعض ما قاله عن الرسالة الأولى من المجلس الأول: «في أن كمـال الإيمان والإخلاص هو في كمـال الطاعة، وإنما العبد الصادق يكفيه أن يعلـم أن ذلـك الأمـر قد جـاء عن الله، أو صـح عن رسـول الله ﷺ ليقول: سـمعنا وأطعنـا، وليبادر علـى الفور إلى الدخـول في العمل، مجيبًـا ربه بنداء الطاعة: لبيك اللهم لبيك[3]».

(١) المرجع السابق، ص: ٣٦٦.
(٢) نفسه، ص: ٣٦٦.
(٣) المرجع السابق، ص: ٣٦٨.

غير أني -وأنا معجب بكلام الدكتور فريد ونوادر استنتاجاته وتأملاته الفذة- أرى يقينًا أنه من الصعب أن يوفق غيره إلى مثل ما يصل إليه، لا من باب العجز؛ ولكن من باب أن الجانب الخاص بالهدى المنهاجي لا ينضبط وفق قواعد ومقدمات تؤدي إلى النتائج عينها، وبالتالي فإن تعميم تجربة مجالس القرآن على المنوال الذي سلكه الدكتور، قد يقف عند البيان العام للآيات، ثم لأن التأملات تخضع إلى المستوى المعرفي للمتدبر وما يفتح الله به عليه، وهذا غير منضبط.

أما مسلك التخلق، فيجعله لبيان ما تُترجم به الرسائل إلى أعمال في حياة الفرد والمجتمع، من ذلك قوله مثلًا: «التعرف إلى الله وعلى مقامه العظيم بمداومة النظر في كتابه تلاوة وتدبرًا، وخصوصًا ما تعلق منه بآيات الخلق والتقدير، والرعاية والتدبير، والإحياء والإماتة، وسائر شؤون ربوبيته ومقتضيات إلاهيته، وما تعلق بذلك كله من أسمائه الحسنى خاصة؛ فإنها مفتاح عظيم للتعرف إلى الله ومحبته، كما يكون ذلك بمداومة النظر في كتاب الكون ومشاهدة آيات الله فيه، والتفكر في جمال خلقه ودقة صنعه، وسعة مُلكة وعظمة سلطانه، ومشاهدة تجليات أسمائه الحسنى في مسيرة الكون كله أرضه وسمائه، وفي معارض تحولات الملكوت ما بين أزمنته وفصوله، ومنازل أفلاكه وكواكبه، فإن في ذلك ما يملأ القلب رَغَبًا ورَهَبًا، ويزيده تقربًا إلى الله تعالى ومعرفة به»(١).

ثم يختم السورة بخاتمة يجلي فيها شعوره بعد ما وصل إليه من البصائر المتدبرة، ويخاطب فيها نفسه بلغة منبهة واعظة، لتتحرك صوب نداءات

(١) مجالس القرآن، ص: ٣٧٠.

الرحمان ملبية وخاشعة ونادمة، ولكم أن تتأملوا في جميل ما قاله من خلال خاتمة حسنة لسورة الحجرات، أورد أغلبها من غير تصرف: «وبعد، ماذا أنت فاعل يا قلبي الكليل بين يدي هذه المعارج العالية الرفيعة؟ وكيف أنت متصرف إزاء هذه الرسالات القوية البليغة؟ كيف؟ وقد قامت عليك الحجة وبلغ البيان؟! قد سبق المُفَرّدون وبلغ الصديقُون وأنت يا قلبي -واحسرتاه! - ما تزال تلهث متعثرًا، لا تنهض لك عزيمة ولا يستقيم لك سير! تَصرِفُكَ الشهوات والأهواء عن مواصلة الطريق وفرصة الِإستئناف على وشك الِإنتهاء والملائكة تستعد لطي الصحف. أَزَفَت الآزفةُ يا صاح وتقارب الزمان، فالبدار البدار قبل فوات الأوان.

فأما هذه السورة، فإذا خرجت من امتحاناتها فائزًا بعهدين اثنين، فقد فزت بأهم مقاصدها، وتخلقت بغاية رسالاتها، وذلك أعلى مقاماتها:

فأما العهد الأول: فهو عهد الأدب ذلة لله وافتقارًا. **وأما العهد الثاني:** فهو عهد الصمت ومراقبة اللسان، فذانك موثقان عظيمان بينك وبين ربك، يُصَدِّقُهُمَا العمل أو يكذبهما.

وتلك هي الخاتمة الكلية التي ختم الله بها السورة؛ إذ قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحجرات: ١٨]..»[(١)].

(١) ينظر المرجع نفسه، ص: ٤٠٢.

الخاتمة

وحُمادى القول وجماعه، لا مندوحة من أن أشير إلى أمور أحسبها آكد بشد الاِنتباه إليها، أجملها مرتبة بحسْبِ الذي يلي:

◈ إن المغرب كان وسيظل أمة ولأّدة للعلماء في كل زمان وفي كل مكان، هؤلاء العلماء لم يكونوا كتبة مقمشين، بل كانوا أهل دراية وذكاء مفتشين، ومن هؤلاء الدكتور فريد الأنصاري -رحمة الله عليه-، الأمر الذي يلزم الغيورين على هذا البلد وسياجه العلمي، أن يعملوا جهودهم في إحياء تراث هذه الأمة، ونخلها ونشرها نقية إلى الجيل الذي لم يتسن له ملامسة أولئك الأفذاذ الأعلام.

◈ إن مشروع الدكتور في التأسيس لمجالس القرآن لهو المهيع البين، للوصول إلى ربط الأمة بالقرآن الكريم خاصتهم وعامتهم.

◈ إن الاِتجاه الذي يغلب على محاولة الدكتور في تدبر القرآن، هو الاِتجاه التربوي والدعوي والإصلاحي.

◈ إن محاولاته التفسيرية لا تقف عند هذا المقصد، بل تتعداه إلى التدبر والتفكر والاِستبصار.

◈ إن ما يؤاخذ على هذه المحاولة، هي صعوبة السير على منوال الدكتور خصوصًا فيما يتعلق بالهدى المنهاجي، كون هذا الأمر لا ينضبط وفق أصول وقواعد موحدة.

◈ إننا بحاجة ماسة إلى الحسم في أصول التفسير وقواعده ومناهجه، ثم التفكير بجد في التأسيس لمشروع أصول التدبر والتفكر.

تم بحمد الله..

مجلة تدبر

ملحق

ترجمة الدكتور فريد الأنصاري

- هو فريد بن الحسن الأنصاري الخزرجي السِّجلماسي، ولد بإقليم الرشيدية جنوب شرق المغرب، عام: (١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)، وتوفي بتركيا سنة: (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، ثم نقل جثمانه إلى المغرب ليدفن بمقبرة الزيتون بمكناس.
- حاصل على دكتوراة الدولة في الدراسات الإسلامية، تخصص أصول الفقه، من جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب، المحمدية، المغرب.
- حاصل على دبلوم الدراسات العليا، دكتوراة السلك الثالث في الدراسات الإسلامية، تخصص أصول الفقه، من جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، الرباط.
- حاصل على دبلوم الدراسات الجامعية العليا (نظام تكوين المكونين)، الماجستير في الدراسات الإسلامية، تخصص أصول الفقه، من جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، الرباط.
- حاصل على الإجازة في الدراسات الإسلامية من جامعة محمد بن عبد الله، كلية الآداب، فاس، المغرب.
- عضو المجلس العلمي الأعلى للمغرب.
- رئيس المجلس العلمي المحلي بمكناس سابقًا.
- عضو اللجنة العلمية لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة مولاي إسماعيل، مكناس.

- عضو مؤسس لمعهد الدراسات المصطلحية، التابع لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد بن عبد الله، بفاس.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.
- رئيس سابق لشعبة الدراسات الإسلامية بكلية الآداب، جامعة مولاي إسماعيل بمكناس، المغرب، لسنوات: ٢٠٠٠ - ٢٠٠١ م إلى ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣م.
- أستاذ زائر بدار الحديث الحسنية للدراسات الإسلامية العليا بالرباط لسنتي: ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ م و ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥ م.
- أستاذ بمركز تكوين الأئمة والمرشدات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط.
- رئيس وحدة الدراسات العليا: الاجتهاد المقاصدي: التاريخ والمنهج، بجامعة مولاي إسماعيل بمكناس.
- أستاذ أصول الفقه ومقاصد الشريعة بجامعة مولاي إسماعيل بمكناس.
- أستاذ كرسي التفسير بالجامع العتيق لمدينة مكناس.
- خطيب جمعة وواعظ بعدد جوامع مكناس.
- **له إنتاجات علمية ومنهجية ودعوية عديدة ومتنوعة منها:**
  - التوحيد والوساطة في التربية الدعوية (في جزئين).
  - أبجديات البحث في العلوم الشرعية: محاولة في التأصيل المنهجي.
  - قناديل الصلاة: مشاهدات في منازل الجمال (كتاب في المقاصد الجمالية للصلاة).

- الفجور السياسي والحركة الإسلامية بالمغرب: دراسة في التدافع الاجتماعي.
- المصطلح الأصولي عند الشاطبي (أطروحة الدكتوراة).
- ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله.
- جمالية الدين: كتاب في المقاصد الجمالية للدين.
- بلاغ الرسالة القرآنية من أجل إبصار لآيات الطريق.
- سيماء المرأة في الإسلام بين النفس والصورة (تُرجم للفرنسية).
- البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي: نحو بيان قرآني للدعوة الإسلامية.
- مجالس القرآن من التلقي إلى التزكية (تُرجم للفرنسية).
- مفهوم العالِمية من الكتاب إلى الربانية.
- مفاتح النور: نحو معجم شامل للمصطلحات المفتاحية لكليات رسائل النور لسعيد النورسي.
- الأخطاء السِّتة للحركة الإسلامية بالمغرب.
- الفطرية: بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام.
- الدين هو الصلاة والسجود لله باب الفرج.
- مجالس القرآن من التلقي إلى البلاغ مدارسات في رسالات الهدى المنهاجي للقرآن الكريم من التلقي إلى البلاغ.
- كاشف الأحزان ومسالح الأمان.

- مصطلحات أصولية في كتاب الموافقات للشاطبي (رسالة شهادة الدراسات العليا، نوقشت سنة: ١٩٨٩م بكلية الآداب بالرباط).

ولكون فريد الأنصاري عضوا في رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

كانت له أعمال أدبية منها:

- ديوان القصائد (الدار البيضاء ١٩٩٢).
- الوعد (فاس ١٩٩٧).
- جداول الروح (بالاشتراك مع الشاعر المغربي عبد الناصر لقاح) مكناس ١٩٩٧.
- ديوان الإشارات (الدار البيضاء ١٩٩٩).
- كشف المحجوب (رواية) فاس ١٩٩٩.
- مشاهدات بديع الزمان النورسي (ديوان شعر) فاس ٢٠٠٤.
- آخر الفرسان (رواية).
- ديوان المقامات.
- ديوان المواجيد.
- من يحب فرنسا؟ (شعر مشترك مع الشاعر عبد الناصر لقاح).
- عودة الفرسان (رواية)، ألفها سيرة لمحمد فتح الله كولن.
- كيف تلهو وتلعب! (قصيدة).

وفي الخميس ٥ نوفمبر ٢٠٠٩، بمستشفى سماء بإسطنبول بتركيا، توفي العلامة الأنصاري، ونُقِل جثمانه إلى المغرب، ليدفن بمدينة مكناس، يوم الأحد ٨ نوفمبر ٢٠٠٩، في مقبرة الزيتون، بعد أداء صلاة الجنازة عليه عقيب صلاة الظهر، بمسجد الأزهر، بحي السلطان محمد بن عبد الله، فرحم الله الفقيد رحمة واسعة.

المصادر والمراجع

١. «مصحف المدينة النبوية»، المطبوع في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، عام: (١٤٢٢هـ).

٢. «أبجديات البحث في العلوم الشرعية»، للدكتور فريد الأنصاري، منشورات الفرقان، الطبعة الأولى، سنة: (١٩٩٧م).

٣. «بلاغ الرسالة القرآنية»، من أجل إبصار لآيات الطريق، للدكتور فريد الأنصاري، دار السلام للطباعة والنشر، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، سنة: (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

٤. «جامع البيان في تأويل القرآن»، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: (١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م).

٥. «الجامع الصحيح المختصر المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»، (صحيح البخاري)، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، نشر دار ابن كثير، اليمامة -بيروت- الطبعة الثالثة، سنة: (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

٦. «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض - طبعة سنة: (١٣١٥هـ/ ١٩٩٥م).

٧. «سنن أبي داود»، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِستاني(ت٢٧٥هـ)، تحقيق شُعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية -بيروت-، الطبعة الأولى، سنة:(١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

٨. «مجالس القرآن، مدارسات في رسائل الهدى المنهاجي للقرآن الكريم، من التلقي إلى البلاغ»، للدكتور فريد الأنصاري، دار السلام للطباعة والتوزيع والترجمة، الطبعة الثانية، سنة: (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).

٩. «مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»، لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (ت١٤١٤هـ)، نشر إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء -الجامعة السلفية- بنارس -الهند-، الطبعة: الثالثة: (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

١٠. «المستدرك على الصحيحين»، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد الطهماني النيسابوري(ت٤٠٥هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية -بيروت-، الطبعة الأولى، سنة:(١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

١١. «المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ»، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي -بيروت- (د ت ط).

١٢. «معجم البلدان»، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر -بيروت- الطبعة الثانية، سنة: (١٩٩٥م).

١٣. «مقدمة في مناهج البحث في العلوم الإسلامية»، لمولاي مصطفى الهند، دار الفكر، الطبعة الأولى، سنة: (١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م).

١٤. «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى -محمود محمد الطناحي، نشر المكتبة العلمية -بيروت-، طبعة سنة: (١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).

١٥. «المعجم الكبير»، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الشامي الطبراني، (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، نشر مكتبة العلوم والحكم -الموصل-، الطبعة الثانية: (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣ م).

١٦. «تهذيب اللغة»، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، نشر دار إحياء التراث العربي -بيروت-، الطبعة الأولى: (٢٠٠١م).

فهرس الموضوعات



البحث الثالث

الجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ مِنْ خِلَالِ سُورَةِ المَسَدِ

د. عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ السَّكَاكِر

الأستاذ المشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

- حصل على درجة الدكتوراة من كلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بأطروحته: مشكل القرآن في تفسير ابن عاشور -جمعًا ودراسة-.
- حصل على درجة الماجستير من كلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بأطروحته: تحقيق كتاب هداية الإنسان إلى الاستغناء بالقرآن من الباب الحادي والثمانين إلى نهاية الجزء.

النتاج العلمي:

١- تحقيق رسالة في (أن نزول قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ .... ﴾ في المنافقين). للسيواسي ت ١٠٤٩.

٢- الصلة بين السياق وأسباب النزول دراسة تطبيقية.

٣- تقريب غريب القرآن بالوسائل الحديثة بين التأصيل والتطبيق.

٤- الملائكة في القرآن.

٥- معالم الرحمة في سيرة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم

٦- الأساليب اللفظية البيانية في الروايات التفسيرية.

٧- الوسائل الإيضاحية في الروايات التفسيرية.

البريد الإلكتروني: *skakeer@gmail.com*

مجلة تدبر

مستخلص البحث

هذا بحثٌ يتعلق بأحد موضوعات التفسير الموضوعي، حيث يُبَيِّن للقارئ والمتدبر مدى بروز هذا الموضوع في آيات القرآن الكريم، وكيف رسَّخ الله ﷻ في كتابِهِ مبدَأ العَدالَةِ، وقضى بأنَّ المرء إنما يُجازَى بشيء من جِنْسِ عمله، وبما يُقابِلُ صَنِيعَهُ، ويماثل فِعْلَتَه، وأن هذه القاعدة من مواضع التدبُّر في القرآن، وقد استَنْتَجْتُ من خلال بحثي أن الأدلة على قاعدة «**الجزاء من جنس العمل**» قد تكون ظاهرة واضحة الدلالة، وقد تكون خفية يستخرجها مَن تأمل في كلام الله ودقق في هذا العلم وطالع كتب التفاسير؛ كما في سورة المسد، وهي من أخصر السور التي يتجلَّى فيها هذا المفهوم، لذا جعلتها موضع دراستي لهذا الموضوع المهمِّ، وهي ثَرِيَّةٌ بهذا المفهوم، حيث يستنبط منها في كل آية بل أحيانًا في الكلمة الواحدة -كـ(تبت)، و(اللهب)، و(جيدها) - قاعدة الجزاء من جنس العمل، وقد كان أبو لهب عَمُّ النبي ﷺ مِحْوَرَ هذه السورة، وسببَ نُزُولِها، فاستَعْرَضَت السورةُ عداوتَه وعداوةَ امرَأتِه للنبي ﷺ، وبَيَّنَتْ أنهما يُجزَيان من تلك العداوة بما يجانس أذاهما له، وبعد انتهائي من البحث أحببت أن أوصي من عُنِي بهذا الفنَّ بالمزيد من البحث في هذا الموضوع والتفنن في إبراز صُوَرِه وحيْثِيَّاتِه، وأن يقارنوا هذه القاعدةَ بمَثِيلاتها من القواعد كقاعدة: «**المعاملة بنقيض القصد**» في دراساتهم الموضوعية، ثم أوصي أن يكون تناول هذا الموضوع أوسع للاستفادة منه في الخطب والمقالات والمواعظ.

الكلمات المفتاحية: الجزاء من جنس العمل - سورة المسد -تدبر- القرآن الكريم.

مجلة تدبر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا وسيدنا الرسول الأمين، وعلى أصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد،

فإنَّ قاعدة **(الجزاء من جنس العمل)** قاعدةٌ جَرَتْ على ألسِنة العلماء، ويستعملها الكثيرُ من الدُّعاةِ، يصِفُون بها حالَ مَن أصابته مصيبةٌ أو عقوبةٌ تُشْبِه أو تُضادُّ ما كان يعمله من ظلم ومعاصٍ وآثام.

والمتأمل في كثير من آيات القرآن الكريم يرى أنَّ هذه القاعدة لها شواهدها الكثيرة من آيات القرآن، ودلائلها الواضحة والمستنبطة في كثير من الآيات، إلا أن هناك بعض الآيات والسور لا يظهر فيها أن الجزاء من جنس العمل إلا بعد تأمل وتدبر تدبرًا دقيقًا للآية، فأحيانًا تكون خفيةً تحتاج إلى كشف وبيان، وذلك كما في سورة المسد، فأحببتُ أن أشارك بهذا البحثِ لكشف حقيقة هذه القاعدة المستنبطة من هذه السورة، وذكر شواهدها من القرآن، سواء في ذلك الشواهد الظاهرة الواضحة، أو الشواهد المستنبطة استنباطًا.

فأرجو من هذا البحثِ أن يسُدَّ -بإذن الله- هذه الثغرة من هذه الناحية، فيكون تفسيرًا موضوعيًا يدور حول موضوع معيَّن، يُؤَصِّله، ويُدَلِّل له، مع تطبيق ذلك على سورةٍ واحدةٍ من سُوَرِ القرآن الكريم، ألا وهي سورة المسد.

أهداف البحث:

يهدف البحثُ إلى تحقيق الآتي:

- تأصيل هذه القاعدة من خلال الأدلة القرآنية، وذلك بتفسير هذه القاعدة تفسيرًا موضوعيًا من خلال سورة المسد.
- استنباط أدِلَّةٍ على هذه القاعدة من ثنايا القرآن غير الأدلة المتداولة الظاهرة، فيكون في البحثِ تأطيرٌ للأدلة الظاهرة المتداولة بين الناس، واستنباطٌ لأدلةٍ أخرى غير ظاهرة، وهي قليلة التداول في الكتب وبين العلماء.
- بيان هذه القاعدة بيانًا واضحًا؛ حتى لا تُسْتَخْدم في غير معناها ومجالها الشرعي.
- تطبيق هذه القاعدة تطبيقًا تفصيليًا على سورة من سور القرآن، وهي سورة المسد.

أسباب اختيار الموضوع:

أما أسباب اختيار الموضوع؛ فهي على النحو التالي:

- ارتباط الموضوع بتدبر القرآن الكريم، الذي هو محورُ التفسير، ومنبع العلم، وأساس الهدى.
- عدم وجود الوضوح الكافي لهذه القاعدة عند كثيرٍ من الناس؛ فنراه يُطَبِّقُها في غير محلِّها الشرعي اللائق.
- عدم وجود البحث القرآنيِّ لهذه القاعدة من خلال سورة المسد، والذي يُعْطِي التصَوُّر الواضح لهذه المسألة من خلال آيات السورة.
- إرفاد المكتبة العلمية عامَّةً –ومكتبة التفسير الموضوعي خاصَّةً–

ببحث علميٍّ مُحَكَّمٍ ومُرَاجَعٍ من قِبَلِ المتخصِّصين بمسألة: **(الجزاء من جنس العمل)**.

◈ ملاحظاتي السابقة من خلال تدريسي للتفسير واطلاعي على كتبه؛ لاحظت أنَّ هذه السورة تتناول هذه القاعدة بشكل واضح.

◈ دراسة مِثل هذه المواضيع تُعين الدارسين والقارئين على الوصول إلى اليقين التامِّ بالعدل الإلهي.

أهمية الموضوع:

➢ إنَّ هذه الدراسة تُظْهِر كمال عدل الله تعالى، وذلك من خلال إبراز أنَّ جزاء الإنسان هو مِن جنس ما يعمله.

➢ هذه الدراسة تُقَوِّي العزائم، وتُنَشِّط الهمم للازدياد من الخيرات، وتبعث على المسارعة في الطاعات، وذلك لَمَّا يعلم العاملُ ما يواجهه من خيرٍ مُقابِلٍ لأعماله الخيِّرة.

➢ كما أنَّ هذه الدراسة تجعل العبادَ يبتعدون عن أنواع الشرِّ والفساد والمعاصي، وذلك لِما يتبيَّن لهم أنَّهم بصنيعهم سيواجهون عقوبةً مثلها تُجانِسها وتماثلها.

➢ أنَّ قاعدة **(الجزاء من جنس العمل)** كثُر استعمالُها مِن قِبَلِ كثيرٍ من المنتسبين للعلم الشرعي، ودار جدلٌ حولها في المجتمع، مِن ناحية صِحَّتِها وطريقة تطبيقها؛ فكان من المناسب أن يُشارك المتخصصون في تفسير القرآن الكريم في توضيح هذه القاعدة، وبيان أدلَّتِها، وكيفية تطبيقها على بعض النماذج لتقليل الخلاف أو قطعه إن أمكن.

➢ رغم وجود بعض المؤلفات عن هذه القاعدة؛ إلا أنَّ جانب التفسير الموضوعي فيها لم يُخْدَم، ولم يتَّضِح اتِّضاحًا أكاديميًا؛ فهذه الدراسة ستسُدُّ -بإذن الله- هذه الثغرة.

➢ تَعَرَّضَ بعضُ المفسرين والباحثين لتفسير مقاصد سورة المسد ومحورها وموضوعها في ثنايا التفسير التحليلي أو الموضوعي، ولكني لم أجِد مَن ركَّزَ على أنَّ هذه السورة ترتكِز حول قاعدة **(الجزاء من جنس العمل)**؛ فهذا البحث سيُوَضِّحُ -بإذن الله- حقيقة هذا المقصد.

الدراسات السابقة:

لم يقِف الباحث على أي بحثٍ سابق أكاديمي -أو غيره- بهذا العنوان، بحسب ما وقف عليه بحثُه وخبرتُه في هذا المجال.

وهناك عدة كتب وأبحاثٍ قريبةٌ منها ولكنها تختلف عنها باختلافات عدة، من هذه الكتب:

☜ **الكتاب الأول:** الجزاء من جنس العمل، تأليف: الدكتور سيد حسن العفاني، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

وهذا الكتاب تحدث عن **(الجزاء من جنس العمل)** في الشريعة عامة، فهو يتقاطع مع البحث الحالي من جهة العنوان العام.

ويختلف عن هذا البحث بأنَّه يُعَدُّ من أنواع التفسير الموضوعي، وأيضًا فإنه يبحث عن هذه المسألة في القرآن فقط دون غيره، وأيضًا يُطَبِّقُها على سورة المسد دون غيرها من السور.

☜ **الكتاب الثاني:** بلوغ الأمل في تقرير قاعدة: الجزاء من جنس العمل، لمحمد شومان، ١٤٢٣هـ.

وهـو كالكتـاب الأول؛ حيـث يتحدث عن هـذه المسـألة وتقريرها من القرآن والسنة وكلام أهل العلم، فيتقاطع الكتاب مع البحث من هذا الجهة.

وبحثـي هذا -كما سـبق- هـو في التفسـير الموضوعي، وسـيطبق هذه المسألة في ضوء سورة المسد، فيتمايز بحثي عن الكتاب من هذه الجهة.

☜ **وبحث ثالث بعنوان:** التفسير البياني لسورة (تبت يدا أبي لهب)، إعداد: الدكتور محمد رضا الحوري، الأسـتاذ المسـاعد في قسم أصول الدين/ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية/ جامعة اليرموك.

يتقاطـع هذا البحث مـع البحث الحالي في أنَّ الدراسـات البيانية تتناول بعض ما تتناوله دراسـات التفسـير الموضوعي من جهة بيـان بعض مقدمات السورة، وبيان بعض المناسبات بين الآيات ونحوها.

وكما هو ملاحظٌ من العنوان فإنه في تفسـير سـورة المسـد تفسيرًا بيانيًا، وبحثي هذا يُفَسِّرها تفسيرًا موضوعيا في ضوء قاعدة: الجزاء من جنس العمل؛ فبهذا يتمايز العملان.

☜ **وبحث رابع:** قدَّمه د. خالد السـبت في مجلة الجامعة الإسـلامية عن الجزاء من جنس العمل.

ويفـترق بحث الدكتور خالد عـن هذا البحث أنَّه تعـرض لهذه القاعدة تعرُّضًا عامًّا، وبحثي تميَّز بتخصصه في علاقة هذه القاعدة بسـورة المسد، كما أنَّ هذا البحث قسَّم الآيات الدالة على هذه القاعدة تقسيمًا يختلف عن تقسيم الدكتور خالد.

كما أنَّ السـورة قد تعرَّضَت لها الكتب التي فسَّـرت كامل القرآن تفسيرًا موضوعيًـا؛ كسلسـلة عبد الحميـد طهمـاز، والمعنونة بالتفسـير الموضوعي

للقرآن الكريم، وسلسلة التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم التي أشرف عليها الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم، والصادرة عن جامعة الشارقة.

وهذه الدراسات الموضوعية تتفق مع البحث الحاضر في كونها تفسيرًا موضوعيًا لتفسير سورة المسد.

وهذا البحث يتميز عن هذه الدراسات بكونه يُؤَصِّل لمسألة **(الجزاء من جنس العمل)**، ويطبقها على سورة المسد تطبيقًا مُفَصَّلًا.

....

خطة البحث

ينقسم البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين.

المقدمـة، وتحتـوي على: أسـباب اختيـار الموضـوع، وأهميته، وخطة البحث، والمنهجية المتبعة في البحث.

وأما التمهيد فيحتوي على المطالب التالية:

المطلب الأول: معنى (الجزاء من جنس العمل) في الشريعة الإسلامية.

المطلب الثاني: بعض الأدلة الظاهرة لقاعـدة (الجزاء من جنس العمل) في القرآن.

المطلب الثالث: بعض الأدلة الخفية لقاعـدة (الجزاء من جنس العمل) في القرآن.

المبحث الأول: (بين يدي سورة المسد)، ويحتوي على المطالب التالية:

المطلب الأول: سبب نزول السورة.

المطلب الثاني: المناسبة بين سورة المسد وسورة النصر -السورة التي قبلها-.

المطلب الثالث: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها في ضوء القاعدة.

المطلب الرابع: تنزيل العلماء هذه القاعدة على سورة المسد.

المبحث الثاني: (استنباط قاعدة الجزاء من جنس العمل من خلال آيات السورة)، يحتوي على المطالب التالية:

المطلب الأول: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ﴾، ﴿وَتَبَّ﴾.

المطلب الثاني: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿يَدَآ﴾.

المطلب الثالث: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾.

المطلب الرابع: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴾.

المطلب الخامس: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾.

المطلب السادس: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴾.

ثم الخاتمة، وفيها أهم الهدايات والنتائج والتوصيات.

ثم الفهارس، وتشمل: فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

منهج البحث

سيتبع الباحثُ في أثناء كتابة هذا العمل الآتي:

- **المنهج الاستنباطي:** وذلك عند تفسير الآيات تفسيرًا تحليليًّا يتجلَّى لنا فيه التفسير الموضوعي بما يتناسب مع قاعدة **(الجزاء من جنس العمل)**، واستنباط العلاقة بين آيات سورة المسد وهذا الموضوع، واستنباط صلة الآيات ببعضها.

- موضوع **(الجزاء من جنس العمل)** يدخل ضمن دائرة التفسير الموضوعي، ولكن هذا الموضوع لن يُفْهَم في كثير من الآيات إلا بعد فهم المعنى الإجمالي للآية، أو المعنى التحليلي، لذلك فسَّرْتُ جميع الآيات تفسيرًا تحليليًّا ليكون البحث على طريقةٍ واحدة.

- كتبت الآيات بالرسم العثماني بواسطة برنامج المصحف الإلكتروني، وعزوتها إلى سورتها ورقمها بجانبها.

- كتبت البحث بحسب القواعد الإملائية الحديثة.

- عزوت الأحاديث الشريفة والآثار باختصار إلى مخرجيها باتباع القواعد المعروفة في هذا الشأن.

- رفدتُ البحث بفهرسين يُوَضِّحان مراجع البحث وموضوعاته.

- مراعاة قواعد البحث العلمي العامَّة.

التمهيد

ويحتوي على المطالب التالية:

المطلب الأول: معنى (الجزاء من جنس العمل) في الشريعة الإسلامية.

المطلب الثاني: بعض الأدلة الظاهرة لقاعدة (الجزاء من جنس العمل) في القرآن.

المطلب الثالث: بعض الأدلة المستنبطة لقاعدة (الجزاء من جنس العمل) في القرآن.

المطلب الأول: معنى (الجزاء من جنس العمل) في الشريعة الإسلامية:

بحسبِ ما تتبعتُ من كلام العلماء في التعبير بهذه العبارة، أي: (الجزاء من جنس العمل)، فمن الممكن تقسيمُ هذه القاعدة إلى قسمين رئيسين:

◆ **القسم الأول:** معنىً عامٌّ كُلِّيٌّ، يُقْصَدُ به أنَّ مَن عَمِلَ سوءًا وشَرًّا فجزاؤه سوءٌ وشَرٌّ، ومَن عَمِلَ خَيْرًا فجزاؤه خير.

والآيات والأحاديثُ الدَّالَّةُ على هذا المعنى كثيرة جدًّا، وهي قاعدة مستقرة في الشريعة[1] عامَّة لا تنخرم[2]، وهي من هذه الجهة تكون وجهًا آخر للعدل الإلهي الذي يُحاسِبُ كُلًّا بما عمله.

قال ابن تيمية بعد أن ذكر مجموعة من الآيات والأحاديث الدالة على هذه القاعدة: «ومثل هذا في الكتاب والسنة كثيرٌ يُبَيِّن فيهما أن الجزاء من جنس العمل»[3].

(١) إمتاع الأسماع (١١/ ١٦٧).

(٢) زهرة التفاسير (٣/ ١٣١٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٣).

ومما يدل على هذه القاعدة العامَّة قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة:٧،٨]، وقرر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد ذكره لهذه الآية الجامعة الفاذَّة أن الجزاء من جنس العمل[١]، ففي هذه الآية بيان القانون الأمثل للعدل، وهو أن الجزاء من جنس العمل[٢].

ومما ورد من كلام العلماء في تقرير هذا المعنى قول الشيخ الشنقيطي: «الجزاء من جنس العمل، فجزاء العمل البالغ غاية القبح بالنكال العظيم، جزاء وفاق واقع موقعه، فسبحان الحكيم الخبير الذي لا يضع الأمرَ إلا في موضعه، ولا يوقعه إلا في موقعه»[٣].

ومن الآيات الدالَّةِ على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ ﴾ [النساء:١١١]، وقوله تعالى: ﴿ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٤٧] أي: ما يُجْزَون إلا ما كانوا يعملون من الشرك والظلم والشر والفساد؛ إذ الجزاء من جنس العمل هو العدل المطلوب[٤]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الطور:١٦]، وقوله تعالى: ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٧].

◆ **القسم الثاني:** استخدام هذه القاعدة في معنىً خاصٍّ، يُفهَم منه معنى مقابلة العمل بجزاءٍ مثله، كمقابلة الرحمة بالرحمة، والعفو بالعفو، والتعذيب بالتعذيب، والاستهزاء بالاستهزاء، ونحو ذلك.

وهذا المعنى الثاني هو الذي ينبغي أن تدور عليه البحوث والمؤلَّفات العلمية التي تبحث عن المعاني والمسائل الجديدة، وهو الذي سيدور عليه هذا البحثُ، حيث إنَّ المعنى الأول هو معنى عامٌّ لا يخفى على أحد، إلا فيما

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، القسم الرابع، التفسير (ص٩٧، ٣٧٧).

(٢) زهرة التفاسير (٣/ ١٥٥٣)، والتفسير الوسيط للزحيلي (٢/ ٩٨٠).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥/ ٢٦٩).

(٤) أيسر التفاسير (٤/ ٣٢٣).

بَدَرَ من بعض المشركين الذين زعموا أنهم لو قدموا على الله فإنهم سيجدون الخير والمال كما وجدوه في الدنيا، كما قال صاحب الجنة: ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ [الكهف: ٣٦]، وأما المعنى الثاني هو الذي يحتاج أن يُنظر فيه ويُتأمَّل.

فقاعدة **(الجزاء من جنس العمل)** في قسمها الثاني تدلُّ على معنىً أخصَّ وأدقَّ، يُحتاج أن تنصبَّ الدراسات الشرعية حولَه؛ لاستنباطه واستخراجه، ووضع قواعده، وتأصيله، وتأطيره.

يقول صاحب التفسير القرآني للقرآن: «وليس من الحتم اللازم، بل ولا من المطلوب المستحبّ أن يكون الجزاء من جنس العمل، كمًّا ونوعًا وكيفًا، فقد يكون العمل ماديًّا وجزاؤه روحيًّا نفسيًّا، وقد يكون من نوع ما ويكون جزاؤه مماثلًا له ولكن من نوع آخر، ثم قد يكون كمًّا من نوع معيّن فيقع جزاؤه مُوَزَّعًا في أنواع متعددة من الجزاء.

وفى الحياة الدنيا شواهد كثيرة لهذا، في جانب الأعمال الصالحة، وفى جانب الأعمال السيئة، على السواء... إلى آخر كلامه[(١)].

وتقرير هذه القاعدة بمعناها الثاني مِن الممكن أن يستفاد منها في الشريعة الإسلامية في أمور:

١ - استفادة الحكام والأمراء والقضاة من هذه القاعدة في الثواب والعقاب، فمِن ذلك ما رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شاهد الزور: أنه أمر بإركابه دابةً مقلوبًا وتسويد وجهه[(٢)]. وذلك أنه لَمَّا قلب الحديث قَلَّبَ عُمَرُ رضي الله عنه وجهه، ولَمَّا سَوَّد وجهَه بالكذب سَوَّدَ عُمَرُ رضي الله عنه وجهه حقيقةً.

(١) التفسير القرآني للقرآن (٦/ ٩٣٨-٩٣٩).

(٢) مصنف عبد الرزاق (ح١٥٣٩٢) بلفظ مقارب، وضعفه الألباني في إرواء الغليل (ح٢٤٠٠).

يقـول ابن القيم: «ولهذا كان أصح الأقوال أنه يُفْعَل بالجاني مثل ما فَعَلَ بالمجنـيِّ عليه، ما لم يكن مُحَرَّمًا لحـقِّ الله؛ كالقتل باللواطة، وتجريع الخمر ونحوه، فيُحرَّق كما حَرَّق، ويُلْقَى من شـاهق كما فعل، ويُخنق كما خَنَق؛ لأن هـذا أقرب إلى العدل، وحصول مُسَـمَّى القصاص، وإدراك الثأر، والتَّشَـفِّي، والزَّجر المطلوب من القصاص»[(١)].

٢- ومـن فائـدة معرفة أن الجـزاء من جنس العمـل: أنَّ الإنسـان يَتَّعِظُ بذلك، ويخشى أن يُعاقَب بنفس ما يفعل ويقول.

عـن عبد الله بن مسـعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لو سـخرت من كلب لخشـيت أن أحوَّل كلبًا»[(٢)].

وقـال عمرو بن شـرحبيل: «لو رأيت رجلًا يرضع عنـزًا فضحكت منه؛ لخشيت أن أصنع مثل الذي صنع»[(٣)].

٣- وهناك فائدةٌ عقديَّةٌ من معرفة هذه القاعدة، وهي أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كثيرًا ما يُعَبِّر عن العقوبة بلفظة مساويةٍ أو مجانسة للعمل الذي يستحق العقوبة، رغـم أنَّه لا يحمل نفـس المعنى، وإنما يكـون ذلك من باب المشـاكلة وبيان قاعدة: **(الجزاء من جنس العمل)**، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقـرة:١٩٣] فمثل هذا التعبير يُراد به المماثلة بالفعل، فتسـمية المجازاة اعتداءً من باب المشاكلة حتى يكون الجزاء من جنس العمل[(٤)].

---

(١) تهذيب سنن أبي داود (٢/ ٣١٢).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (ص٢٥٦ ح٧٤١)، وابن أبي شـيبة في المصنف (٥/ ٢٣١، ح٢٥٥٤٦).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم البغي (ص٨٦، ح٣٤).

(٤) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٣٤٨).

وكذلك قوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى:٤٠]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء:١٤٢]، ونحو ذلك.

٤- ومما يُستفاد من هذه القاعدة: كيفية تعامل المسلم مع الله ومع الآخرين، كما قال تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]، فكما أنَّ الله أحسن إليك فأحسِن إلى غيرك[١].

المطلب الثاني: بعض الأدلة الظاهرة لقاعدة (الجزاء من جنس العمل) في القرآن:

لقد دلَّت كثيرٌ من نصوص القرآن على هذه القاعدة العظيمة -الجزاء من جنس العمل- دلالةً صريحة واضحة، لا تخفى على قارئ هذه النصوص، وذكر ابن القيم أنَّ الأدلة على هذه القاعدة تفوق مائة دليل[٢].

ومن هذه الأدلة الظاهرة قوله تعالى: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف:١٨٠]، فلم يقل: سيجزون العقاب؛ إشارةً إلى أن الجزاء من جنس العمل[٣].

وقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن:٦٠]، وقال: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الروم:١٠].

وقال: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة:١٠]. وقال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج:٤٠].

وقال تعالى:﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى:٤٠]، وقد جاءت هذه الآية على صورة الخبر المُضمَّن معنى الأمر.

(١) انظر ما قاله ابن القيم في بدائع التفسير (٢/ ١٧٢).
(٢) تهذيب سنن أبي داود (٢/ ٣١٢).
(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٣١٨).

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ ﴾ [الصف:٥]، لذلك رأى بعض العلماء أن توبة المبتدع نادرة وقليلة، فلا يكاد المبتدع ينتقل من بدعة إلا إلى بدعة شر منها، لأنهم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم[1].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ [المجادلة:١١].

وقال تعالى: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾ [الأعراف:٥١].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ [الإسراء:٧٢]، فمَن عَمِي عن اتباع الحق فلم يقبله ولم يَنقَدْ له؛ كان أعمى في الآخرة عن سلوك طريق الجنة كما عَمِي عن سلوك طريقها في الدنيا[2].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ ﴾ [فاطر:٤٣]، قال ابن القيم: «وقد اطَّردت سُنَّته الكونية سبحانه في عباده، بأنَّ مَن مكر بالباطل مُكِر به، ومن احتال احتِيل عليه، ومن خادع غيره خُدِع... فلا تجد ماكرًا إلا وهو ممكورٌ به، ولا مُخادعًا إلا وهو مخدوع، ولا مُحتالًا إلا وهو محتالٌ عليه»[3].

المطلب الثالث: بعض الأدلة الخفية لقاعدة (الجزاء من جنس العمل) في القرآن:

إنَّ الأدلة الخفيَّة المستنبط منها قاعدة **(الجزاء من جنس العمل)** هي التي ينبغي أن تُفْرَد بالبحوث والدراسات العلمية؛ نظرًا لأنَّها لا تظهر لقارئ القرآن

(١) البدعة: ضوابطها وأثرها السيء في الأمة (ص١٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٤٦٣).

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٣٦٠).

من الوهلة الأولى، بعكس الأدلة الظاهرة، فلذلك سأتناول الحديث عن هذا الجانب قليلًا دون إطالةٍ؛ فإنَّ البحث لم يُوضَع أساسًا لتحقيق هذه الجزئية.

وسيتمُّ الحديث عن الأدلة الخفية من جهةِ ما يكون في الدنيا، ومن جهة ما يكون في الآخرة، مُرَتَّبًا بحسب الآيات القرآنية، دون الدخول في التفاصيل.

أ- تطبيق قاعدة (الجزاء من جنس العمل) في الدنيا:

في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة:٦٥]، فإنَّ هؤلاء المعتدين في السبت فعلوا فِعْلًا ظاهِرُهُ الإباحة والحل، وهو محرم، وذلك أنه حرم عليهم الصيد يوم السبت، وكان البحر يَمْتَلِئُ بالحيتان يوم السبت، وتختفي في غيره من الأيام، فصاروا ينصبون الشباك يوم الجمعة ويرجعون يوم الأحد لأخذها، وتأتي الحيتان يوم السبت فتدخل الشباك فيأخذونها يوم الأحد، فعملوا عملًا ادَّعوا أنه في ظاهره مباح، حيث إنهم لم يعملوا شيئًا يوم السبت، وهو في حقيقته محرم وحيلة؛ فكان جزاؤهم من جنس العمل، وذلك أنَّ الله مسَخَهم إلى حيوان يشبه الإنسان وليس بإنسان؛ كما أنَّهم احتالوا بحيلة جعلوا عملهم فيها يشبه الحلال وليس بحلال(١).

وفي قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النور: ٣٥] جاءت هذه الآية عقب قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

قال ابن القيم: والسر في ذلك: أن الجزاء من جنس العمل، فمن غض بصره عما حرم الله عليه عوضه الله تعالى من جنسه ما هو خير منه، فكما أمسك نور بصره عن المحرمات أطلق الله نور بصيرته وقلبه، فرأى به ما لم يره من أطلق بصره ولم يغضه عن محارم الله(٢).

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٤٦٢)، وتفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٣١).

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ٤٨).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة: ٣٨] فلمَّا مَدَّ يده للسرقة كان جزاؤه أن شُرِع قطعها(١).

وفي قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ [الأعراف: ٧٨]، فبسبب أن بواطنهم كانت متزلزلة تجاهَ الحقِّ، لا يستمعون إليه، عُوقِبُوا بالزلزلة والرجفة(٢).

ويدخل في ذلك قصة أصحاب السبت، حيث إنَّ الساكتين عن الإنكار سكت الله عنهم، فنصَّ الله على نجاة الناهين، وهلاك الظالمين، وسكت عن الساكتين؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فهم لم يستحقوا مدحًا فيُمْدَحوا، ولا ارتكبوا عظيمًا فيُذَمُّوا(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ [التوبة: ٢٨] كان هذا الجزاء من جنس العمل، فكما أنهم صدوا المؤمنين عن المسجد الحرام صُدُّوا عنه، وكما أجلَوْهم من مَكَّةَ أُجْلُوا منها(٤).

وقال تعالى عن فرعون: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ [يونس: ٩٢]، أي: كان إيمانك بظاهرك لا بباطنك، فنجا ظاهرُ جسدِك ولم تنجُ روحُك الباطنة، فالجزاء من جنس العمل(٥).

ومِن ذلك ما حصل لقوم لوطٍ؛ فلكونهم قلبوا الأوضاع بإتيان الذكور دون الإناث، فكان الجزاء من جنس العمل، قَلَبَ اللهُ عليهم قُرَاهم(٦)، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ [هود: ٨٢].

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١١٩).
(٢) حدائق الروح والريحان (٢١/ ٤١١).
(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥٧).
(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٣٨٩).
(٥) نعمة الذريعة في نصرة الشريعة (ص٢٠٤).
(٦) أضواء البيان (٨/ ٢٥٩).

ب- تطبيق قاعدة (الجزاء من جنس العمل) في الآخرة:

مِمَّا يكثر في القرآن توعُّد الكافرين بالخلود في النار، وذلك لأن الأعمال بالنيـة، فقد كانوا في الدنيا عزموا علـى الثبات على هذا الكفر ما بقوا، ولو بقوا مـدةً لا آخر لهـا، فكان الجزاء من جنس العمل، وبقوا في النار خالدين فيها[١]، قال تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٢].

وفي قولـه تعالـى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥]، حجبهم الله عـن كرامته التي أكـرم الله بها المؤمنين من رؤيته، وهذا يناسـب ما حجبوا به أنفسـهم من الرَّانِ الَّذي غطَّى على قلوبهم، وذلك قوله تعالى: ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤][٢].

وفي قولـه تعالـى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقـرة: ٢٦١] في هذه الآية إشـارةٌ إلـى أنَّ الله يُجازِي النـاس بجنس أعمالهم، فـإنَّ النفقات في سبيل الله على الخير تتنوع، فبعضُها يكون طرق الخير فيها قليلة، وبعض طرق الخيرات يترتب على الإنفاق فيها منافع متسلسلة، ومصالح متنوعة؛ فكان من المناسب أن يُضاعف اللهُ لهم بحسب ما تضاعف أثرُ نفقاتِهم[٣].

في قولـه تعالـى: ﴿ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾ [النسـاء:٣٧، ١٥١] تُوُعِّدوا بالعذاب المهين مقابل ما كانوا يرتكبونه من إهانة المؤمنين وإذلالهم، فجاء الجزاء من جنس عملهم[٤].

---

(١) نظم الدرر (٧/ ٢٦٨).

(٢) أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن (ص١١٤).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص٩٥٦).

(٤) أيسر التفاسير (١/ ٥٦٦).

وفي قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ [النساء:٥٦] فيه أنَّ أصحاب الجلود تجدد لهم جلودهم ليدوم لهم تجدد ذوق العذاب، كما كانوا يجددون التكذيب بذلك كل وقت(١).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [النساء:١٦١] أي: بسبب ما آلموا الناس بأكل أموالهم وحقوقهم عاقبهم الله بالعذاب الذي يؤلمهم في الآخرة(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأعراف:٤٠] في هذه الآية يخبر تعالى عن عقاب مَن كذَّب بآياته فلم يؤمن بها واستكبر عنها، أنهم آيسون من كل خير، فلا تُفْتَح لهم أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا وصعدت تريد العروج إلى الله، فتستأذن فلا يؤذن لهم، وهذا من باب الجزاء من جنس العمل، فكما أنها لم تصعد أرواحها في الدنيا إلى الله بالإيمان به ومعرفته ومحبته؛ فكذلك لا تصعد بعد الموت(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [الأعراف:٤١]، المراد: أن النيران تحيط بهم من فوقهم ومن تحتهم، فلما كانت الخطايا والذنوب تحيط بالكافر إحاطة السوار بالمعصم، كان جزاؤهم من جنس عملهم، فأحاطت بهم النار من كل جهة(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٤٧] فيه إشارةٌ إلى أنَّهُم عندما رأوا الآيات الدالة على صدق ما جاءت به الرسل، ثم أبطلوها، كان جزاؤهم من

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥/ ٣٠٦).
(٢) نظم الدرر (٥/ ٥٠١).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص٢٨٨).
(٤) الجنة والنار (ص١٠١).

جنس عملهم، وذلك بإبطال وإحباط ما كانوا يعملون، حتى وإن كان فيه شيء من الخير[١].

وفي قصة هلاك فرعون وجهٌ خَفِيٌّ في مسألة الجزاء من جنس العمل، حيث كان فرعون يفتخر بالماء وجريان الأنهار من تحت قصره، فأجرى الله الماء من فوقه[٢].

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال ابن رجب: «وهذا مناسب لجعله جزاء لأهل الإحسان؛ لأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة، كأنه يراه بقلبه، وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاء ذلك النظر إلى الله عيانًا في الآخرة»[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ [هود: ٨٤] إشارةٌ خَفِيَّةٌ إلى قاعدة (**الجزاء من جنس العمل**) فإنَّ قوم شعيب عندما أرادوا بخس أموال الناس وإنقاص أموالهم عن طريق إنقاص المكيال والميزان؛ هدَّدهم الله بإنقاص أموالهم والخير الذي هم فيه، وذلك في قوله تعالى على لسان شعيب: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾، أي: فلا تتسببوا إلى نقص أموالكم بنقص أموال الناس[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [طه: ٩٦، ٩٧] عندما نبَذَ نُبِذَ، فإن الابتعاد عنه في الحياة الدنيا

(١) نظم الدرر (٨/ ٨٤).

(٢) روح البيان (٨/ ٤١١).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ١٢٥).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص٣٨٨).

هو نَبْذٌ مَعْنَوِيٌّ، وكان ذلك مقابلةً للنبذ الحسيِّ الذي فعله؛ فكان الجزاء من جنس العمل(١).

وفي قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ [الفرقان:٧٥] فيه جزاءٌ من جنس عملهم؛ فإنَّهُم عندما كانت همتهم عالية، ومطالبهم سامية، عندما دعوا الله بقولهم: ﴿ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان:٧٤] جازاهم الله بالمنازل العالية في قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ ﴾؛ فإن الغرفة: هي المنازل الرفيعة، والمساكن الأنيقة(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ ﴾ [السجدة:١٧] هو جزاءٌ من جنس عملهم، فإنهم عندما أخفوا أعمالهم حينما كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع في ظلمة الليل، أخفى الله لهم الثواب عن غيرهم، جزاءً وفاقًا. قال الحسن البصري: أخفى قومٌ عملهم، فأخفى الله لهم ما لم تر عين، ولم يخطر على قلب بشر(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ﴾ [الفرقان:٧٧] فيه أنَّهُم لازموا الكفر والتكذيب في الدنيا، فكان جزاؤهم من جنس عملهم، فلازمهم العذاب في الآخرة لا يُفارقهم أبدًا(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [الزمر:١٠] فيه الجزاء من جنس العمل، حيث إنَّ كُلَّ عمل من الأعمال الصالحة يمكن عدُّها وحصرها، إلا الصبر؛ فإنه دائم مع الأنفاس، وهو معنى من المعاني الباطنة التي لا يطلع عليها الناس، ولا يعلمون مقدارها، فكان من المناسب أن يكون أجرها بغير حساب(٥).

---

(١) روح المعاني (٨/ ٥٦٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٥٨٧)، وتيسير اللطيف المنان (ص٦٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (ح١٧٨٤٢).

(٤) تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٥٢٨).

(٥) نظم الدرر (١٦/ ٤٧٢).

وفي قولـه تعالـى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴾ [القمر:٦] بيـان أن الجـزاء من جنس العمل، حيث إنهم في الدنيـا عندما دعاهم النبي ﷺ للإيمان والتوحيد أعرضوا، فكان جزاؤهم يوم القيامة عندما يحتاجون شفاعته والإيمان به أن يُعرض عنهم(١).

وفي إجـلاء بني النضيـر المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴾ [الحشر:٣] إشـارةٌ إلـى هذه القاعدة العظيمة، حيث إنهم قصدوا قتل النبي ﷺ، فعاقبهم الله بإجلائهم الذي هو شرٌّ مِـن ألف قتل، فأُخِـذوا بالجلاء ليموتوا كل يوم ألف مـرة؛ لأنَّ انقطاع النفس عن مألوفاتها بمنزلة موتها(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ [المعارج:١٥-٢١] يقول فاضل السـامرائي: «هناك لمسـة فنية لطيفة في اختيار نوع العذاب في هذا السـياق، ذلك أنه قـال: ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴾، ومـن معاني الشـوى: جلد الإنسـان، فهـي -أي: جهنم- تنزع جلد الإنسـان، وتُبقي الأحشاء بلا جلد، والجلد للأحشاء كالوعاء للمال، يُحفظ ما في داخله، فإن هذا الشـخص كما أوعى ماله ومنع حقه سيمزقُ اللهُ وعاء جسمه، ويخرج مـا في داخلـه، ولا شـكَّ أن جلده ووعاء نفسـه أحـبُّ إليه من المـال ومن كل شـيء، ألا ترى أنه يُقال للمطلـوب: انجُ بجلدك! فانظر التناسـق الجميل بين المعصية والعذاب، والجزاء من جنس العمل»(٣).

---

(١) نظم الدرر (١٩/ ٩٩).

(٢) روح البيان (٩/ ٤٢٢).

(٣) لمسات بيانية في نصوص التنزيل (ص١٦٠).

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ [الانشقاق:١٠] عاقبه الله بإعطائه الكتاب وراء ظهره، جزاءً له من جنس عمله، حيث إنَّه في الدنيا جعل كتاب الله وراء ظهره، فأعطي كتابَه يوم القيامة من وراء ظهره جَزَاءً وِفَاقًا[١].

وفي سورة الأعلى قال تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى:١١-١٣] فالآيات تدلُّ على قاعدة **(الجزاء من جنس العمل)** من جهة أنهم كانوا في الدنيا يحيون حياة ليست بحياة نافعة، وليست هي الحياة التي خلقوا لأجلها، بل كانوا يعيشون حياة من جنس حياة البهائم، ولم يكونوا في الدنيا أمواتًا عديمي الإحساس، فجمعوا في الدنيا بين الحياة المقابلة للموت، والموت المعنوي المقابل للحياة الحقيقية النافعة؛ فجمع الله لهم ذلك في الآخرة، حيث كانوا في النار لا يموتون فيرتاحون، ولا يحيون حياةً حقيقية نافعة[٢].

وفي قوله تعالى في سورة الهمزة: ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ [الهمزة:٤] إشارة إلى هذه القاعدة؛ فإن الهمز من شأنه كسر أعراض الناس وقلوبهم وخواطرهم، فكان من المناسب لهذا الهامز اللامز أن يُرمى ويطرح في النار التي تحطم وتكسر كل من يقع فيها[٣].

وفي سورة الهمزة ذُكِر الكافر الذي يجمع المال ويُعَدِّده في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ [الهمزة:٢]، فهذا يحفظ المال ويغلق عليه الأبواب، ويستوثق من حفظه؛ فلأجل ذلك أُغْلِقَت عليه أبواب جهنم، واستوثق منها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ [الهمزة: ٨، ٩][٤].

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ٤٢، ٣/ ١٨١).

(٢) الحسنة والسيئة (ص٦٧)، ومجموع الفتاوى (٨/ ٢٠٦، ١٤/ ٢٩٧).

(٣) مراح لبيد (٢/ ٦٦٢).

(٤) لمسات بيانية في نصوص التنزيل (ص٢٨١).

المبحث الأول

بين يدي سورة المسد

ويحتوي على المطالب التالية:

المطلب الأول: سبب نزول السورة.

المطلب الثاني: المناسبة بين سورة المسد وسورة النصر -السورة التي قبلها-.

المطلب الثالث: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها في ضوء القاعدة.

المطلب الرابع: تنزيل العلماء هذه القاعدة على سورة المسد.

المطلب الأول: سبب نزول السورة:

إنَّ معرفة سبب نزول السورة ينبني عليه معرفةُ الوجه العامِّ لكون هذه السورة مبنيةً على أنَّ الجزاء من جنس العمل.

وأبو لهب عمُّ النبي ﷺ هو محور هذه السورة وسبب نزولها، وقد كان من أشدهم عدوانًا عليه، وأكثرهم أذىً له؛ فهو أول من رد عليه أمام الأشهاد، وكل هذا على غير تقاليد الجاهلية الذين عرف عنهم الحمية.

وقد دخلت معه امرأته أم جميل في هذه العداوة، حيث جرَّها جرًّا إلى تلك المعركة التي يخوضها ضد ابن أخيه، ولهذا كان الرجل الوحيد من قريش الذي ذكره القرآن بكنيته، وأعلن في العالمين عداوته لله، وغضب الله عليه، ووقوع بأسه وعذابه به، وذلك ليكون لعنةً على كل لسان إلى يوم الدين، لا يذكر اسمُه إلا ذُكِر مدموغًا باللعنة والتَّباب، مرجومًا بالشماتة والازدراء، تتبعه امرأته مشدودة إليه بحبل مِن مسد، كما كانت مشدودة إليه في الدنيا بحبل عداوتهما للنبي ﷺ، وحسدهما له[١].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٥١٤).

وقد وردت عدة روايات وحكى العلماء عدة حكايات عن سبب نزول هذه السورة، وهي:

◄ الرواية الأولى لنزول السورة:

أنَّ هذه السورة نزلت بعدما جمع النبي ﷺ أقاربه وعشيرته ليدعوهم إلى الإسلام، فقال له أبو لهب: (تبًّا لك).

ما رواه سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] صَعِد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: «**يا بني فِهْر، يا بني عَدِيٍّ**» لِبُطُونِ قُرَيْشٍ، حتى اجتمعوا، فجعل الرجلُ إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «**أرأيتُكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تُريد أن تُغير عليكم، أكنتم مُصَدِّقِيَّ؟**». قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك إلَّا صِدْقًا. قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**». فقال أبو لهب: تَبًّا لك سَائر اليوم، أَلِهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [(١)].

وللقصة روايات كثيرة تختلف فيها ألفاظُها زيادةً ونقصًا[(٢)]، وعلى كلِّ حالٍ فإنَّ الروايات مجمعةٌ على أنَّ أبا لهب قال للنبي ﷺ: (تبًّا لك)، والتي تتمحورُ حولها كون السورة نزلت جزاءً لما قاله أبو لهب.

وهذه الرواية صحيحةٌ قطعًا، بل إنَّه قد يُقال فيها: إنها وصلت حد التواتر، فلذلك قدَّمتُها على الروايات الأخرى.

(١) صحيح البخاري (٦/ ١١١، باب وأنذر عشيرتك الأقربين، ح ٤٧٧٠).

(٢) صحيح البخاري (٢/ ١٠٤، باب ذكر شرار الموتى، ح ١٣٩٤)، وانظر الأحاديث المرقمة بـ (٤٨٠١)، و (٤٩٧١)، و (٤٩٧٢)، وصحيح مسلم (١/ ١٩٣، ح٢٠٨)، وغير ذلك من كتب التفسير والحديث، وليس هذا موضع استقصاء ذلك؛ فإنَّه كثيرٌ.

➢ الرواية الثانية:

أنَّ أبا لهب طلب من النبي ﷺ أن يكون له شيء خاصٌّ به إن هو أسلم، فلم يرضَ النبي ﷺ بذلك، بل قال إنه سيكون من عامَّة المسلمين، فغضب من ذلك وقال له عبارة (تبًّا).

قال عبد الرحمن بن زيد، في قول الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ قال: قال أبو لهب للنبي ﷺ: ماذا أُعْطَى يا محمد إن آمنتُ بك؟ قال: «**كما يُعْطَى المسلمون**»، فقال: ما لي عليهم فَضْلٌ؟ قال: «**وأيُّ شَيْءٍ تبتغي؟**». قال: تبًّا لهذا مِن دِينٍ تَبًّا أن أكون أنا وهؤلاء سواء. فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[1].

وذكر مقاتل قصة هذه الدعوة دون طلب أبي لهب، فقال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] -يعني: بني هاشم، وبني المطلب، وهما ابنا عبد مناف بن قصي- قال النبي ﷺ: «**يا علي، قد أُمِرْتُ أن أُنْذِر عشيرتي الأقربين، فاصنع لي طعامًا حتى أدعوهم عليه، وأنذرهم**». فاشترى عليٌّ رِجْلَ شاةٍ، فطبخها، وجاء بعُسٍّ[2] من لبن، فدعا النبيُّ ﷺ بني هاشم وبني المطلب إلى طعامه، وهم أربعون رَجُلًا غير رجل، على رِجْلِ شاةٍ وعُسٍّ من لبن، فأكلوا حتى شبعوا، وشربوا حتى رَوَوا. فقال أبو لهب: لهذا ما سحركم به، الرجال العشرة منا يأكلون الجذعة، ويشربون العس، وإن محمدًا قد أشبعكم أربعين رجلًا من رِجلِ شاة، ورواكم من عُسٍّ من لبن، فلما سمع ذلك منه رسول الله ﷺ شَقَّ عليه، ولم ينذرهم تلك الليلة، وأمر النبيُّ عليًّا أن يتخذ لهم ليلة أخرى

(١) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان ط هجر (٢٤/ ٧١٤). وقال صاحب الاستيعاب (٣/ ٥٧٦): «ضعيف جداً».

(٢) العُسُّ -بضم المهملتين وتشديد السين- قَدَحٌ كَبِير، يجمَع على: عِساسٍ وأعْساس، ينظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٩١١) [عسس].

مثل ذلك، ففعلوا فأكلوا حتى شبعوا، وشربوا حتى رووا، فقال النبي ﷺ: «**يا بني هاشم، ويا بني المطلب، أنا لكم النذير من الله، وأنا لكم البشير من الله، إني قد جئتكم بما لم يجئ به أحد من العرب، جئتكم في الدنيا بالشرف، فأسلموا تسلموا، وأطيعوني تهتدوا**». فقال أبو لهب: تبًّا لك يا محمد سائر اليوم، لهذا دعوتنا؟ فأنزل الله ﷻ فيه: ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾[1].

ونُلاحِظ في هذه الرواية أمورًا:

◈ أنها ضعيفة.

◈ وعلى فرض صحتها يُمكِن أن يُقال: إنَّه قد حصلت القصتان: الواردة في الرواية الأولى، والواردة في هذه الرواية، فلا مانع من ذلك.

◈ وعلى فرض حصول القصتين؛ فهل حصلت القصتان ثم نزلت هذه السورة؟ احتمالٌ؛ لأنَّ الروايتين من باب سبب النزول الصريح.

◈ وعلى كُلِّ حالٍ فإن الروايتين صالحتان للتمثيل بهما لمبدأ **(الجزاء من جنس العمل)**.

➢ الرواية الثالثة:

هو خاصّ بما كانت تفعلُه زوجة أبي لهب.

عن رجل من همدان يقال له يزيد بن زيد: أن امرأة أبي لهب كانت تُلْقِي في طريق النبي ﷺ الشوكَ، فنزلت: ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ... وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾[2].

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (٦/ ٣٢٨) إلى ابن مردويه، وتفسيره مفقود، لذا فإني لم أقف على إسناد له البتة حتى أعرف حكمه، وانظر أيضا تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٣-٩١٤).

(٢) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٢٤/ ٧١٩). وقال صاحب الاستيعاب (٣/ ٥٧٦): «ضعيف».

ويُلاحظ على هذه الرواية الأمور التالية:

◈ أنَّ الأثر ضعيف.

◈ أنَّه لا يتعارض مع الأثرين السابقين؛ فالأثران السابقان في نزول السورة كاملة أو مطلعها، وهذه في نزول ما يتعلق بزوجة أبي لهب.

◈ ويُمكِن الجمعُ بين الآثار الثلاثة بأنَّ القصص الثلاثة على فرض صحتها حصلت في أزمنةٍ متقاربة؛ فأنزل الله ﷻ هذه السورة في الجميع.

۞ المطلب الثاني: المناسبة بين سورة المسد وسورة النصر -السورة التي قبلها-:

يرى بعضُ العلماء أنَّ سورة الكافرون، وسورة النصر، وسورة المسد؛ يتصل بعضُها ببعضٍ اتصالًا وثيقًا.

فسورة الكافرون ذكرت انقسام الناس إلى فريقين، فريقٌ فيه محمد ﷺ ومن مَعه من المؤمنين، وهم الذين آمنوا بالله وحده، وصَرَّحوا بنفيِ عبادة الشركاء والأضداد، وفريقٌ أشرك مع اللهِ غيرَه، وفعل عكس ما فعل الفريق الأول.

ثم لما انتهت السورة كان هناك سؤالٌ يُلِحُّ على القارئين والسامعين، ومضمون هذا السؤال: يا ربَّنا، فما جزاء مَن عبدك وحْدَك وتبرأَ من الشرك؟ وما عِقَابُ من أشرك بك ولم يؤمن؟

فجاءت الإجابة بانتصار المسلمين لمَّا نصروه كما في سورة النصر، وبهلاك المشركين متمثلًا ذلك في صورة رأس من رؤوسهم، وهو أبو لهب. وكأن في المناسبة دلالة خفية على الجزاء من جنس العمل

ونظير ذلك ما في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام:١٦٥]، فيأتي هنا

سؤالٌ: فما جزاء مَن تبتليه يا الله فيطيعك، ومَن تبتليه فيعصيك؟ فجاءت الإجابة: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ﴾ لمن عصاه، ﴿ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ لِمَن أطاعه[1].

ويمكن أن يُقال في المناسبات بين السورتين: إن سورة المسد كانت في أول الإسلام ردًّا على مَن كان يؤذي النبي ﷺ بالقول والفعل؛ مما يجعل بعض الناس ينفرون من التمسك بالدين عندما يرون ما يحصل لهم من الإيذاء، وسورة النصر كانت في آخر الإسلام عندما قويت شوكة المسلمين، وجاءت مبشرة بفتح مكة، نفس البلد الذي كان رسول الله ﷺ يُؤْذَى فيه، بعد أن مات عدوّاه اللذان آذاه، وبقي هو ﷺ عزيزًا كريمًا، وبقي دينُه.

المطلب الثالث: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها في ضوء القاعدة:

إنَّ مطلع السورة كان يتحدث عن تباب أبي لهب، وهو هلاكه وخسارته أتمَّ خسارةٍ.

والعربُ مِن عادتهم الحمية والدفاع عن أهليهم وأزواجهم وحريمهم، ويعتبرون ذلك من الشرف الذي لا يدانيه شرف، فرغم المشاكل والمصائب التي تصيب الإنسان إلا أنَّه يبقى حريصًا على عدم جعل أهله يحصلون على نفس المشكلة.

ولكن لـمَّا كان أبو لهب قد أشرك أبناءَه وأهلَه معه في أذية النبي ﷺ، عُوقِبَ بأن جُعِلُوا جزءًا من عذابه وعقابه، فوردوا معه النار، ولم يُكْتَفَ بذلك، بل حُقِّرَت زوجتُه تحقيرًا بارزًا، وصُوِّرَت تصويرًا شنيعًا؛ زيادةً في هتك سترها الذي يتعدَّى إلى هتك ستره وحرمته، تأكيدًا لمعنى تبابه وخسارته وهلاكه، حتى أحاط هذا الخسران والهلاك بأهله وزوجته.

---

(١) مفاتيح الغيب (٣٢/ ٣٤٨). وانظر: البحر المحيط (١٠/ ٥٦٥)، ونظم الدرر (٢٢/ ٣٢٨).

وفي ذلك إشارة إلى أن خلطة الأشرار غاية الخسار، والطبع وإن كان جيدًا فإنه يسرق من الرديء، فكيف إذا كان الطبع رديئًا ووافق قرينًا رديئًا[١].

۞ المطلب الرابع: تنزيل العلماء هذه القاعدة على سورة المسد:

إنَّ دوران هذه السورة حول قاعدة **(الجزاء من جنس العمل)** كان حاضرًا في أذهان المفسرين والعلماء المتقدمين، ولم يَنُصُّوا على ذلك صراحة، ولكن كان ذلك حاضرًا في أقوالهم في ثنايا تفسيراتهم.

وأردتُ أن أؤيد في هذا المطلبِ ما ذكرتُه من مركزية قاعدة **(الجزاء من جنس العمل)** في هذه السورة، مُسْتَحْضِرًا بذلك بعضَ النصوص التي لفتَ العلماءُ المتقدمونَ الأذهانَ إليها؛ عن طريق عباراتٍ صريحة أو قريبة من الصريحة تُشير إلى هذا المعنى، وسأذكر شيئًا من هذه العبارات هُنا، وسيمُرُّ على القارئ بعضُ العبارات الأخرى في ثنايا المباحث القادمة.

قال السمعاني: «الْمُرَاد من الْآيَة أَنَّهَا كَانَت تحمل الْحَطب بِحَبل من مسد فِي عُنُقهَا، فَذكر الله تَعَالَى ذَلِك على أحد وَجْهَيْن: إِمَّا لبَيَان تخسيسها وتحقيرها، أَو لِأَنَّهَا عيرت رَسُول الله ﷺ بالفقر فابتلاها الله تَعَالَى بِمَا هُوَ من عمل الْفُقَرَاء»[٢].

وقال الزمخشري: «يحتمل أن يكون المعنى: أنَّ حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك، فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم أو من الضريع، وفي جيدها حبلٌ مِن ما مُسِد من سلاسل النار؛ كما يُعَذَّب كل مجرم بما يجانس حالَه في جرمه»[٣].

(١) نظم الدرر (٢٢/ ٣٤١).
(٢) تفسير القرآن للسمعاني (٦/ ٣٠٠-٣٠١).
(٣) الكشاف (٤/ ٨١٧)، واستفاد من هذا النقل أبو حيان في البحر المحيط (١٠/ ٥٦٨).

وقال الرازي: «... أن يكون المعنى: أنَّ حالها يكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل الحُزْمة من الشوك، فلا تزال على ظهرها حُزْمَةٌ من حَطَبِ النَّارِ من شجرة الزقوم، وفي جيدها حبل من سلاسل النار»(١).

وقال ابن كثير: «كانت عونًا لزوجها على كفره وجحوده وعناده؛ فلهذا تكون يوم القيامة عونـًا عليه في عذابه في نار جهنم»(٢).

وقال ابنُ عادل: «إنَّ قوله: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ يراد بهذا المعنى الاستقبال؛ فقد ورد أنها تحمل يوم القيامة حزمةً من حطب النار، كما كانت تحمل الحطب في الدنيا»(٣).

وقال ابن عاشور: «فلما حصل لأبي لهب وعيد مقتبس من كنيته جُعل لامرأته وعيد مقتبسٌ لفظه من فعلها وهو حمل الحطب في الدنيا، فأنذرت بأنها تحمل الحطب في جهنم ليُوقَد به على زوجها، وذلك خزيٌ لها ولزوجها إذ جعل شدة عذابه على يد أحب الناس إليه، وجعلها سببـًا لعذاب أعزّ الناس عليها»(٤).

وقال ابن عاشور أيضـًا: «وقدم الخبر من قوله: ﴿فِي جِيدِهَا﴾ للاهتمام بوصف تلك الحالة الفظيعة التي عوضت فيها بحبل في جيدها عن العِقد الذي كانت تُحَلِّي به جيدها في الدنيا فتربَط به؛ إذ قد كانت هي وزوجها من أهل الثراء، وسادة أهل البطحاء، وقد ماتت أم جميل على الشرك»(٥).

(١) مفاتيح الغيب (٣٢/ ٣٥٥).
(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٥١٥).
(٣) اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٥٥٤).
(٤) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٥).
(٥) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٧).

يقول محمد رأفت سعيد عن سورة المسد: «كما يُنبِّهُ الناسَ في هذه السورة الكريمة إلى أن الجزاء من جنس العمل، فخسرت يداه وشقي لاستعمال يديه في أذى رسول الله ﷺ، واللقب الذي لُقِّب به لإشراق وجهه واستعمال هذا الوجه في صد الناس عن رسول الله ﷺ ما يناسبه من نارٍ ذات لهب، وامرأته التي كانت تحمل الحطب وتسعى بالنميمة سيكون في عنقها حبل من نار جهنم»(١).

(١) تاريخ نزول القرآن (ص١٣٢).

المبحث الثاني

استنباط قاعدة الجزاء من جنس العمل من خلال آيات السورة

ويحتوي على المطالب التالية:

المطلب الأول: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ﴾ ﴿وَتَبَّ﴾.

المطلب الثاني: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿يَدَآ﴾.

المطلب الثالث: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾.

المطلب الرابع: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾.

المطلب الخامس: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾.

المطلب السادس: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾.

المطلب الأول: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ﴾ ﴿وَتَبَّ﴾:

إنَّ افتتاح السورة بالتباب فيه إشعارٌ بأنها نزلت للتوبيخ وللوعيد، وهذا من براعة الاستهلال، مثل ما تُفتتَح أشعار الهجاء بما يُؤذِن بالذمِّ والشتم[1].

ولم يفتتح خطاب السورة بـ«قل تبت يدا أبي لهب» كالإخلاص والمعوذتين، وإنما جاء الدعاء عليه مباشرة من فوق سبع سموات، وهذا من تمام محبة الله لنبيه ﷺ، حيث تولّى المناضلة عنه والخصومة دونه. يقول البقاعي: «ولم يفتتحها بـ«قل» كأخواتها؛ لأنَّ هذا أكثر أدبًا، وأدخل في باب

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٠).

العذر، وأولى في مراعاة ذوي الرحم، وأشدّ في انتصار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له ﷺ، وأقرب إلى التخويف، وتجويز سرعة الوقوع»[1].

أولًا: معنى (التَّبِّ):

الفعلان ﴿ تَبَّتۡ ﴾ ﴿ وَتَبَّ ﴾ فعلان ماضيان، ومصدرهما: التَّبُّ، والفرق بين الفعلين كما هو واضحٌ أنَّ الفعل الأول اتصَّلَتْ به تاء التأنيث؛ لأنَّ فاعله مجازي التأنيث وهو اليدان، والثاني لم تتصل به تاء التأنيث؛ لأن فاعله ضمير مذكر يعود إلى أبي لهب[2].

يُقَال: تَبَّ، يَتُبُّ، تَبًّا وتَبَابًا[3].

وقد اختلفت عبارات العلماء في تفسير ﴿ تَبَّتۡ ﴾ على أقوال:

❖ القول الأول: خَسِرَت[4]. وهو مرويٌّ عن ابن عباس[5] وقتادة[6] وابن زيد[7].

والتتبيب: التخسير، قال تعالى: ﴿ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ﴾ [هود:١٠١]، أي: تخسير[8]. وهو قول عامة أهل التأويل[9]. ومنه قول الشاعر:

تَوَاعَدَنِي قَوْمِي لِيَسْعَوا بِمُهْجَتِي ... بِجَارِيَةٍ لَهُمْ تَبًّا لَهُمْ تَبًّا[10]

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٢/ ٣٢٨).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٤)، وجامع البيان (٢٤/ ٧١٤).

(٣) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٨).

(٤) تفسير القرآن من الجامع (١/ ١١٩)، وجامع البيان (٢٤/ ٧١٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٧٥)، وتأويلات أهل السنة (٦/ ١٨٢)، وبحر العلوم (٣/ ٦٣٢).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٣، ح١٩٥٢٣).

(٦) أخرجه عنه عبد الرزاق في التفسير (٣/ ٤٧٣، ح٣٧٣١). والطبري في جامع البيان (٢٤/ ٧١٤، ٧١٥)

(٧) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٢٤/ ٧١٤).

(٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٧٧).

(٩) كما قال الماتريدي في تأويلات أهل السنة (٦/ ١٨٢).

(١٠) النكت والعيون (٦/ ٣٦٤).

❖ **القول الثاني**: خابت. وهو مرويٌّ عن ابن عباس(١)، وأبي عوسجة(٢).

❖ **القول الثالث**: فسدت، فالتباب: الفساد. وهو قول لأبي عوسجة(٣).

❖ **القول الرابع**: هلكت. قاله ابن جبير(٤). وقيل: التباب: الهلاك بالانقطاع، أي: خَسِرَتْ بانقطاع الرجاء(٥). وقيل: التبُّ: الخسران المؤدي إلى الهلاك(٦). وقول الناس: تَبًّا لك، أي: خُسْرًا لك(٧).

❖ **القول الخامس**: ضلَّت. وهو قول عطاء(٨).

❖ **القول السادس**: صَفِرَت من كل خير. قاله يمان بن رئاب(٩).

وعلى كل حالٍ فالأقوال متقاربة، وهو من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضادِّ.

ثانياً: اسم أبي لهب:

أبو لهب هو عم النبي ﷺ(١٠). وفي اسمه قولان:

(١) النكت والعيون (٦/ ٣٦٤).

(٢) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٨)، وأبو عَوْسَجَة؛ هو ابن فَرَج الضَّبِّي الكوفي، واسمه: مسلم، له صحبة، ينظر: التاريخ الكبير للبخاري (٩/ ٦١)، وأُسْدُ الغابة (٥/ ١٦٦).

(٣) تأويلات أهل السنة (٦/ ١٨٢).

(٤) النكت والعيون (٦/ ٣٦٤).

(٥) تفسير ابن فورك (٢/ ٣٥٨).

(٦) تفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٦).

(٧) تأويلات أهل السنة (٦/ ١٨٢).

(٨) النكت والعيون (٦/ ٣٦٤)، وعطاء هو ابن أبي رباح.

(٩) النكت والعيون (٦/ ٣٦٤)، ويمان بن رِئاب؛ هو الخراساني، صاحب التفسير، وكان يرى رأي الخوارج، ينظر: الضعفاء والمتروكون للدارقطني (٣/ ١٣٧)، والمؤتلف والمختلف له (٢/ ١٠٥٢).

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٣)، بحر العلوم (٣/ ٦٣٢).

❖ **الأول**: هـو عبـد العُـزَّى بـن عبد المطلـب[١]. وقيل: عبد هشـم[٢]. وكنيته: أبو عتبة[٣].

❖ **الثاني**: أن اسمه كنيته، أي: اسمه أبو لهب[٤].

ثالثـاً: إذا كان اسـمه عبـد العزى أو عبد هشـم وكنيته أبو عتبة؛ فما سبب تكنيته بأبي لهب؟

في ذلك قولان وقفتُ عليهما:

☜ **القول الأول**: أن وجنتيه كانتا حمراوين، كأنما يلتهب منهما النار[٥].

☜ **القول الثاني**: أنه إنما سُـمِّي أبا لهب من حُسْنِهِ[٦]، فوجهه كان يتلَهَّب جمالًا[٧].

وقد يكون القولان قولًا واحدًا، فإنَّ سبب جماله هو الحمرة التي كانت في وجهه.

رابعاً: ما سبب تخصيص أبي لهب بالذِّكر من بين سائر الكفرة؟

يحتمل وجوهاً:

❖ **الوجه الأول**: أنه كان مـن الفراعنة والأكابر، والفراعنـة قد يُذْكَرُون بأسـمائهم لِما هـم المقصودون بـه، وإن كان مَن دونهم يُشـاركونهم في ذلك؛

(١) تفسـير مقاتـل بـن سـليمان (٤/ ٩١٣)، وبحـر العلـوم (٣/ ٦٣٢)، والهدايـة إلـى بلـوغ النهايـة (١٢/ ٨٤٨٤١).
(٢) النكت والعيون (٦/ ٣٦٥).
(٣) تفسير القرآن العزيز (٥/ ١٧١).
(٤) بحر العلوم (٣/ ٦٣٢).
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٣).
(٦) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٣، ح١٩٥٢٥).
(٧) تفسير القرآن العزيز (٥/ ١٧١).

كذكر فرعون وعاد وثمود[(١)].

❖ **الوجه الثاني**: أنه كان شديد الهيبة والخوف، يخاف منه قريشٌ والعرب، فذكره باسمه ليعلم أن محمدًا ﷺ لا يهابه ولا يخافه[(٢)].

❖ **الوجه الثالث**: أنه كثير الأيادي والصنائع بحق رسول الله ﷺ، فلو كان الخطاب بهذا يعم الكفرة لكان يظن بما سبق مِن الأيادي أنه غير داخل تحت الخطاب؛ فخصه بالذكر ليعلم أنه لا يغنيه من الله شيء[(٣)].

خامساً: إذا كان اسمه عبد العُزَّى؛ فلِمَ ذُكِر بكنيته دون اسمه الصريح؟

فيه وجوه:

❖ **الوجه الأول**: أن الناسَ كانوا يعرفون كنيته، ولا يعرفون اسمه، فذُكِر بما كان معروفًا به[(٤)].

❖ **الوجه الثاني**: أنَّ اسمه كان عبد العُزَّى أو عبد هشم، أي: مُعَبَّدٌ لصنم أو لرجل، فكُرِهَ أن يُنسَبَ إلى غير الله سبحانه[(٥)].

❖ **الوجه الثالث**: أنَّ اسم (عبد العزى) اسمٌ يشترك فيه أبو لهب وغيرُه، والمقصود بهذه السورة تخويف أبي لهب وتعييره بأشياء هو وزوجته، فلو أنَّه نزل باسمه (عبد العزَّى) لأمكنه أن يقول: إني لست المقصود بهذه السورة، فنزلت بكنيته التي كان يختصُّ بها[(٦)].

(١) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٩).
(٢) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٩).
(٣) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٩).
(٤) تفسير القرآن للسمعاني (٦/ ٢٩٩)، والنكت والعيون (٦/ ٣٦٥).
(٥) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤٠)، وبحر العلوم (٣/ ٦٣٢).
(٦) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤٠).

❖ الوجه الرابع: أنَّ ذِكْرَ الكنية خرج مخرج الوعيد، أي: تصير النارُ له كالابن وهو كالأبِ لها، وذلك لأنَّ هذه الكنى إنما تذكر في المتعارف على وجه التفاؤل، كما يقال: أبو منصور، على رجاء أن يولد له ابنٌ يُسَمَّى منصورًا. ثم إنَّ الله تعالى سمَّى النارَ في بعض الآيات أُمًّا للكافر، كقوله تعالى: ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ [القارعة: ٩]، وفي بعضها: مولى، قال: ﴿هِيَ مَوْلَىٰكُمْ ﴾ [الحديد:١٥]، فجاز أيضًا أن تكون النار إذا قربت منه وانضمت إلى حجره أن تصير في التمثيل كالولد، ويصير هو أبًا لها[(١)]. فلمَّا كان من أهل النار ومآله إلى نار ذات لهب، وافقت حالُه كُنيتَه، فكان جديرًا بأن يُذكر بها[(٢)]، ولذا وصف الله النار بذات لهب لزيادة تقرير المناسبة بين اسمه وبين كفره؛ إذ هو أبو لهب، والنار ذات لهب[(٣)].

قال ابن عاشور: كنية أبي لهب صالحة موافقة لحاله من استحقاقه لهب جهنم، فصار هذا التوجيه كناية عن كونه جَهَنَّميًا لينتقل من جعل أبي لهب بمعنى ملازم اللهب إلى لازم تلك الملازمة في العرف، وهو أنه من أهل جهنم وهو لزوم ادعائي مبني على التفاؤل بالأسماء[(٤)]. كما أن كنيته لازمته في الدنيا فكذلك النار تلازمه في الآخرة.

❖ الوجه الخامس: أنَّ ذِكْرَ الكُنيـة -وإن كان يراد بها التعظيم-، فعند ذكر المواعيد والعقوبات يراد بها الاستخفاف والإهانة. وذلك مثل البشارة فإنها

(١) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤٠).

(٢) الكشاف (٤/ ٨١٤)، ومفاتيح الغيب (٣٢/ ٣٥٠)، ومعالم التنزيل (٨/ ٥٧٨)، والبحر المحيط (١٠/ ٥٦٦).

(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٥).

(٤) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٢).

وإن كانت تذكر عندما يسر ويُبْهِج في الأغلب، فعند ذكر العقوبة هي نذارة، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران:٢١] وعلى ذلك الكنية[١].

❖ **الوجه السادس**: أنَّ الاسم أعظم من الكنية، لأن الكنية إشارة إلى الشخص باسم غيره، فلذلك سمَّى الله الأنبياء بأسمائهم لا بكُنَاهم، فلو سُمِّي باسمه لكان تسميةً له بالاسم الأعظم، والمقام هنا مقام إذلالٍ وإهانة[٢].

وكلُّها أوجهٌ محتملة، وبعضها أقوى من بعض.

سادساً: بعد أن تَبَيَّن أن التباب هو الخسران والهلاك، فما الذي خسره أبو لهب وخسرته يداه؟

ورد في ذلك أقوالٌ:

❖ **القول الأول**: تَبَّ مالَه[٣].

❖ **القول الثاني**: تبَّ عملَه[٤]. وهو قول ابن زيد[٥].

❖ **القول الثالث**: تبَّ عن التوحيد[٦]. قاله ابن عباس[٧].

❖ **القول الرابع**: تَبَّ نفسَه[٨].

❖ **القول الخامس**: كان أبو لهب أراد أن يرمي النبيَّ ﷺ بحجر، فمنعه الله من ذلك، وقال: تبت يداه؛ للمنع الذي وقع به[٩].

---

(١) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤٠).
(٢) النكت والعيون (٦/ ٣٦٥).
(٣) تفسير التستري (ص٢٠٩).
(٤) جامع البيان (٢٤/ ٧١٤).
(٥) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٢٤/ ٧١٤).
(٦) بحر العلوم (٣/ ٦٣٢).
(٧) النكت والعيون (٦/ ٣٦٥).
(٨) بحر العلوم (٣/ ٦٣٢).
(٩) تفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٧).

❖ **القول السادس**: تَبَّ عن الخيرات. قاله مجاهد[1].

ولا مانع من الحمل على جميع ما سبق، وبعضُه يدخل في بعض.

سابعاً: ما سبب تكرار فعل (تَبَّ) مرتين؟

في ذلك أقوالٌ:

❖ **القول الأول**: إن التَّباب والخسران الأول هو خسران المال، والتباب والخسران الآخر هو خسران النفس[2].

❖ **القول الثاني**: أنَّ التَّباب الأول دُعاءٌ عليه بالخسران، والثاني هو إخبارٌ عن وقوع الخسران في سابق التقدير. تقول العرب في مثل هذا: أهلكك الله وقد أهلكك، وجعلك صالحاً وقد جعلك[3]. قال ابن عباس: قد تبَّ[4].

ويؤيد هذا القول إنه في قراءة عبد الله بن مسعود: {تبت يدا أبي لهبٍ وقد تبَّ}[5]؛ فإنه قد دخلت (قد) على الفعل الماضي، ودخول (قد) على الفعل الماضي فيه دلالة على أنه خبر[6].

وعلى قراءة ابن مسعود {وقد تَبَّ}، فالواو فيه واو الحال[7].

❖ **القول الثالث**: أنَّ الثاني تأكيدٌ للأول[8].

---

(١) النكت والعيون (٦/ ٣٦٥).

(٢) تفسير التستري (ص٢٠٩).

(٣) تفسير التستري (ص٢٠٩)، وجامع البيان (٢٤/ ٧١٤) وعزاه إلى بعض أهل العربية، وتفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٧).

(٤) النكت والعيون (٦/ ٣٦٥).

(٥) وهي قراءة شاذة. انظر: جامع البيان (٢٤/ ٧١٤).

(٦) جامع البيان (٢٤/ ٧١٤).

(٧) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٤).

(٨) النكت والعيون (٦/ ٣٦٥).

❖ **القول الرابع**: أنَّ الأول إخبـارٌ عما حصل في الدنيا مـن أن يدي أبي لهب تبَّت بما منعه الله تعالى من أذى لرسـوله، والثاني إخبارٌ بما له عند الله من أليم عقابه[١].

❖ **القول الخامس**: أنَّ الثانية لولد أبي لهب. قاله مجاهد[٢].

والقـول الخامـس ضعيفٌ؛ لأنَّـه لم يَرِد للولـد ذِكْرٌ سـابقٌ، وما بعده لا يُسـاعِدُ السياقُ على جعله فاعلًا، وبقية الأقوال الأربعة محتملة، ويؤيد القول الثاني القراءة الشاذة المذكورة.

ختام المبحث: الجزاء من جنس العمل في ﴿ تَبَّتْ ﴾ ﴿ وَتَبَّ ﴾:

يظهر الجزاء من جنس العمل في الأمور الآتية:

◈ **أولًا**: أنـه جواب عن قول أبي لهب للنبي ﷺ حين جمعهم ودعاهم إلـى التوحيد وأنذرهم العذاب بقوله: تبًّا لـك[٣]، أو ما ورد من قوله: (تبًّا لهذا مـن دين)[٤]. ومن اللافـت للنظر أن يأتي الدعاء على أبـي لهب بنفس الصيغة التي نطق بها لسانه المشئوم.

◈ **ثانيـاً**: عِندمـا تَصَـدَّرَ في الـرَّدِّ علـى النبـيِّ ﷺ رغـم وجـود كثـرة المعارضيـن له والذين لـم يؤمنوا؛ كان جـزاؤُهُ أن أُهْمِلَ ذِكْـرُ البقية وذُكِرَ هو وحده جزاءً وِفاقًا[٥].

---

(١) النكت والعيون (٦/ ٣٦٣).

(٢) النكت والعيون (٦/ ٣٦٥).

(٣) وقد سبق تفصيل ذلك في مبحث سبب نزول السورة.

(٤) تفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٧).

(٥) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٩).

◈ **ثالثاً:** أنَّ سَبَّ أبي لهبٍ وعيبَه كان علنًا، أمام القوم المجتمعين لِمَا دعاهم إليه نبينا ﷺ، فكان من اللائق أن يُعاد إليه العَيْبُ والذَّمُّ أمام الناس أجمعين، فمَن ذَمَّ على ملإٍ استحقَّ أن يُذَمَّ أمام ملإٍ خير منهم وأكثر، كما حصل في إنزال هذه السورة في القرآن الكريم.

◈ **رابعاً:** أنَّه عندما آذى النبي ﷺ بعبارته هذه؛ جُوزِي بأن ذُكِر بكنيته، وتَرْكُ الاسم إلى الكنية فيه نوعُ استهزاءٍ بما هو مُتَتَبَّعٌ من أسلوب القرآن[1]، كما أنَّ الكنية في مقام الوعيد نوع استهزاء[2].

◈ **خامساً:** ما ذُكِر مِن أنه كان يُحْسِنُ إلى النبي ﷺ قبل البعثة، ويظُنُّ أنَّ هذا سينفعه، فعُوقِب بنقيض ظنِّه، وبُيِّن أن هذا سيكون خسرانًا وتبابًا عليه[3].

◈ **سادساً:** أنَّه كان يفتخر بجماله وتلهُّب وجهه، فذُكِرت كنيته (أبو لهبٍ) في سياق الاستهزاء والاستحقار؛ فافتخاره بكنيته جُعِلَت سبيلًا للاستهزاء به[4].

۞ المطلب الثاني: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿يَدَآ﴾:

◆ أولًا: إذا كان السببُ الذي استحقَّ بسببه أبو لهب أن تنزل فيه هذه السورة من القرآن، هو قولٌ قاله بلسانه، فما وجه الدعاء على يده بالخسران دون اللسان؟

نعم يُقال في لغة العرب لكل ما عمله الإنسان: ذلك بما كسبت يداك، وإن كانت اليدان لم تجنِ شيئًا؛ لأن اليدين هما الأصل في التصرف، فجعلتا

(١) النكت والعيون (٦/ ٣٦٥).

(٢) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤٠).

(٣) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٩).

(٤) الكشاف (٤/ ٨١٤).

مَثَلًا لجميع ما عُمِلَ بغيرهما، كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾ [الحج:١٠]، وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [آل عمران:١٨٢][1].

◆ **ثانياً: ما المراد باليدين؟**

القول الأول: المراد حقيقة اليد[2].

القول الثاني: أنَّ المراد نفس أبي لهب، وتكون اليدُ صِلَةً له، بمعنى: زائدة[3]، ويكون ذلك من باب المجاز[4].

◆ **ثالثاً: إذا كانت اليد حقيقةً فلِمَ دُعِيَ عليها بالخسران؟**

في ذلك وجوه:

☜ **أحدها:** ما ذُكِر: أنه كان كثير الإحسان إلى رسول الله ﷺ، والإنفاق عليه، والصنائع إليه، وكان يقول: إن كان الأمر لمحمد يومئذ فيكون لي عنده يد، وإن كان لقريش فلي عندها يد، فأخبر -والله أعلم- أنه خسر فيما طمع ورجا مِن اليد التي له عنده والإحسان الذي أحسن إليه؛ إذ لم يصدقه، ولم يؤمن به، وخسر أيضًا ما ادَّعى من اليد له عند قريش[5].

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٢٥-٣٢٦).

(٢) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٨).

(٣) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٨)، وبحر العلوم (٣/ ٦٣٢)، والنكت والعيون (٦/ ٣٦٤)، والزيادة هنا لا تعني أن هذا المزيد خالٍ عن الفائدة، فإن مقام كلام الله يعلو عن ذلك، وكل ما قيل فيه زائد، فإنما يراد به الصلة، وليست زيادته لغوًا، بل له من المقام في توكيد المعنى ما لا عوض عنه.

(٤) وهل في القرآن مجاز أم لا؟ خلاف بين أهل العلم مشهور، والأظهر وجوده، وليس وجوده بضائر شيئًا على التحقيق إن شاء الله، إذ عامة أهل اللسان على أنه خصيصة من خصائص اللغة، والقرآن إنما نزل بلسان العرب، ويصار إلى القول بالمجاز في الشيء عند تحقيق ذلك لا كما يذهب أهل الكلام، إذ الأصل الحقيقة، والله أعلم.

(٥) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٨-٦٣٩)، وبيان المعاني (١/ ١٢٠).

☜ **والثاني**: يحتمل أن يكون من أبي لهب تخويف لرسول الله ﷺ بالبطش والأخذ باليد، فأمَّن الله تعالى رسولَه عمَّا خَوَّفَه به، حيث قال: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد:١] أي: خسِرَت يداه، ولا يقدر على البطش(١).

☜ **والثالث**: يحتمل أن يكون اليد كنايةً عن القوة في نفسه وماله في دفع العذاب عن نفسه، وكذلك كانوا يدَّعون دفع العذاب عن أنفسهم بقولهم: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ:٣٥](٢).

☜ **والرابع**: يجوز أنه كان يصرف الناسَ عن رسول الله ﷺ بيده، أو حين دُعِيَ إلى الإيمان بالله تعالى مَدَّ يديه على التعجل من ذلك، وقال: ألهذا دعوتنا؟، فرد الله تعالى عليه ذلك وعيَّره به(٣).

وعلى كل حال فإذا خسرت يدا أبي لهب فقد خسر هو(٤).

◆ **رابعاً: إن كان ذِكْرُ اليَدِ على الصلة، فهو يُخَرَّجُ على وجوه:**

الأول: ذِكْرُ اليدِ كناية عن العمل والفعل، فحيث إنَّ اليد هي الجارحة التي يَكتسب بها المرء غالبًا، كَنَّى بها عن العمل، والعلاقة هنا سببيَّةٌ، وقد جاء نحو ذلك كثيرًا في التنزيل، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [آل عمران:١٨٢]، ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى:٣٠]، كنايةً عمَّا كان منه من الصنيع، أي: خسرت أعماله وبطلت(٥)، لأن أكثر العمل لمَّا كان باليدين أضيف ذلك إليهما، على معنى الخسار الذي أدَّى إليه العمل بهما(٦).

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٢).
(٢) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٨-٦٣٩).
(٣) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٨-٦٣٩).
(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٢).
(٥) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٨-٦٣٩).
(٦) تفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٦).

والثاني: يذكر اليد على إرادة قُدَّام وأمام، كقوله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ [فصلت:٤٢] أي: أمامه وخلفه، فيكون معناه: ما قدَّم من الأعمال[١].

والثالث: أنه أخبر عن يديه والمراد به نفسه، على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله[٢]. ومما يدل على أن المراد هو ذات أبي لهب وليست يديه، قوله في آخر الآية: ﴿ وَتَبَّ ﴾، ولم يقل: وتَبَّتَا[٣]، وذلك على القول بأنَّ الفعل الثاني توكيد.

والرابع: أن اليد صِلَةٌ تستخدمها العرب، تقول العرب: يدُ الدَّهْرِ، ويَدُ الرَّزَايَا، ويدُ المنايا[٤]. قال الشاعر:

لَمَّا أَكَبَّتْ يَدُ الرَّزَايَا عَلَيْهِ نَادَى أَلَا مُجِيرُ[٥]

والخامس: قيل: المراد به ماله وملكه، يُقال: فلان قليل ذات اليد، يعنون به: المال[٦].

◆ وختام المبحث: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿ يَدَآ ﴾:

أولاً: ما ذَكره بعض المفسرين من احتمال أن أبا لهب خوَّف رسول الله ﷺ بالبطش والأخذ باليد، فأمَّن الله تعالى رسولَه عمَّا خَوَّفه به، حيث قال: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ أي: خسِرَت يداه، ولا يقدر على

(١) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٨-٦٣٩).
(٢) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٣).
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٢).
(٤) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٤).
(٥) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٤).
(٦) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٤).

البطش[١]، فيظهر في هذا أنَّهُ عندما خوَّفَ النبيَّ ﷺ بيده جُوزِي من جنس عملِه، وعُوقِبَت يده بالتباب والخسران.

☜ **ثانياً**: ما ذكره بعض المفسرين من أن أبا لهب عندما قال (تبًّا) قارن ذلك حركات بيديه، فتكون الآية جزاءً لقوله وفعله، أما قولُه فجُوزي عليه بمثله بالتباب والخسران، وأما فعله وحركات يده فجُوزي بتسميتها بالخسران رغم أن الخسارة تعم الجميع[٢]. فقد ذُكِر أنه عندما قام النبي ﷺ خطيباً ينذرهم، أن أبا لهب قام ينفض يديه الاثنتين بين يدي الرسول ﷺ، وهو يقول: تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ ﴾[٣]، ولذا جاء التباب في كلتا يديه.

☜ **ثالثاً**: ما ذُكِر في بعض الروايات أنه كان يَصُدُّ عن النبي ﷺ بيده، فعُوقِبَت يده بالخسران والهلاك جزاءً وفاقاً[٤]، فقد ذُكِر من أعمال يديه: أنَّه أخذ مرَّةً حجرًا بيده ليرمي به الرسول ﷺ، فمنعه الله من ذلك[٥].

بل ورد أنه رماه فأَدْماه، فعن طارق المُحاربي قال: بينا أنا بسوق ذي المجاز إذا أنا برجل حديث السن يقول: أيها الناس قولوا: «**لا إله إلا الله تُفْلِحوا**»، وإذا رجل خلفه يرميه قد أدمى ساقيه وعرقوبيه، ويقول: يا أيها الناس إنه كذاب فلا تصدقوه. فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا محمد يزعم أنه نبي، وهذا عمه أبو لهب[٦].

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٢).

(٢) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٨-٦٣٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٥١٤).

(٤) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٨-٦٣٩).

(٥) التحصيل للمهدوي (٧/ ١٨٦)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٢)، وتفسير النيسابوري (٦/ ٥٨٩)، والسراج المنير (٤/ ٦٠٦).

(٦) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١/ ٨٢ ح ١٥٩)، وابن حبان (١٤/ ٥١٧)، والحاكم (٢/ ٦٦٨) وصححه هو والذهبي.

وورد أنَّه كان يضرب بيده على كتف الوافِد عليه، فيقول: انصرف راشدًا؛ فإن محمدًا مجنون[1].

☜ **رابعاً**: ومما يمكن أن يدخل في قاعدة **(الجزاء من جنس العمل)** في هذه الآية: أنَّ أبا لهبٍ عندما زعم أنَّ له اليد الطولى والفضل المزعوم على النبي ﷺ لنوعٍ من أنواع الإحسان قدَّمه إليه في يومٍ ما، فقد أخبر الله أنَّ هذا الإحسان باطلٌ، وأنَّ هذه اليد المزعومة هي خاسرة وقد تبت وباءت بالهلاك، فكما أَخْبَر بأن له اليد الفُضلى عُوقِب بأن أُخْبِرَ بأنَّ له اليد الخاسرة الهالكة.

المطلب الثالث: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾:

◆ أولاً: في إعراب ﴿ مَآ ﴾ الأولى قولان:

القول الأول: أنها نافية، أي: لم يُغْنِ عنه ماله وكَسْبُهُ وأولاده من عذاب الله شيئًا، حيث كانوا يقولون: ﴿ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [سبأ:٣٥][2]. وعلى هذا الوجه تكون حرفًا، ويكون هناك مفعول محذوف تقديره: ما أغنى عنه مالُه شيئًا[3].

القول الثاني: أن ﴿ مَآ ﴾ استفهامية إنكارية، أي: أيَّ شيءٍ أغنى عنه مالُه وكسبُه؟[4]. وعلى هذا الوجه تكون ﴿ مَآ ﴾ في موضع نصب بـ ﴿أَغۡنَىٰ﴾[5].

والقولان مُؤَدَّاهُما واحد، وإنما هما احتمالان نحويَّان.

(١) تفسير النيسابوري (٦/ ٥٨٩).
(٢) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤٠)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٥).
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٤).
(٤) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤٠)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٥).
(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٤).

◆ ثانياً: معنى الإغناء عنه: فيه قولان:

القول الأول: الدفع عنه، والإغناء عنه بالمال ونحوه يُراد به: دفع وقوع المضارِّ به[1].

القول الثاني: ما نفعه. قاله الضحاك[2].

فالقول الأول يُحْمَل فيه الإغناء على دفع الأذى والمضار، والقول الثاني يُحْمَل فيه الإغناء على جلب المنافع والمصالح، والآية تحتمل المعنيين فيُحْمَل على كليهما.

◆ ثالثاً: المراد بالمال في الآية، فيه أقوال:

القول الأول: يعني أغنامه، وكان صاحب سائمة ومواشٍ. وهو قول أبي العالية[3].

والقول الثاني: ما اقتنى من الأموال والأغراض[4].

والقول الثالث: تليده وطارفه، والتليد: الموروث، والطارف: المُكتَسب[5]. وقرأ الأعمش شاذًّا: {وما اكتسب} ورواه عن ابن مسعود[6].

والقول الثاني والثالث متشابهان جدًّا؛ فإنَّ القول الثاني عمَّم من جهة ما يملكه؛ فسمَّى المال وسمَّى الأغراض، والقول الثالث عمَّم من جهة ماله الموروث وماله المكتسب، أما القول الأول ففيه معنى التخصيص لما كان يملكُه أبو لهبٍ. ولا تعارض بين الأقوال الثلاثة، فتُحْمَل على الجميع.

---

(١) تفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٦).

(٢) النكت والعيون (٦/ ٣٦٥).

(٣) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٥)، والنكت والعيون (٦/ ٣٦٥).

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٤).

(٥) النكت والعيون (٦/ ٣٦٥).

(٦) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٥).

◆ **رابعاً: إعراب (ما) في** ﴿وَمَا كَسَبَ﴾: هنا في موضع رفع، وتُأَوَّل مع الفعل بعدها بمصدر يكون معطوفاً على ما قبله، أي: ما أغنى عنه مالُهُ وكسبُهُ[1].

◆ **خامساً: المراد بالكسب: فيه أقوال:**

القول الأول: الولد[2]. وهو قول ابن عباس[3]، ومجاهد[4]، ومقاتل[5].

عن أبي الطفيل قال: كنت عند ابن عباس يوماً، فجاء بنو أبي لهَب يختصمون إليه في شيء بينهم، فاقتتلوا عنده في البيت، فقام يحجز بينهم، فدفعه بعضهم، فوقع على الفراش، فغضب ابن عباس، فقال: أخرجوا عني الكسب الخبيث ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ يعني: ولده[6].

وسمِّي الولدُ كسباً؛ لأنه من كسبه[7]. عن عائشة قالت: أطيب ما أكل الرجلُ مِن كسبه، وإنَّ ابنَه مِن كسبِه، ثم قرأت: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ قالت: وما كسب ولَدُهُ[8].

ومما يؤيد أنه يجوز إطلاق الكسب على الولد: ما رواه أبو الأسود، عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ: «**إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه، وولده من كسبه**»[9].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٧٥).

(٢) تفسير التستري (ص٢٠٩)، وبحر العلوم (٣/ ٦٣٢)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٥).

(٣) أخرجه عنه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٤٧٤، ح٣٧٣٤).

(٤) تفسير مجاهد (ص٧٥٩). وأخرجه ابن جرير عنه في جامع البيان (٢٤/ ٧١٧، ٧١٨).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٤).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٤٧٣، ح٣٧٣٠)، وابن جرير في جامع البيان (٢٤/ ٧١٧)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٦).

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٤).

(٨) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٣، ح١٩٥٢٦).

(٩) سنن أبي داود (ح٣٥٢٨)، وسنن النسائي (ح٤٤٥١)، وصححه الذهبي في التعليق على المستدرك (ح٢٢٩٥).

وسئل ابن عباس: أيأخذ الرجلُ من مال ولدِه؟ فتلا: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ الآيةَ [الشورى: ٤٩]، فهو مما وهب الله لنا، فهم وأموالهم لنا[١].

وأولاده: عتبة، وعتيبة، ومعتب[٢]. وولده عتبة بن أبي لهب كان مبالغًا في عداوة النبي ﷺ كأبيه[٣].

والقول الثاني: أنَّ الكسب هو ما كسب من العمل. قال الضحاك: عمله الخبيث[٤].

ويحتمل وجهين

الوجه الأول: ما أغنى عنه ما كسب من العمل والإنفاق الذي أنفق على الطمع الذي فعل، أي: لم يُغْنِه شيئًا[٥].

الوجه الثاني: لم يُغْنِهِ ما كسب عن صدِّ الناس عن رسول الله ﷺ والدخول في دينه والاتباع له وسوء المقال الذي قال فيه[٦].

والقول الثالث في المراد بالكسب: ما كسب من جاهٍ[٧].

◆ سادساً: الشيء الذي نُفِيَ أنه أغنى عنه ماله وكسبه: فيه قولان:

القول الأول: أنه ما يغنيه مالُه وكسبُه من العذاب والغضب وسخط الله عليه[٨]، وهو قول قتادة[٩].

(١) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤١).
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٤).
(٣) النكت والعيون (٦/ ٣٦٦٩).
(٤) النكت والعيون (٦/ ٣٦٦).
(٥) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤١).
(٦) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤١).
(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٥).
(٨) جامع البيان (٢٤/ ٧١٧)، وتأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤٠).
(٩) تفسير عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٤٧٤، ح٣٧٣٤).

القول الثاني: في عداوته النبي ﷺ[(١)].

والحمل على القولين جائزٌ، فيحمل عليهما.

◆ **وفي ختام المبحث: الجزاء من جنس العمل في هذه الآية يظهر فيما يلي:**

☜ **أولاً**: أنَّ أبا لهب يدخل ضمن مَن كانوا يقولون: ﴿نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[(٢)]، فكان الجزاء مِن جنس ما قالوه أنه لم يغنِ عنه مالُه أو ولده شيئًا[(٣)].

☜ **ثانيا**: أنَّ أبا لهبٍ قد استعانَ بولده ومالِه في عداوة النبي ﷺ، فولده عتبة بن أبي لهب كان مبالغًا في عداوة النبي ﷺ كأبيه[(٤)]، وماله استعمله في صدِّ الناس عن رسول الله ﷺ والدخول في دينه والاتباع له وسوء المقال الذي قال فيه[(٥)]، فكان جزاؤه من جنس عملِه؛ أن نُفِيَ عنه نفعُ هؤلاء في عذاب الآخرة والعياذ بالله.

☜ **ثالثاً**: أنَّ أبا لهب قد زعم أنه سيفتدي يوم القيامة بماله وولده، فعاقبه الله بجريرة قوله، وكان جزاء هذا القول أن أصبح ماله الذي جمعه وولده الذين اشتدَّ ظهره بهم وجميع ما كسب وبالًا عليه، ولم ينتفع بهم، ولم يغن عنه شيئًا دنيا ولا أخرى؛ ففي الدنيا هلك هلاك مذلة، فلم يُكَفَّن بماله ولا بمال غيره، ولم يحمل جنازته أحدٌ مِن أولاده ولا أتباعه[(٦)]. فقد ذكر أصحاب التفسير: أنَّ

(١) النكت والعيون (٦/ ٣٦٦).

(٢) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤٠)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٥).

(٣) الوسيط للواحدي (٤/ ٥٦٨).

(٤) النكت والعيون (٦/ ٣٦٦٩).

(٥) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤١).

(٦) حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوي (٨/ ٤٠٩).

أبا لهب أصيب بالعَدَسة[١] بعد وقعة بدر بأيام معدودة، وتُرك ثلاثًا حتى أنتن ثم استأجروا بعض السودان، بحيث لم يقربه أحد من أقاربه، وإنما غسلوه بالماء قذفا من بعيد، ورجموه حتى دفنوه[٢]، فمالُه وجَاهُهُ وولدُه لم ينفعه حتى ولو في تجهيزه وتغسيله بعد موته؛ فقد خدمه ماله في نقيض ما يريد فقد أخذ من ماله أجرة لمن يرميه ويقذفه من بعيد من السود والعبيد، وفي الآخرة أخبر الله أنهم لن يغنوا عنه من الله شيئًا.

۞ المطلب الرابع: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾:

◆ أولاً: السين في قوله: ﴿ سَيَصْلَىٰ ﴾: فيها قولان للعلماء:

☜ **القول الأول**: أنها سين سوف[٣].

☜ **القول الثاني**: أنها سين الوعد[٤]، وعبر الماوردي عنها بسين الوعيد، كقوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ ﴾ [القمر:٤٥]، ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا ﴾ [آل عمران:١٨٠][٥].

والذي يظهر لي أنَّ القولين ليسا متعارضين، وإنما القول الأولُ أعمُّ في المعنى، فإنه يدل على أن السين للتسويف، وهو شيء سيحصل في المستقبل، والقول الثاني يدل على أن هذا الذي سيحصل في المستقبل هو للوعيد.

(١) وهي: قروح تخرج من جسم الانسان كانت العرب تهرب منها؛ لأنها بزعمهم تُعدي أشد العدوى. قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ١٩٠) في حديث أبي رافع: «أن أبا لهب رماه الله بالعدسة» وهي بثرة تشبه العدسة تخرج في مواضع من الجسد، من جنس الطاعون، تقتل صاحبها غالبا». وفي تاريخ الطبري (٢/ ٤٦٢) كانت قريش تتقي العدسة وعدوتها كما يتقي الناس الطاعون.

(٢) تاريخ الأمم والملوك (٢/ ٤٦٢)، والكامل في التاريخ (١/ ٦٦٨)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٢٢).

(٣) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٦).

(٤) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٦).

(٥) النكت والعيون (٦/ ٣٦٦).

◆ **ثانياً: معنى (يَصْلَى):** سيغشى، ويدخل[1]. وسيُقاسي حَرَّ النار، يُقال: صلَيْتُ بالأمر أَصْلَى: إذا قاسَيْتَ حَرَّه وشِدَّتَهُ، وصَلَيْتُهُ: شويته، وفي الحديث: شاة مصليَّة، أي: مشوية[2].

وفي الآية قراءتان شاذَّتان: {سيُصْلَى} قراءة أبي رجاء بضم الياء[3]، ورويت عن أبي بكر عن عاصم[4]، و{سيُصَلَّى} قراءة أشهب العقيلي بضم الياء وتشديد اللام[5].

◆ **ثالثاً: فاعل ﴿سَيَصْلَىٰ﴾:** ضمير مستتر تقديره (هو)، وفي الذي يعود إليه الضمير قولان:

☜ **القول الأول:** يعود إلى أبي لهب[6].

☜ **القول الثاني:** يعود إلى ولده[7]. وهو قول ضعيف؛ لأنَّ أبناءَه منهم المسلمون، مثل درة بنت أبي لهب، إلا أن يُراد بعضُ ولده.

◆ **رابعاً: معنى ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾:**

☜ **القول الأول:** ليس لها دخان[8].

☜ **القول الثاني:** أنها قوية؛ فيكون لها لهب، وارتفاع، واشتعال[9].

---

(١) بحر العلوم (٣/ ٦٣٢).
(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٥).
(٣) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٦).
(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٥).
(٥) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٦).
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٤)، وتفسير التستري (ص٢٠٩)، وجامع البيان (٢٤/ ٧١٨).
(٧) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٧٥).
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٤)، وتفسير التستري (ص٢٠٩).
(٩) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤١)، وبحر العلوم (٣/ ٦٣٢)، والنكت والعيون (٦/ ٣٦٦)، والهداية (١٢/ ٨٤٨٥).

و﴿ لَهَبٍ ﴾ و(الهاء) في هذه الآية لم يختلف القُرَّاء أنها بالفتح، بخلاف ما حصل من اختلافٍ في الآية الأولى من السورة.

وسبب اتفاقهم في هذا الموضع: مراعاة رءوس الآي(١).

◆ **خامساً: لماذا اختير وصف النار بهذا الوصف رغم أن لها أوصافاً كثيرة؟**

لِما في هذه الصفة من مضارعة كنيته التي كانت مِن نذره ووعيده(٢).

◆ **سادساً: سبب توعده الله بالنار:** هو وعيد من الله حقَّ عليه بكفره(٣).

◆ **سابعاً: في الآية دليل على صحة رسالة النبي ﷺ:** حيث أخبر أنَّ أبا لهب سيكون من أهل النار، ولا يمكن ذلك إلا إذا خُتِمَ له على الكفر، فكان كما أخبر، ومات على الكفر، وكذلك زوجته(٤).

وقد كان أبو لهب وامرأته من أحرص الناس على تكذيب النبي ﷺ، ولم يحملهما ذلك على إظهار الإيمان حتى يُكذِّبا رسول الله ﷺ، بل داما على كفرهما(٥).

قال الماتريدي: «وفي هذه السورة دلالتان أُخريان يدلان على نبوته:

◈ **إحداهما**: أن رسول الله ﷺ إنما قرأ هذه السورة عليهم بمكة حين لم يكن له ناصر في الدِّين، وكانت المنعة والقوة للكفرة، وكانوا جميعًا أولياء أبي لهب وأنصارًا له عن آخرهم، ولا يحتمل أن يكون مُحَمَّد ﷺ يقرأ هذه السورة عليه، وفيها سبٌّ له وتعييرٌ إلى يوم القيامة، مع قلة أوليائه وكثرة أعدائه؛ إذ فيه خوف هلاكه - إلا برب العالمين.

---

(١) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٤).

(٢) النكت والعيون (٦/ ٣٦٦).

(٣) النكت والعيون (٦/ ٣٦٧).

(٤) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤١)، وتفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٨)، والنكت والعيون (٦/ ٣٦٧).

(٥) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٩).

◈ **ومعنى آخر:** أنه ﷺ كان موصوفًا بحسن العشرة وإجمال الصحبة مع الأجانب؛ فما ظنك بالعشيرة والأقارب مع أنه كان متنزهًا عن الفحش في جميع أوقاته؛ فما جاز له هذا إلا بالأمر من الله تعالى؛ فدلَّ ذلك على نبوته ورسالته»[(١)].

◆ ثامناً: الجزاء من جنس العمل في الآية:

تظهر هذه القاعدة في هذه الآية من عدة وجوه:

❖ **الوجه الأول:** على القول بأن الضمير في {يصلى} يعود إلى ولدِ أبي لَهَبٍ الذين كان يُرِيد أن يَفْتَدِي بهم في النار؛ فإنَّ بعض ولده سيدخل النار ولن يكون فداءً، بعكس ما أراد أبو لهب.

❖ **الوجه الثاني:** على القول السابق فإنَّ ولدَ أبي لهب الذين ساعدوه وعاونوه في إيذاء النبي ﷺ سيكونون حسرةً عليه يوم القيامة حينما يُرْمَون في النار معه.

❖ **الوجه الثالث:** أنَّ جماله ووجاهته التي سمي لأجلها (أبا لهب) سيُجازَى باستغلالها في الشر أن يكون من أهل النار ذات اللهب والعياذ بالله.

❖ **الوجه الرابع:** أنَّ أبا لهبٍ عندما كان يريد وعدًا من النبي ﷺ أن يكون له منزلة في الإسلام ليست لغيره، وهذا ليس من طريقة الإسلام في شيء، فلم يحصل عليها، فغضب وكفر، كُوفِئ وجُوزِي بأن وُعِدَ نارًا يصلاها في الآخرة لا يخرج منها أبدًا.

❖ **والوجه الخامس:** أنَّه عندما دعا على النبي ﷺ بالتباب والهلاك بقوله: (تبًّا لك)؛ وعده الله بالهلاك والتباب والخسارة الأخروية بدخوله النار وعدم خروجه منها.

---

(١) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤١).

❖ **والوجه السادس**: أنَّه حينما كان النبي ﷺ ذا أدَبٍ جَمٍّ وَخُلُقٍ رفيع، كافأه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأن لم يأمره بأن يُوَجِّه الخطاب لعمِّه بدخول النار، بل تكفَّل ذلك عنه.

المطلب الخامس: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾:

◆ أولًا: امرأة أبي لهب مَن هي؟

هي أم جميل بنت حرب بن أمية، وهي أخت أبي سفيان ابن حرب، وعمَّة معاوية[١]. قيل: إنها كانت عوراء[٢].

ونلاحظ أن القرآن ذكر كنية أبي لهب ولم يذكر كنية أم جميل؛ وذلك لأنَّ عملها خالف صفتها، فذكرها القرآن بما تميزت به وبما كسبت يدها من أعمال قبيحة. قال البقاعي: «وعدل عن ذكرها بكنيتها لأنَّ صفتها القَبَاحة، وهي ضد كنيتها، ومن هنا تؤخذ كراهة التلقيب بناصر الدين ونحوها لِمَن ليس متصفًا بما دلَّ عليه لقبُه»[٣].

◆ ثانياً: إعراب ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾: فيه وجوه:

❖ **الوجه الأول**: مرفوعة لعطفها على الضمير المستتر في ﴿سَيَصۡلَىٰ﴾، أي: يصلى أبو لهب نارًا ذات لهب، وتصلى امرأتُه النارَ كذلك[٤]. وإنما جاز

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٤)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٦).
(٢) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٦).
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٢/ ٣٤١).
(٤) معاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٨٨)، وجامع البيان ط هجر (٢٤/ ٧١٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٧٥)، وبحر العلوم (٣/ ٦٣٢).

العطف على المضمر المرفوع لأنه قد فُرِّق بينهما، فقام التفريق مقام التأكيد[١].

وعلى هذا سيكون ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ في موضع الحال من المرأة[٢].

❖ **الوجه الثاني**: يجوز أن تكون ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ مبتدأ، وترتفع {حمَّالةُ الحطب} على البدل من ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ و﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ الجملة هي الخبر[٣].

❖ **الوجه الثالث**: يجوز رفع (امرأته) على الابتداء، و{حمَّالةُ الحطب} خبرٌ، على معنى: وامرأتُهُ حمالةُ الحطب في النار أيضاً[٤]. ويكون ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ مبتدأ وخبر، في موضع رفع خبر ثان[٥]، أو في موضع نصبٍ على الحال[٦].

◆ ثالثاً: إعراب {حمَّالةُ} على قراءة الرفع: وجهان:

الوجه الأول: نعت للمرأة[٧].

الوجه الثاني: خبر. وقد تقدم.

رابعاً: إعراب ﴿حَمَّالَةَ﴾ على قراءة النصب: وجهان:

الوجه الأول: على الذم والشتم، أي: ذكرتها حمَّالة الحطب[٨]. أو: أعني حمَّالة الحطب[٩].

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٦).
(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٧).
(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٧٥)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٧).
(٤) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٧).
(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٧).
(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٧).
(٧) معاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٨٨)، وجامع البيان ط هجر (٢٤/ ٧١٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٧٥)، وبحر العلوم (٣/ ٦٣٢).
(٨) معاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٨٨).
(٩) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٧٥)، وبحر العلوم (٣/ ٦٣٢).

الوجه الثاني: أن تكون ﴿ حَمَّالَةَ ﴾ نكرة نُوِيَ بها التنوين، فتكون حالًا لـ{امرأته}، منصوبة بالفعل ﴿ سَيَصْلَىٰ ﴾، جوَّزه الأخفش[1].

لأن أصلـه: وامرأته الحمَّالة الحطب، فلمَّا أُلْقِيَـتِ الألف واللام نُصِبَ الكلام[2]. وقد صَوَّبَ ابنُ جرير قراءة الرفع؛ لأنها أفصح الكلامين، ولإجماع الحجة من القراء عليه[3]. وهي اختيار أبي عبيد وأبي حاتم[4].

◆ **خامساً: معنى حمل الحطب:** اختلف في زمنه المراد بهذه الآية على قولين:

القول الأول: أنه عملٌ كان يحصل منها في الدنيا، وهو الذي عليه أكثر المفسرين.

القول الثاني: أن حملَها للحطب سيكون في النار إذا دخلتها[5].

وفي معنى حمل الحطب في الدنيا ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه حطب وأغصان ذو شـوك، كانـت أم جميل تحمله فتُلْقيـه علـى طريق نبي الله ﷺ وأصحابه ليلًا لِيعقِـرَه. وهو قول ابن عباس[6]،

(١) معاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٨٨).

(٢) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٧).

(٣) جامع البيان ط هجر (٢٤/ ٧١٨).

(٤) الكشـف والبيان (١٠/ ٣٢٧)، مسـألة التصويب في القراءات، وترجيح بعضها على بعض، مسـألة قديمة عريضة البسـط، يُرجع لها إلى كتب القراءات، لكن لِيُعلم أن تصويب قراءة، وترجيحها على أخـرى، لا يـدل على أن غيرهـا لا يقرأ بها إن ثبتـت بالتواتر، وغاية ما في ذلـك، أن بعض الحروف أفصح وأبلغ من بعض، أو أَقْيَسُ، مع أن الجميع فصيح سائغ، والله أعلم.

(٥) تفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٨).

(٦) جامع البيان (٢٤/ ٧١٩)، والكشـف والبيان (١٠/ ٣٢٧)، والنكت والعيون (٦/ ٣٧٦)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٨).

ويزيد بن زيد[١]، والضحاك[٢].

وكان حطبًا كثيرًا، حتى كأنه يطأُ ﷺ كثيبًا. رواه عطية الجدلي[٣].

وذكر السمرقندي أنه قد بلغ النبيَّ ﷺ شِدَّةٌ وعناءٌ من ذلك[٤]، وقد يُفْهَم هذا من صيغة المبالغة﴿ حَمَّالَةَ ﴾.

القول الثاني: أنَّ الحطب هنا هو النميمة، أي: كانت تمشي بالنميمة بين الناس[٥]. قاله مجاهد[٦]، وقتادة[٧]، والحسن[٨]، وعكرمة[٩]، وسفيان[١٠].

ويدل له قول الشاعر:

مِنَ الْبِيضِ لَمْ تُصْطَدْ عَلَى ظَهْرِ لَأْمَةٍ
وَلَمْ تَمْشِ بَيْنَ الْحَيِّ بِالْحَطَبِ الرَّطْبِ[١١]

---

(١) جامع البيان (٢٤/ ٧١٩، ٧٢٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٣، ح١٩٥٢٧).

(٢) جامع البيان (٢٤/ ٧١٩).

(٣) جامع البيان (٢٤/ ٧١٩).

(٤) بحر العلوم (٣/ ٦٣٢-٦٣٣).

(٥) تفسير التستري (ص٢٠٩)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٧٦)، وتأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤١).

(٦) تفسير مجاهد (ص٧٥٩)، وجامع البيان (٢٤/ ٧٢٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٣، ح١٩٥٢٧).

(٧) أخرجه عنه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٤٧٣، ح٣٧٣٢)، وابن جرير في جامع البيان (٢٤/ ٧٢١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٤٧٣، ح١٩٥٢٩).

(٨) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٣، ح١٩٥٣٠).

(٩) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٠).

(١٠) جامع البيان (٢٤/ ٧٢١).

(١١) البيت من الطويل، ولم أقف على قائله، وهو بلا نسبة في تهذيب اللغة (٤/ ٢٢٨)، ومقاييس اللغة (٢/ ٧٩) [حطب]، ولسان العرب (١/ ٣٢٢).

أي: بالنميمة[١]. وقال آخر:

فَلَسْنَا كَمَن يرجى الْمَقَالَة شَطْرهُ

بفرق العصاة الرطب والغيَّل اليبس [٢]

ويُقال: فلانٌ يحطب، إذا أغرى وورشى [التوريش: التحريش][٣].

وسميت النميمة حطبًا لأنها تلقي بين القوم العداوة والبغضاء، كما أن الحطب يُوقد ويضرم[٤]. قال أكثم بن صيفي لبنيه: إيَّاكم والنميمة، فإنَّها نارٌ مُحْرِقَةٌ، وإنَّ النَّمَّامَ لَيَعْمَلُ فِي سَاعَةٍ ما لا يعمل الساحر في شهر[٥]. وقال الشاعر:

إِنَّ النَّمِيمَةَ نَارٌ وَيْكَ مُحْرِقَةٌ   فَعِدِّ عَنْهَا وَحَارِبْ مَن تَعَاطَاهَا [٦]

وقيل: سميت النميمة حطبًا لأن الحطب يصير ناراً، والنار سبب التفريق، فكذلك النميمة[٦]. وأنشد الثعلبي:

إنَّ بَنِي الأَدْرَم حَمَّالُو الْحَطَبْ

هُمُ الْوُشَاةُ فِي الرِّضَا وَفِي الْغَضَبْ

عَلَيْهِمُ اللَّعْنَةُ تَتْرَى وَالْحَرَبْ [٧]

وما هي النميمة التي كانت تمشي بها؟ ذكر السمرقندي أنها كانت تمشي بالنميمة في عداوة النبي ﷺ وأصحابه[٨]. ولا أرى مانعًا من القول بأنها كانت تمشي بالنميمة مطلقًا.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٧٦).

(٢) البيت من الطويل، ولم أقف على صاحبه، وإنما أورده الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٣٢٦).

(٣) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤٢)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٦).

(٤) بحر العلوم (٣/ ٦٣٢)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٧).

(٥) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٧).

(٦) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).

(٧) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨)، ولم أقف على صاحب الأرجوزة.

(٨) بحر العلوم (٣/ ٦٣٢).

والقول الثالث: أن الحطب هنا هو تعيير رسول الله ﷺ بالفقر، وأذاها له بالكلام، والعرب تقول: فلان يحطب على فلان، أي: يُغْرِي به ويُؤْذيه، فشبه الحطب بالعداوة(١).

ومِمَّا ذُكِرَ مِن أذيَّةِ أمِّ جميل للنبي ﷺ: ما ذكره أبو صالح قال: كانت قُرَيْشٌ وأمُّ جميل تقول: مُذَمَّمًا عَصَيْنَا، وأمرُهُ أبَيْنَا. فقال رسول الله ﷺ: **«ومِن لُطْفِ اللهِ أن قريشًا تَذُمُّ مُذَمَّمًا، وأنا محمد»**(٢).

والقول الرابع: حمَّالة الخطايا والذنوب والآثام في عداوة رسول الله ﷺ(٣)، يُقال: فُلانٌ يحطب على نفسه؛ إذا كان كثير الاكتساب للذنوب(٤)؛ لأنه كالحطب في مصيره إلى النار(٥).

قال سعيد بن جبير: حمالة الخطايا(٦).

أما حمل الأوزار على الظهور فقد دل عليه القرآن في قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام:٣١]. وأما تسمية الأوزار والخطايا حطبًا فإن العرب تقول: فلان يحطب على ظهره إذا أساء، وفلان حاطب قريته إذا كان الجاني فيهم، وفلان محطوب عليه إذا كان مجنيًا عليه(٧).

والقول الخامس: أنها كانت تحمل الكذب(٨).

والقول السادس: أنها كانت تحتطب لبيتها.

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٨).
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٦) مسندًا إلى ابي صالح.
(٣) بحر العلوم (٣/ ٦٣٢)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٨).
(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٩).
(٥) النكت والعيون (٦/ ٣٦٧).
(٦) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٧).
(٧) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٧).
(٨) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٦).

والراجح: أنها كانت تحمل الشوك فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ؛ لأنه هو المعنى الأظهر في الحطب. وهو الذي رجَّحه ابن جرير[١]. مع أنَّ بقية الأقوال ليست منفيَّةً.

◆ سادساً: سبب ذمِّها وتعييرها بأنها حمَّالة الحطب:

قيل: ليس بذمٍّ، وإنما هو وصفٌ مُجَرَّدٌ، حيث كان لأبي لهب عدة زوجات، ونُعِتَتْ بهذا النعت لتتميز به عن غيرها من الزوجات، ويُعْرَف من المراد[٢]. وهذا على القول بأنها كانت تحتطب لبيتها.

وقيل: لأنها كانت تُلقِيه على طريق النبي ﷺ، وقد تقدم.

وقيل: بل لأنها كانت تُعَيِّر النبي ﷺ، وكانت تَحْطِبُ، فَعُيِّرَتْ بأنها كانت تَحْطِبُ[٣]. رواه معمر عن قتادة[٤]. ولكن عَلَّق الثعلبيُّ على هذا بقوله: «**وهذا قول غيرُ قويٍّ؛ لأنَّ الله سبحانه وصفهم بالمال والولد، وحمل الحطب ليس بعيب**»[٥]، وسيأتي بيانُ وجهِ ذلك.

◆ سابعاً: الجزاء من جنس العمل في هذه الآية: يظهر ذلك من وجوه:

◈ **الوجه الأول**: يَتَّضِحُ إذا قُلْنا: إنَّ أمَّ جميل كانت تُعَيِّرُ النَّبِيَّ ﷺ بالفقر، فَعُيِّرت بعملها الذي كانت تعمله وهو حمل الحطب، أو أنَّها ابتُلِيَت بهذا العمل الذي هو مِن عَمَلِ الفقراء لا الأغنياء[٦].

---

(١) جامع البيان (٢٤/ ٧٢١).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٦).

(٣) تفسير عبد الرزاق (٣/ ٤٧٤، ح٣٧٣٣)، وجامع البيان (٢٤/ ٧٢١).

(٤) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٦).

(٥) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٧).

(٦) تفسير القرآن للسمعاني (٦/ ٣٠٠-٣٠١)، والكشاف (٤/ ٨١٦).

◈ **الوجه الثاني**: وعلى قراءة الرفع في {حمَّالةُ الحطب}، جَوَّز الثعلبيُّ أن تكون {امرأتُهُ} مبتدأً، و{حمَّالةُ الحطب} خبرًا، ومُتَعَلِّقُ {حمَّالة} محذوفٌ، تقديره: في النارِ أيضـًا مع زوجها[١]. وعلى هذا يكون هذا أيضـًا فيه الجزاء من جنس العمل؛ فكما أنَّها كانت تحمل الحطب في الدنيا لأذية النبي ﷺ فإنها ستحمل الحطب أيضـًا في الآخرة في نار جهنم. وقال ابن عاشور: «فلمَّا حصل لأبي لهب وعيدٌ مُقتبَسٌ من كنيته جُعِل لامرأته وعيدٌ مُقتبَسٌ لفظُه من فعلها وهو حمل الحطب في الدنيا»[٢]. وقال الزمحشري: «يحتمل أن يكون المعنى: أن حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك، فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم أو من الضريع، وفي جيدها حبل مِن ما مُسِدَ من سلاسل النار، كما يعذَّب كل مجرم بما يجانس حالَه في جُرمه»[٣].

◈ **الوجه الثالث**: ذكر بعض المفسرين أنها تحمل الحطب لإحراق زوجها، ويتضح الجزاء من جنس العمل في ذلك بأنها عندما كانت عونـًا له في الدنيا على كفره، ستكون عونـًا عليه في الآخرة بأن تحمل الحطب التي يحترق بها زوجها[٤].

◈ **الوجه الرابع**: على القول بأن المراد بأنها كانت تمشي بالنميمة بين الناس، فيظهر وجه الجزاء من جنس العمل؛ بأنه كما أنَّ النميمة تشعل القلوب بالشحناء شُبِّهَت بالحطب الذي يُشْعِل النار، فكان أن أصبحت أم جميل في النار حمَّالةً للحطب جزاءً وِفاقـًا[٥].

---

(١) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٧).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٥).

(٣) الكشاف (٤/ ٨١٧)، واستفاد من هذا النقل أبو حيان في البحر المحيط (١٠/ ٥٦٨).

(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٥١٥).

(٥) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٥٠٣).

ولو أراد المتأمِّلُ أن يتأمل في المغزى من كونها تحمل الحطب في الآخرة لَتَوَصَّلَ ذهنُه إلى أمور مخيفة؛ نسأل الله السلامة والعافية، منها:

◈ **الوجه الخامس**: أنها تُعَذَّبُ بِشيءٍ مُلَاصِقٍ لجسمها، وهو شديد الحرارة؛ جزاءً لها لـمُلاصقتها عداوة النبي ﷺ والتزام إيذائه.

◈ **الوجه السادس**: أن الحطب الـذي كانت تحمله وفيه شـوكٌ لا بُدَّ أنه كان يؤذيها في الدنيا في الجمع والحمل، فكما صبرت في الدنيا على هذا الأذى الذي يصيبها أُلْزِمَت بحمل الحطب على ظهرها وفيه شوكٌ يؤذيها أبدًا في النار.

◈ **الوجه السابع**: كما أنَّها كانت تتعب في الدنيا في حمل الحطب؛ جُوزِيَت بجنـس عملهـا بأن حمل الحطب أبدًا يُثْقِلها في الآخرة، ولا سـبيل إلى الراحة من ذلك.

نسأل الله السلامة والعافية من بلاء الآخرة والدنيا.

المطلب السادس: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾:

◆ أولًا: معنى ﴿جِيدِهَا﴾، وسبب تقديم الخبر:

عُنُقها[1]. وهو قول قتادة[2]، وابن زيد[3].

والعرب تُسَمِّي العُنُقَ جِيدًا، ومنه قول ذي الرُّمَّة:

فَعَيْنَـاكِ عَيْنَاهَـا وَلَوْنُـكِ لَوْنُهَا   وَجِيـدُكِ إِلَّا أَنَّهَا غَـيْرُ عَاطِلِ[4]

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٤)، وجامع البيان (٢٤/ ٧٢٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٧٦).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٣، ح١٩٥٢٩).

(٣) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٢).

(٤) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٢)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).

وجمع الجيد: أجياد[1]. قال الأعمش:

وَبَيْــــدَاءَ تَحْسِـــــبُ آرَامَهَــــا رِجَــــالَ إِيَـــــادُ بِأَجْيَادِهَا [2]

وفي تقديـم الخـبر من قولـه: ﴿فِي جِيدِهَا﴾ إفادة الاهتمـام بوصف تلك الحالة الفظيعة التي عُوِّضَت فيها بحبل في جيدها عن العِقد الذي كانت تُحَلِّي به جيدَها في الدنيا فتربط به[3].

◆ **ثانياً: هل الآية خبرٌ عن أمرٍ وقع أو أمر سيقع؟**

القول الأول: أنه إخبار عن أمرٍ وقع وحصـل، حيث كانت أمُّ جميل تضع في جيدها حبلًا من مسد.

وقيل: بل المقصود حيـث خنقها الله في الدنيا بهذا الحبل. قاله الضحاك وغيره[4].

القول الثاني: أن الآية ليسـت إخبارًا عن أمرٍ حصل منها في الدنيا، بل هو إخبارٌ عمَّا سيصنع بها في الآخرة[5].

وبناءً على هذين القولين يُفَسَّـرُ قوله تعالـى: ﴿حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾؛ فإذا كان إخبـارًا عـن أمرٍ حصـل في الدنيا؛ فلا بُـدَّ أن يكون تفسـير هذا الحبل تفسـيرًا يتناسب مع ما نراه في حياتنا الدنيوية، وإن كان إخبارًا عن أمرٍ سيقع في الآخرة؛ فلا بُدَّ أن يتناسب مع العذاب الأخروي.

---

(١) تفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٧)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).

(٢) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).

(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٧).

(٤) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٤).

◆ ثالثاً: تفسير ﴿حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾ إذا كان إخبارًا عمَّا حصل في الدنيا:

القول الأول: المسد في لغة العرب: الحبل إذا كان من ليفِ الْمُقْلِ[1].

وهو قول الشعبي[2] ومقاتل[3] والسدي[4]. وجمعه أمساد[5].

وقد يُقال لما كان مِن أدبار الإبل من الحبال مَسَدٌ[6].

وأصل المسد: الفتل. وقيل: المسد الليف لأن من شأنه أن يفتل للحبل[7].

ودابة ممسودة الخلق إذا كانت شديدة الأسر[8]. قال الشاعر:

مَسَـــدُ أَمَـــرُّ مِـــنْ أَيَانِقِ[9]   لَيْســـن بِأَنْيَابٍ وَلَا حَقَائِقِ[10]

وإنما وُصِفَ بهذه الصفة تخسيسًا لها وتحقيرًا[11].

القول الثاني: هي حِبَالٌ تكون بمكة[12]. وهو قول ابن عباس[13].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٧٦)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨)، وتأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤٢)، وبحر العلوم (٣/ ٦٣٣)، ولِيفُ المـُقْل لِحاؤه والمقل -بضم فسكون- اسم شجرة يقال لها الدُّوم، معروفة بحبالها المتينة، ينظر: مجمع بحار الأنوار (٤/ ٦٠٠)، ويقال: بل المقل اسم ثمر تلك الشجرة، كما في القاموس (ص١٠٥٨).

(٢) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).

(٣) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٩).

(٥) تفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٧).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٧٦).

(٧) تفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٨).

(٨) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).

(٩) الأيانِقُ: جمع ناقةٍ، كما جمهرة اللغة (٢/ ٩٨).

(١٠) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٧٦)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).

(١١) تفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٧).

(١٢) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٢).

(١٣) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٣).

وفي معناه ما قاله الضحاك: حبلٌ من شجر، وهو الحبل الذي كانت تحتطب به[1]. وقاله ابن عباس[2].

القول الثالث: أنها حبال من شجر تنبت في اليمن لها مَسَدٌ، وكانت تُفْتَلُ. قاله ابن زيد[3].

القول الرابع: عن الحسن: المسد: خيوطٌ صُفْرٌ وحُمْرٌ[4]. وعنه: أنه حبل ذو ألوان من أحمر وأصفر تتزين به في جيدها[5]. ذُكِرَت به على وجه التعيير أيضاً[6].

القول الخامس: قال ابن عباس: كان في عُنُقِها قِلَادَةٌ فيها وَدَعَاتٌ فِي مَسَدٍ[7].

وقال قتادة: قلادة من ودع[8].

وقال الحسن: إنما كانت خرزات في عنقها[9].

وقال سعيد بن المسيب: كانت لها قلادة في عنقها فاخرة، فقالت: لأنفقها في عداوة محمد[10].

---

(١) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٢).
(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٩).
(٣) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٣)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).
(٤) تفسير القرآن العزيز (٥/ ١٧١).
(٥) النكت والعيون (٦/ ٣٦٨).
(٦) النكت والعيون (٦/ ٣٦٨).
(٧) تفسير القرآن العزيز (٥/ ١٧١).
(٨) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).
(٩) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).
(١٠) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).

القول السادس: عن أبي عبيدة: المسد: حبل يكون من صوف[١].

القول السابع: أنه حبل من ليف النخل، قاله الشعبي[٢]. ومنه قول الشاعر:

أَعُوذُ بِاللّه مِن لَيْلٍ يُقرِّبُنِي ... إِلَى مُضَاجَعَةٍ كَالدَّلْك بِالْمَسَدِ [٣]

القول الثامن: أنها قلادة من جوهر فاخر، قالت لأنفقنها في عداوة محمد، ويكون ذلك عذاباً في جيدها يوم القيامة[٤].

القول التاسع: أنه إشارة إلى الخذلان، يعني: أنها مربوطة عن الإيمان بما سبق لها من الشقاء، كالمربوطة في جيدها بحبل من مسد[٥].

◆ رابعاً: تفسير ﴿حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾ إذا كان إخبارًا عمّا سيقع في الآخرة:

اختلف المفسرون في هذا الحبل على أقوال:

القول الأول: سلسلة من حديد[٦]. قاله مجاهد[٧].

وقال عروة: سلسلة من حديد ذَرْعُها سبعون ذراعاً[٨]. قال الماوردي: وهي التي قال الله تعالى فيها: ﴿ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا﴾ [الحاقة:٣٢][٩].

(١) تفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٧).
(٢) النكت والعيون (٦/ ٣٦٨).
(٣) النكت والعيون (٦/ ٣٦٨).
(٤) النكت والعيون (٦/ ٣٦٨).
(٥) النكت والعيون (٦/ ٣٦٨).
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٤)، وبحر العلوم (٣/ ٦٣٣).
(٧) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٤)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).
(٨) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٣، ٧٢٤).
(٩) النكت والعيون (٦/ ٣٦٧).

وقال ابن عباس وعروة بن الزبير: سلسلة من حديد، ذرعها سبعون ذراعًا، يدخل مِن فِيها، فيخرج من دُبُرِها، ويُلْوَى سائرُها في عنقها[1].

وقال السدي: خلق الحديد، وهي السلسلة تختلف في جهنم كما يختلف الحبل والدلو في البئر[2].

قال الحسن: سميت السلسلة مسدًا لأنها ممسودة، أي: مفتولة[3].

القول الثاني: العصا التي تكون في البَكْرَةِ[4]. وهو قول مجاهد[5] وعكرمة[6] وعطاء[7].

القول الثالث: حبل من نار. وهو قول مجاهد[8]، وابن زيد[9].

قال سفيان: حبل في عنقها في النار، مِثْلُ طَوْقٍ، طولُهُ سبعون ذراعًا[10].

القول الرابع: هو حَبْلٌ جُمِعَ مِن أنواع مختلفة.

وهذا القول قاله ابن جرير، أراد به أن يجمع بين جميع الأقوال السابقة، قال ابن جرير: «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو حبل جُمِعَ من أنواعٍ مختلفة، ولذلك اختلف أهلُ التأويل في تأويله على النحو الذي

(١) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).
(٢) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).
(٣) النكت والعيون (٦/ ٣٦٧).
(٤) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٣).
(٥) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٤)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).
(٦) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٥).
(٧) انظر: الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).
(٨) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٣، ح١٩٥٢٨).
(٩) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٣).
(١٠) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٤).

ذكرنا، ومما يدل على صحة ما قلنا في ذلك قولُ الراجز:

وَمَسَدٍ أُمِرَّ مِنْ أَيَانِق صُهْبٍ عِتَاقٍ ذَاتِ مُخٍّ زَاهِقِ

فجعل إمراره من شتى، وكذلك المسد الذي في جيد امرأةِ أبي لَهَبٍ أُمِرَّ مِن أشياءَ شتَّى؛ من لِيفٍ وحديدٍ ولحاء، وجعل في عُنُقِهَا طَوْقًا كَالْقِلَادَةِ مِن وَدَع. ومنه قول الأعشى:

تُمْسِي فَيَصْرِفُ بَابُهَا من دُونِنَا غَلْقًا صَرِيفَ مَحَالَةِ الْأَمْسَادِ

يعني بالأَمْسَادِ: جمع مَسَدٍ، وهِيَ الحِبَالُ»[1].

◆ **خامساً: الجزاء من جنس العمل في الآية:**

○ **أولًا:** بما أنَّها كانت مشهورة في الدنيا بعداوة النبي ﷺ، فإنه جُعل لها في الآخرة علامة تشتهر بها في نار جهنم، وهو هذا الحبل من المسد[2].

○ **ثانياً:** قال الماتريدي: ذُكِر أنها كانت تُمْسِكُ في عُنُقِها حبلًا من ليف سِرًّا من زوجها، وذلك مما لا يتحلى به النساء، وليس هو من أسباب الزينة، فأخبر الله تعالى عن سفهها وجهلها، ليكون ذلك سبًا وتعييرًا مجازاة لما كانت تقوله في رسول الله ﷺ[3]. ومما يؤيد ذلك ما ذُكِر في الأحاديث التي ذكرت فيها أنَّ محمدًا ﷺ هجاها.

○ **ثالثاً:** ذكر السمرقندي: أنها حملت ذات ليلة حزمة شوك لكي تطرحها في طريق النبي ﷺ والصحابة، فوضعتها على جدار، وشدتها بحبل من لِيفٍ على صدرها، فأتاها جبريل عليه السلام، ومَدَّهُ خلف الجدار، وخنقها حتى ماتت[4].

---

(١) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٥).

(٢) تفسير التستري (ص٢٠٩).

(٣) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤٢).

(٤) بحر العلوم (٣/ ٦٣٣)، لم أقف عليه مسندًا.

وقال الضحاك وغيره: في الدنيا من ليف، وهو الحبل الذي كانت تحطب به، فخنقها الله تعالى به، فأهلكها، وفي الآخر من نار[1].

○ **رابعاً:** أنَّ الحبل الذي اتخذته زوجة أبي لهب لتجمع عليه الحطب سيكون عليها نارًا يوم القيامة.

○ **خامساً:** على القول بأنَّ الذي في جيدها هو قِلادة فاخرة، فيظهر الجزاء من جنس العمل في أنَّها كانت تريد أن تُنفقها في عداوة محمد ﷺ، كما ورد عن ابن المسيب[2]؛ فأعقبها الله بذلك عذابًا يوم القيامة حبلاً في جِيدها مِن مَسَد النار[3].

لذا قُدِّم الجيدُ على الحبل؛ لأنَّ الجيد هو سبب العقوبة والجزاء، فكان هو موطن القِلادة التي كانت تتحلَّى بها. قال ابن عاشور: «وقدم الخبر من قوله: ﴿فِي جِيدِهَا﴾ للاهتمام بوصف تلك الحالة الفظيعة التي عُوِّضَت فيها بحبل في جيدها عن العِقد الذي كانت تُحَلِّي به جيدَها في الدنيا فتربط به؛ إذ قد كانت هي وزوجها من أهل الثراء وسادة أهل البطحاء، وقد ماتت أم جميل على الشرك»[4].

....

(١) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).

(٢) تفسير الثعلبي ١٠/ ٣٢٨، وتفسير البغوي ٨/ ٥٨٣.

(٣) تفسير الماوردي (٦/ ٣٦٨)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٤٩٧).

(٤) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٧).

مجلة تدبر

الخاتمة

الحمد لله الذي أعاننا على التمام والكمال، وفي ختام هذا البحث وقفت على هدايات مستنبطة من سورة المسد ونتائج وتوصيات:

فأما الهدايات المستنبطة فعلى قِلَّة عدد آيات هذه السورة إلا أنَّها قد حَوَت الكثير من الهدايات ظهرت لي من خلال معايشتي لهذا البحث، وسأذكر من هذه الهدايات ما يَتَّسِعُ المقامُ لذِكْرِه:

١- أنَّ هذه السورة تدلُّ على عظمة النبي ﷺ عند ربه، حيث إنَّه أنزل سورة كاملة تُتْلَى إلى يوم القيامة؛ تسليةً له مما وجد مِن عمِّه عدوِّ الله وعدوِّ رسوله ﷺ.

٢- أهمية استخدام الاستفهام التقريري في الدعوة والتعليم، يستفاد ذلك من قول النبي ﷺ: «**أرأيتم إن حدثتُكم أنَّ العدو مصبحكم أو ممسيكم، أكنتم تصدقوني؟**» وهذا يبعث المدعوَّ إلى تهيئة نفسِه تماماً لأخذ المعلومة التي يُراد إلقاؤها عليه، وكذلك يبعثه على التفكير والاستنتاج.

٣- الوعظ بالقرآن نصاً أو اقتباساً مِن أنجع المواعظ وأنفعها، كما قال ﷺ: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**».

٤- أنَّ أقرب الناس إليك قد يكون من أسْفَه السفهاء عليك في الدين، ومِن أشدِّهم لك أذى؛ فلتصبر كما صبر نبيُّك ﷺ.

٥- أهمية القوة في إعلان الحقِّ والصدع به، حيث ظهر من خلال سبب النزول قوة النبي ﷺ في صدوعه بقولِ الحق وتبليغِ أمرِ ربه أمام مَن بأيديهم العِزَّةُ والمنعةُ في ذلك الوقت، فقد قام مقاماً لا يقوم به مثله أحد، ولا يستطيع مجاراته فيه إنسانٌ.

٦- أهمية اختيار المكان المناسب عند النصيحة وتبليغ الدعوة، بحيث يختار المكان المناسب للحديث حتى يسمعه القاصي والداني مِمَّن يهمهم سماع هذا الحديث، فقد صعد النبي ﷺ الجبل، وهتف فيه بأعلى صوته مناديًا.

٧- تُرْشِد هذه السورة إلى أنَّ الأنساب لا تنفع ولا تُجْدِي شيئًا لِمَن لم يؤمن بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويكون ذا عملٍ صالح ينفعه، كما قال ﷺ: «**من أبطأ به عملُه لم يسرع به نسبُه**»[(١)]، وقال: «**يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئًا**»[(٢)]. فالله لم يُرِد الخير لعم حبيبه وصفيه، وأراده لصهيب وعمار وبلال وسلمان، فالمعيار شرف الاتباع لا شرف الأنساب[(٣)]، ورحم الله مَن قال:

لعمرك ما الإنسان إلا ابن دينه ... فلا تترك التقوى اتّكالًا على النسب
لقد رفع الإسلام سلمان فارس ... وقد وضع الشركُ الحسيبَ أبا لهب[(٤)]

٨- دلالة السورة على أنَّ النجاح والفلاح الأخروي قائم على التوحيد، وطاعة الله سبحانه في ذلك، وأنَّ الإحسان إلى الغيرِ مع عدم وجود الإيمان بالله لا يضُرُّ ذلك، بل إنَّ معتقد ذلك يستحقُّ أن يُهَدَّدَ بهذا الاعتقاد. ودلالة ذلك: أن أبا لهبٍ كان يكرم النبي ﷺ ويحسن إليه في بداية الأمر، ويقول لقريش: إن كان الأمر إلى محمد فلي عنده يدٌ، وإن كان لقريش فلي عندها يدٌ أيضًا، لأنه كان يحسن إليها، وبعد أن ظهر أمر الرسول ﷺ أظهر له العداوة وصار يهينه ويؤذيه، فأنزل الله فيه هذه السورة إعلامًا بخسران يده عنده لتكذيبه إياه،

---

(١) صحيح مسلم (ح٢٦٩٧).

(٢) صحيح البخاري (ح٢٧٥٣)، وصحيح مسلم (ح١٩٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٥١٧).

(٤) البيت منسوب لعلي بن أبي طالب. انظر: ديوانه المنسوب إليه (ص١٢٢).

وخسـران يده عند قريش أيضـًا، لعدم بقاء يد لهم عند الرسول وإذلالهم لعدم الإيمان به[1].

٩- السورة تُرْشِد إلى عدم تعبيد الناسِ لغير الله، حتى وإن كان الشخصُ قـد عُبِّد لغير الله وكان هناك مندوحـةٌ عن هذا التعبيد فالأفضل الانصراف عن التعبيـد لغيـر الله إلى الاسـم الآخر. واسـتفيدت هـذه الهداية: مـن تكنية أبي لهب بهذه الكنية؛ فإنَّ اسـمه كان «عبد العزى»، فهو مُعَبَّدٌ إلى صنم من أصنام الجاهليـة معروف، وتَمَّ ذكرُه بالكنية في هذه السـورة، ولم يذكر بالاسـم؛ لأنَّ اسمه منسوب إلى صنم[2]، ولم يرد في القرآن كنية غير هذه، رغم كثرة الحديث عن المشـركين وذكر أسـمائهم، وإنما خُصَّ هذا الاسـم بهذا الأمر لِما فيه من تعبيدٍ لغير الله.

١٠- ترشـد السـورة إلى وجوب الانتباه لما يقوله الإنسـان وينطق به؛ فـإنَّ الكلمة التـي لا يلقي لها بالًا صاحبُها قد يكتب الله له بها سـخطه إلى يوم يلقـاه. ووجـه ذلك: أن أبا لهبٍ لـم يزِد على أن قال جملةً مـن الكلام لم تبلغ سـطرًا واحدًا، ولم يُدَبِّج الخُطَبَ والمقالات، ولم يؤلف الكتب والمجلدات في ذَمِّ النبي ﷺ، والطعن في هذا الدين، بل قال كلمة سهلة النطق على الإنسان، لكنهـا ذات عواقب مخيفة، ونتائج وخيمة، إنَّه لم يتعدَّ أن قال: (تبًّا لك، ألهذا جمعتنـا؟) أو نحوهـا من عبارة بحسـب اختلاف العبارات في سـبب النزول، ولكنها كانت كفيلةً بإصلائه نار جهنم والعياذ بالله.

١١- والسورة ترشد إلى النعمة العظيمة التي أعطاها الله للإنسان حينما خلـق لـه اليدين، يعمل بها، ويتصرف بهما كيفما شـاء، حيث إنَّ هذه الجارحة

(١) بيان المعاني (١/ ١٢٠).

(٢) تفسير السمرقندي (٣/ ٦٣٢).

هي أهم أعضاء الجسد بالنسبة للعمل. ووجه ذلك: أنَّ العادة العربية جرت في إسـناد فعل المرء إلى يديه، حتى وإن كان العمل عمل غير اليدين، إشـارةً إلى أهمية اليدين وفضلها على سـائر أعضاء الجسـد، ونرى ذلـك واضحًا جليًا في قولـه تعالى: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾[1]، وكمـا قال تعالى: ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى:٣٠][2].

١٢- وكمـا أنَّ السـورة تُرْشِـد إلـى أنَّ اليـدَ هـي أهمُّ جارحةٍ في جسـم الإنسان، وأكثر ما يكون العمل بها؛ فكذلك هي تُشير إلى أن هذه اليد هي أكثر ما يُدْخِلُ الإنسـانُ النارَ إن لم يُراعِ حقَّ الله فيها. يقول محمد الأمين الشنقيطي في ذلـك: «فما معنى إسـناد التـبِّ لليدين؟ الجواب: أنَّ ذلـك من باب إطلاق البعـض وإرادة الـكل، كمـا في قولـه تعالـى: ﴿نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ﴾ [العلق:١٦]، مـع أن الـكاذب هو صاحبها، ثم إن مثل هذا الأسـلوب لا بد فيه من زيادة اختصاص للجـزء المنطـوق في المعنـى المـراد، فلمـا كان الكذب يسـوِّد الوجـه ويُذِل الناصية، وعكسـه الصدق يبيض الوجه ويعز الناصية، أسـند هناك الكذب إلى الناصية لزيادة اختصاصها بالكذب عن اليد مثلًا، ولما كان الهلاك والخسران غالبـًا بما تكسـبه الجوارح، واليد أشـد اختصاصـًا في ذلك أسـند إليها التبُّ. ومما يدل على أن المرد صاحب اليدين، ما جاء بعدها، قوله تعالى: ﴿وَتَبَّ﴾، أي: أبو لهب نفسه»[3].

١٣- تدلُّ السورة على أنَّ الصفات البدنية التي وهبها الله للمرء لا تنفعه في شـيء؛ ما دام الإنسـان ليس على خيرٍ وصلاح، لقولـه ﷺ: «**إن الله لا ينظر**

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٧٥).

(٢) تفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٦)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٣).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٩/ ١٤٤).

إلى صوركم ولا أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» [١]. ووجه ذلك: أن أبا لهب كان يستمتع بجماله ورونقه، وقد كُنِّي بأبي لهب لحسنه وإشراقة وجهه، وكانت وجنتاه كأنهما تلتهبان[٢]، وهذا من الأسباب في العدول عن كنيته الحقيقية -أبو عتبة- وتسميته بأبي لهب إذ لم يكن له ولد اسمه لهب، وسمي بذلك لحسن صورته وإشراقة وجهه وتوقد وجنتيه[٣]، لكن هذا التلهب والجمال لم ينفعه في شيء.

١٤- هداية السورة إلى صِحَّة رسالة محمد ﷺ، فمنذ نزل قوله تعالى: ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾ وقرأها النبي ﷺ على الناس؛ ظهر حكم الله على أبي لهب وزوجه بالشقاء وعدم الإيمان، مع العلم أنهما ما زالا في زمن الإمهال، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة[٤].

١٥- إرشاد السورة إلى أنَّ الرجل إذا كان له أكثر من اسم، بأن كان له اسم وكنية ولقب ونحو ذلك؛ فمِن اللائق اختيار الاسم المناسب بالمقام. ووجه ذلك: ما حصل هنا عندما اختير من أسماء عمِّ النبي ﷺ اسم (أبي لهب)، وهو لقبٌ له، لأن هذا اللقب -أبو لهب- لقب مناسب تماماً في حاله ومآله[٥]؛ إذ هو أبو لهب والنار ذات لهب[٦]. قال ابن عاشور: «كنية أبي لهب صالحة موافقة لحاله مِن استحقاقه لهب جهنم، وهو أنه من أهل جهنم، وهو

(١) أخرجه مسلم (ح٢٥٦٤).
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٣).
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٢/ ٣٢٨).
(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٥١٧).
(٥) الكشاف (٤/ ٨١٤)، ومفاتيح الغيب (٣٢/ ٣٥٠)، ومعالم التنزيل (٨/ ٥٧٨)، والبحر المحيط (١٠/ ٥٦٦).
(٦) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٥).

لـزوم ادعائي مبنيٌّ على التفاؤل بالأسـماء»[١]، فكمـا أنَّ كنيته لازمته في الدنيا فكذلك النار تلازمه في الآخرة. يقول الشاعر:

قلمـــا أبصرت عينـــاك ذا لقب إلا ومعنـــاه إن فكرت في لقبه [٢]

ولذلك شـاهد من سـيرة النبي ﷺ، فلما أقبل سـهيل بن عمرو في قصة غزوة الحديبية قال الرسـول ﷺ: «**لقد سـهُل لكم من أمركم**»[٣]؛ لأن الاسـم مطابق للفعل[٤].

١٦- ومنها: إرشاد السـورة إلى أنَّ المسلمين -وخاصة العلماء منهم- في حـال ذمِّ بعـض أعيان النـاس يجب عليهـم أن يكونوا مُعَيِّنيـن لهم حتى لا يشـتبهوا مع غيره. فهذا القـرآن نَعَتَ زوجة أبي لهـب بأنها ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾، وهذا النعت جعلنا نعرف أنها: أم جميل أخت أبي سفيان بن حرب عَمَّةُ معاوية، وإنَّمـا نُعِتَـت بهذا لأنه قد كان لـه زوجات غيرها[٥]، فهكـذا في حال كون بعض الألفاظ مبهمة أو مجملة يجب التفصيل والإيضاح؛ حتى لا يُذَمَّ مَن لا يسـتحق الذم، ومثل هذا يستفيد منه المتخصصون في الجرح والتعديل في علم الحديث، والمتحدثـون عن الفرق والمذاهب وكيفية نشـأتها ومَن هم أئمتهـا، فلا بُدَّ من الإيضاح في هذا المقامِ حتى لا يحصل لَبْس، أو خلط المذموم بغير المذموم.

١٧- ومنهـا: دلالة القرآن علـى أنَّ الذنوب التي يعملها المرءُ ما هي إلا حطبٌ يُسَعِّر لنفسِه في نار جهنم، فليُقِلَّ المرء أو ليستكثر؛ فإنَّ وبال ذلك دعاةٌ

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٢).
(٢) البيت بدون نسبة في: بصائر ذوي التمييز (٤/ ٤٣٨)، والمفردات في غريب القرآن (١/ ٧٤٤).
(٣) أخرجه البخاري (ح٢٧٣١).
(٤) تفسير جزء عم ابن عثيمين (ص٣٤٦).
(٥) الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٦).

عليه، فقد قيل: إن قوله: ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ استعارة لذنوبها التي تحطبها على نفسها لآخرتها[1].

١٨- تُفْهِم السورةُ أن المرأة قد تتأثر بزوجها ديانة وخُلُقًا، فكما أن الشريعة حثت الرجل على اختيار المرأة الصالحة، فكذلك المرأة عليها أن تختار الرجل الصالح.

◈ أما أهم النتائج:

○ أن قاعدة **(الجزاء من جنس العمل)** قاعدة ثابتةٌ في القرآن والسنة، لا يمكن لمسلمٍ قرأ القرآن بقلبٍ واعٍ أن لا يلمحها وتجذب انتباهه لها.

○ أن قاعدة **(الجزاء من جنس العمل)** تحمل معنيين، أحدهما عامٌّ يدلُّ على أنَّ مَن عمل أيَّ شرٍّ وسوءٍ فجزاؤه الشر والسوء، ومَن عمِل أي خير وفعل حسن فجزاؤه خير وحسن. والمعنى الثاني يدلُّ على معنى خاصٍّ جزئيٍّ، كالدلالة على أنَّ مَن عفا يُعفَ عنه، وأنَّ مَن استهزأ فسيُستهزأ به... إلخ.

○ أن قاعدة **(الجزاء من جنس العمل)** تنقسم إلى قسمين: قسمٌ جَلِيٌّ ينتبه له كلُّ أحدٍ ممن يقرأ القرآن بنوعِ تأمُّلٍ، وقسمٌ خَفِيٌّ لا يظهر إلا لِمَن تدبر وتأمَّل جيدًا، ولا يكاد يُوجَد إلا في كلام العلماء المفسرين الكبار المحققين المتدبرين.

○ لقاعدة **(الجزاء من جنس العمل)** صُوَرٌ مُتَعَدِّدَةٌ، فمنها ما يكون المعاقبة بنفس آلة المعصية، ومنها ما يكون المعاقبة بعملٍ من جِنس العمل... إلخ.

○ أن كتاب (نظم الدرر) من أهم الكتب التي تعرضت لقاعدة **(الجزاء من جنس العمل)** التي وجهُها خفيٌّ لا يظهر على أحد.

---

(١) تفسير ابن عطية (٥/ ٥٣٥).

◈ أما التوصيات:

- إن مبدأ **(الجزاء من جنس العمل)** مبدأٌ يكثر تداوله على ألسنة العلماء، وهو حقٌّ لا شك فيه، لكن ليس كلُّ ما يذكر في تطبيقاته يكون صوابًا، فأدعو الباحثين في جميع التخصصات إلى النظر في هذه القاعدة التي ذُكِرَت في تخصصاتهم؛ سواء في الفقه، أو العقوبات الدنيوية، أو الجزاءات الأخروية، أو غير ذلك، فتدرس كل تلك المسائل؛ لتحرير كل مسألة على حِدَةٍ.

- إنَّ الدراسات والمقالات التي تعرضت لهذه المقالة إنما تعرضت لها على وجه العموم، لا على وجه الخصوص كما فعلت هذه الدراسة، ومن المناسب للباحثين والدارسين أن يتوسعوا في دراسة هذه القاعدة في ضوء سُوَرٍ معينة، أو قصص محددة، أو مواضيع مخصصة، على طريق التوسُّعِ والتخصُّص.

- يوجد قاعدة مشابهة لهذه القاعدة، وهي: (المعاملة بنقيض القصد)، وكثيرًا ما يُعَبِّر عنها العلماء بـ**(الجزاء من جنس العمل)**، فأوصي بدراسة قاعدة (المعاملة بنقيض القصد) دراسة موضوعية، وبيان الفرق بينها وبين قاعدة **(الجزاء من جنس العمل)**، والوفاق بينهما.

- إن صياغة هذا البحث جاءت على طريقةٍ علمية أكاديمية، فيها نوعٌ من الجمود العلمي؛ نظرًا لما تقتضيه هذه البحوث الأكاديمية، فلأجل ذلك أُوصِي أن يستفيد الدعاة والخطباء ونحوهم بالاستفادة من هذا البحث، مع إعادة صياغته بطريقة أدبيةٍ دعويةٍ لتكون أقربَ لنفوس السامعين من عامَّة المسلمين.

- أكثر ما يتحدث عنه العلماء في **(الجزاء من جنس العمل)** إنما هو في الأمر الظاهر الذي يكاد يعرفه كل أحد، والذي أُوصي به هو تتبع مسائل

الجـزاء مـن جنس العمل الخفيـة، التي تحتـاج إلى إعمال ذهـنٍ، وغوصٍ في معاني الآيات؛ لاستخراجها، وتحريرها.

قد ورد في البحث صُوَرٌ لقاعدة **(الجزاء من جنس العمل)**، وما زال الأمر يحتاج إلى مزيد بحثٍ وتحرير.

مجلة تدبر

المصادر والمراجع

١. «أثـر الإيمـان في تحصين الأمة الإسـلامية ضد الأفـكار الهدامة»، لعبـد الله بن عبد الرحمـن الجربوع، عمادة البحـث العلمي، الجامعة الإسـلامية، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٢. «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل»، لمحمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣. «الاسـتيعاب في بيان الأسباب»، لسـليم بن عيد الهلالي، ومحمد بن موسى آل نصر، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٤. «أضـواء البيـان في إيضاح القـرآن بالقرآن»، لمحمـد الأمين بن محمـد المختار بن عبد القادر الجكني الشـنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشـر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٥. «إمتاع الأسـماء بمـا للنبي من الأحـوال والأموال والحفدة والمتـاع»، لأحمد بن علي بن عبد القادر أبي العباس الحسيني العبيدي تقي الدين المقريزي (ت٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسـي، دار الكتـب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٦. «أنواع التصنيف المتعلقة بتفسـير القرآن الكريم»، د. مسـاعد بن سـليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة، ١٤٣٤هـ.

٧. «أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير»، لأبي بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر الجزائـري، مكتبـة العلوم والحكم، المدينـة المنورة- المملكة العربية السـعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٨. «بحـر العلـوم»، لأبـي الليـث نصر بـن محمد بـن أحمد بـن إبراهيم السـمرقندي (ت٣٧٣هـ).

٩. «البحر المحيط في التفسير»، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٠. «البدعة: ضوابطها وأثرها السيء في الأمة»، لعلي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الجامعة الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

١١. «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز»، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٢. «بيان المعاني، لعبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت١٣٩٨هـ)، مطبعة الترقي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ-١٩٦٥م.

١٣. «البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار»، لفوزان بن سابق بن فوزان (ت١٣٧٣هـ)، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٤. «تاريخ الأمم والملوك»، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبي جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٧م.

١٥. «تاريخ نزول القرآن»، لمحمد رأفت سعيد، دار الوفاء، المنصور- مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

١٦. «تأويلات أهل السنة»، لأبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (ت٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

١٧. «التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١٨. «التحصيل لفوائد التفصيل الجامع لعلوم التنزيل»، لأبي العباس المهدوي الأندلسي المالكي (ت٤٤٠هـ)، إدارة الشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف، قطر.

١٩. «تفسير القرآن»، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي الشافعي (ت٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٠. «تفسير مقاتل بن سليمان»، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢١. «تفسير ابن فورك»، لمحمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني أبي بكر (ت٤٠٦هـ)، مجموعة رسائل جامعية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٢٢. «تفسير التستري»، لأبي محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (ت٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون/ دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٣. «تفسير الشعراوي»، لمحمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.

٢٤. «تفسير الفاتحة والبقرة»، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٥. «تفسير القرآن العزيز»، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الإلبيري المعروف بابن أبي زمَنِين المالكي (ت٣٩٩ه)، تحقيق: أبي عبد الله حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢٦. «تفسير القرآن العظيم»، لابن أبي حاتم أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

٢٧. «تفسير القرآن العظيم»، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٨. «تفسير القرآن من الجامع»، لأبي محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (ت١٩٧هـ)، تحقيق: ميكلوش موراني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

٢٩. «التفسير القرآني للقرآن»، لعبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة.

٣٠. «التفسير الوسيط»، للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣١. «تفسير جزء عم»، لابن عثيمين محمد بن صالح بن محمد (ت١٤٢١هـ)، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٣٢. «تفسير عبد الرزاق»، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت٢١١هـ)، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٣٣. «تفسير مجاهد»، لأبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت١٠٤هـ)، تحقيق: د. محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

٣٤. «تفسير مقاتل بن سليمان»، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٣٥. «تفسير يحيى بن سلام»، ليحيى بن سلام بن أبي ثعلبة التيمي بالولاء من تيم ربيعة البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت٢٠٠هـ)، تقديم وتحقيق: د. هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٣٦. «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٣٧. «تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن»، لأبي عبد الله عبد الرحمن بن ناصر ابن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت١٣٧٦هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٨. «التيسير في أحاديث التفسير»، لمحمد المكي الناصري (ت١٤١٤هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣٩. «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبي جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٤٠. «جامع العلوم والحكم»، لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٤١. «الجامع لأحكام القرآن»، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

٤٢. «**الجنة والنار**»، لعمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٤٣. «**حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**»، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت.

٤٤. «**حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**»، لمحمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٤٥. «**الحسنة والسيئة**»، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٤٦. «**الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية**»، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أبي محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٤٧. «**ديوان علي بن أبي طالب المنسوب إليه**»، جمع وترتيب: عبد العزيز الكرم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٤٨. «**ذم البغي**»، لابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد (ت٢٨١هـ)، قدم له وحققه وعلق عليه: د. نجم عبد الرحمن خلف، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٤٩. «**روح البيان**»، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي المولى أبي الفداء (ت١١٢٧هـ)، دار الفكر، بيروت.

٥٠. «**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**»، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٥١. «زاد المسير في علم التفسير»، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥٢. «الزهد والرقائق»، لابن المبارك أبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي (ت١٨١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٣. «زهرة التفاسير»، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زُهرة (ت١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.

٥٤. «السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير»، لشمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة، ١٢٨٥م.

٥٥. «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها»، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥/ ١٤١٦/ ١٤٢٢هـ-١٩٩٥/ ١٩٩٦/ ٢٠٠٢م.

٥٦. «سنن أبي داود»، لسليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت - صيدا.

٥٧. «سنن الترمذي»، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٥٨. «شرح العقيدة الطحاوية»، لعبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٥٩. «شرح العقيدة الواسطية: ويليه ملحق الواسطية»، لمحمد بن خليل حسن هرَّاس (ت١٣٩٥هـ)، ضبط نصَّه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الخبر، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.

٦٠ . «شـمائل الرسـول صلى الله عليه وآله وسـلم»، لأحمد بن عبد الفتـاح زواوي، دار القمة، الإسكندرية.

٦١ . «صحيـح البخاري: الجامع المسـند الصحيـح المختصر من أمور رسـول الله ﷺ وسـننه وأيامه»، لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي أبي عبد الله، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة [مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي]، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٦٢ . «صحيح مسلم»، لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٣ . «الصمت وآداب اللسـان»، لأبي بكر عبـد الله بن محمد بن عبيد المعروف بابن أبي الدنيـا (ت٢٨١هـ)، تحقيق: أبي إسـحاق الحويني، دار الكتـاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٦٤ . «عالم الملائكة الأبرار»، لعمر بن سلميان بن عبد الله الأشقر العتيبي، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٦٥ . «غرائب القرآن ورغائب الفرقان»، لنظام الدين الحسـن بن محمد بن حسين القمي النيسـابوري (ت٨٥٠هـ)، تحقيـق: الشـيخ زكريا عميـرات، دار الكتـب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٦٦ . «قاعـدة الجزاء من جنـس العمل وتطبيقاتها في القـرآن الكريـم»، د. خالد بن عثمان السبت، مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الشـرعية، العدد ١٨٥، الجزء الأول، السنة الحادية والخمسون، ١٤٣٩هـ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (ص٦٣-١١٠).

٦٧ . «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، محرم ١٤٢٤هـ.

٦٨ . «الكامـل في التاريـخ»، لأبي الحسـن علي بن أبـي الكرم محمد بـن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشـيباني الجـزري عز الدين ابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، تحقيق:

عمـر عبد السـلام تدمـري، دار الكتاب العربـي، بيـروت- لبنان، الطبعـة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٦٩. «الكشـاف عن حقائـق غوامض التنزيـل»، لأبي القاسـم محمود بن عمـر بن أحمد الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٧٠. «الكشـف والبيان عن تفسـير القـرآن»، لأبي إسـحاق أحمد بن محمد بـن إبراهيم الثعلبـي (ت٤٢٧هـ)، تحقيـق: الإمام أبـي محمد بن عاشـور، مراجعـة وتدقيق: الأسـتاذ نظير السـاعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٧١. «لمسـات بيانية في نصوص من التنزيل»، لفاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمّان- الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٧٢. «مباحـث في التفسـير الموضوعـي»، لمصطفى مسـلم، دار القلم، الطبعـة الرابعة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٧٣. «المجالسـة وجواهـر العلـم»، لأبـي بكـر أحمـد بـن مـروان الدينـوري المالكي (ت٣٣٣هـ)، تحقيـق: أبـي عبيـدة مشـهور بن حسـن آل سـلمان، جمعيـة التربية الإسلامية، البحرين- أم الحصم/ دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ.

٧٤. «مجمـوع الفتـاوى»، لأحمد بـن عبد الحليم بـن تيمية، تحقيق: عبـد الرحمن بن محمد بن قاسـم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشـريف، المدينة النبوية- المملكة العربية السعودية، ١٤١٦ه-١٩٩٥م.

٧٥. «مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٤٢٠هـ)»، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

٧٦. «مجموع فتاوى ورسـائل فضيلة الشـيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)»، جمـع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السـليمان، دار الوطـن/ دار الثريا، الطبعة الأخيرة، ١٤١٣هـ.

٧٧. «محاسن التأويل»، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٧٨. «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٧٩. «المختصر في تفسير القرآن الكريم»، لجماعة من علماء التفسير، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة الثالثة، ١٤٣٦هـ.

٨٠. «مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد»، لمحمد بن عمر نووي الجاوي البنتني التناري (ت١٣١٦هـ)، تحقيق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٨١. «المصنف في الأحاديث والآثار»، لأبي بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٨٢. «المصنف»، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت/ المجلس العلمي، الهند، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٨٣. «معالم التنزيل في تفسير القرآن»، لمحيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٨٤. «معاني القرآن وإعرابه»، للزجاج إبراهيم بن السري بن سهل أبي إسحاق (ت٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٨٥. «معاني القرآن»، لأبي الحسن المجاشعي بالولاء البلخي ثم البصري المعروف بالأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ)، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٨٦. «معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ»، لبكر بن عبد الله أبو زيد (ت١٤٢٩هـ)، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٨٧. «مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير»، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٨٨. «المفردات في غريب القرآن»، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم/ الدار الشامية، دمشق/ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٨٩. «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٩٠. «نعمة الذريعة في نصرة الشريعة»، لإبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحَلَبي الحنفي (ت٩٥٦هـ)، تحقيق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، دار المسير، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٩١. «النكت والعيون»، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٩٢. «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لابن الأثير مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت٦٠٦هـ)، تحقي: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٩٣. «الهدايـة إلـى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسـيره وأحكامـه وجُمَلٍ من فنون علومـه»، لأبـي محمد مكـي بن ابي طالـب حموش بـن محمد بن مختار القيسـي القيـرواني ثم الأندلسـي القرطبـي المالكي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسـائل جامعيـة بكليـة الدراسـات العليـا والبحـث العلمي، جامعة الشـارقة، بإشـراف: أ.د. الشـاهد البوشـيخي، الناشـر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٩٤. «الوسـيط في تفسير القرآن المجيد»، للواحدي أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علـي الواحدي النيسـابوري الشـافعي (ت٤٦٨هــ)، تحقيق وتعليـق: عادل أحمد عبـد الموجود، وعلـي محمد معوض، د. أحمد محمد صيـرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: أ.د. عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

فهرس الموضوعات

مجلة تدبر



البحث الرابع

ظَاهِرَةُ التَّمَرُّدِ وَعِلَاجُهَا فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ

د. مُحَمَّد مُؤْمِن مُحَمَّد بَامُؤْمِن

رئيس قسم التفسير بالكلية العليا للقرآن الكريم - جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية - فرع وادي حضرموت – اليمن.

- حصل على درجة **الماجستير** من كلية أصول الدين – جامعة أم درمان الإسلامية – السودان.

بأطروحته: (التكلف في التفسير عند المعاصرين – الأسباب والآثار)..

- حصل على درجة **الدكتوراه** من كلية الدعوة وأصول الدين –جامعة أم القرى– بمكة المكرمة.

بأطروحته: (الآيات التي أشكلت على الصحابة – جمعـًا ودراسة).

- حاصل على جائزة التميز البحثي التي تنظمها الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه «تبيان» لعام ١٤٣٩هـ.

النتاج العلمي:

- بحث: الإعجاز التشريعي في الطلاق (بحث محكّم منشور).

البريد الإلكتروني: mmmmbamomen@gmail.com

مستخلص البحث

أهداف البحث:

إنّ من أبرز خصائص القرآن الكريم، شموليّته لجميع مناحي الحياة، وصلاحيته لكل زمان ومكان، وهذه الخاصيّة جعلته منهجًا فريدًا تفتقر إليه البشرية لتنظيم حياتها وحلّ مشكلاتها مهما تقدّم بها الزمان، ومن أبرز القضايا التي عَنِي القرآن بالتحذير منها، ووضع العلاج الناجع لها: (ظاهرة التمرّد)، التي عانت منها الأمم -قديمًا وحديثًا- وكان لها الأثر السيئ على الفرد والمجتمع.

ولا شكّ أنّ الحديث عن تناول القرآن لهذه الظاهرة وكيفية تعامله معها، ليُسهم إسهامًا مباشرًا في علاجها والقضاء عليها، لا سيّما في عصرنا الحاضر، وفي هذا تكمن أهمية الموضوع.

منهج البحث:

وقد جاء هذا البحث ليبرز عناية القرآن بهذه الظاهرة، وذلك من خلال مقدّمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، تناول فيها البحث تعريف التمرّد، وأنواعه، وبيان أهم أسبابه، وبيان كيفية علاجه.

ويستعرض البحث في خاتمته أهم النتائج، ومنها:

١- إنّ القرآن قد اهتم بهذه الظاهرة كثيرًا ووضع لها العلاج النافع.

٢- إنّ ظاهرة التمرّد ليست ظاهرة وليدة اليوم بل هي قديمة قِدم الخليقة.

٣- إنّ كثيرًا من المربّين يقعون في الأخطاء التربوية لعلاج هذه الظاهرة، وذلك لعدم انتهاجهم المنهج القرآني في التعامل مع هذه الظاهرة.

٤- إنّ من أسباب انتشار ظاهرة التمرّد في هذا الزمان، البعد عن القرآن وعدم تدبّره، إذ لو قُرئ القرآن لأخذت منه العبرة، مما يعني البعد عن هذه الظاهرة.

٥- إنّ خطر هذه الظاهرة لا يقتصر على المتمرّدين بل يعمّ المجتمعات والجماعات بأكملها، وهذا يستدعي تكاتف الجميع على محاربة هذه الظاهرة، والله أعلم.

التوصية: أوصي الباحثين وطلبة العلم أن ينبري أحدهم لهذا الموضوع في رسالة علميّة، ويعطيه مزيدًا من التأصيل والتحرير حتى تعم الفائدة.

الكلمات المفتاحيّة: التمرّد، مدلول، أسباب، أنواع، علاج.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمدُ لله الذي يسّر لنا أسباب طاعته، ونهانا عن اقتراف معصيته، جعل القُرب لمن أطاعه، والبعد والصَّغَار لمن عصاه، أحمده حمد الحامدين، وأشكره شُكر الشاكرين، وأثني عليه ثناء العارفين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، عدد ما ذكره الذاكرون الأبرار، وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون الأشرار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ألوهيّته ولا في ربوبيّته، شهادةً أرجو بها النجاة، يوم يفرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه.

وأصلّي وأسلّم على من جُعلت طاعته من طاعة الله، واتباعه علامة حُبِّ الله، اللهمّ صلِّ عليه صلاةً تبلُغه في قبره، ونحظى بها على شفاعته، وننال ببركتها جزيل البركات، وننزل بها في أعالي الغرفات، صلى الله عليه وسلّم تسليمًا إلى يوم الدين،

أما بعد:

فإنّ من حكمة الله البالغة أن فَطَر مخلوقاته على اتّباع أمره، والانقياد لسُنّته في كونه، إلا الثقلين الإنس والجن! فكثيرًا ما تُخالف الفطرة التي فطرها الله عليها، وهذه حقيقة لا يختلف عليها العقلاء.

ولهذا ظهرت كثير من أشكال التمرّد والعصيان، والعتوّ والطغيان؛ ولأجل ذلك أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، وقد أولى القرآن اهتمامًا واضحًا بهذه الظاهرة -**أعني ظاهرة التمرّد**- حيث ذكر كثيرًا من أشكالها ووضع الحلول للتغلّب عليها، وهذا البحث محاولة لدراسة هذه الظاهرة، وكيف

عالجها القرآن الكريم على طريقة المنهج الموضوعي؟ فنسأل الله التوفيق والسّداد إنه حميد مجيد.

أهميّة موضوع البحث:

إنّ أهميّة أي موضوع تنبثق مما يُبحث فيه، فإن صفا معدنه علت أهميّته، وإلا فهو ضرب من الحشو؛ ولا شك أن الأبحاث المتعلّقة بالقرآن الكريم تستأثر بأولوية الاهتمام من بين العلوم على اختلافها؛ وكون هذا البحث يتناول موضوعًا، مسّت الحاجة إليه -خصوصًا في هذا العصر- الذي فَشت فيه ظاهرة التمرّد على أوامر الله -فضلًا عن أوامر غيره- فإن هذا يُكسب الموضوع أهمية قصوى.

أسباب اختيار الموضوع:

وأهم الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع ما يأتي:

١- انتشار هذه الظاهرة بشكل كبير في العصر الحديث.

٢- الإسهام في الرقي بالمجتمع وتحذيره من مساوئ الأخلاق.

٣- إبراز عناية القرآن بهذا الموضوع واهتمامه به.

٤ - أهمية الموضوع والحاجة الملحّة إلى تناوله.

إضافة إلى الأسباب العلمية والبحثية، كتوفّر المادة العلميّة ومصادرها ومراجعها.

منهج الدراسة:

يتّبع منهج الدراسة في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث يقوم باستقراء الآيات التي تتحدّث عن الموضوع ثم تُحلّل وتُصنّف حسب

الخطة البحثيّة للموضوع، وقد يبرز أثناء ذلك بعض المناهج التي يحتاج إليها البحث حسب طبيعة المباحث والمطالب.

الدراسات السابقة:

وبالرغم من أهميّة الموضوع، إلّا أنّني لم أجِد مَنْ تناوله بالبحث، ولكن هناك بعض الدراسات القريبة، مثل: المعصية في القرآن الكريم لفرهاد إبراهيم أكبر، وأسباب هلاك الأمم السالفة، كما وردت في القرآن الكريم لسعيد محمد بابا سيلا.

خطة البحث:

قُمت بتقسيم هذا البحث إلى مقدّمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وأهم التوصيات، على النحو الآتي:

المقدّمة: وفيها تطرّقت إلى أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث فيه.

مستخلص البحث:

المقدمة:

المبحث الأول: تعريف عام بمصطلح التمرّد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التمرّد في اللغة، والاصطلاح.

المطلب الثاني: أنواع التمرّد.

المبحث الثاني: أسباب التمرّد: ويشتمل على عدة مطالب:

المطلب الأول: الكبر.

المطلب الثاني: الظلم.

المطلب الثالث: الجهل والخوف واتباع النفس.

المطلب الرابع: التّرف.

المبحث الثالث: علاج ظاهرة التمرّد في القرآن:

المطلب الأول: أساليب علاج ظاهرة التمرّد.

أولًا: الحوار. **ثانيًا:** الترغيب.

ثالثًا: الترهيب. **رابعًا:** اللين.

المطلب الثاني: إنزال العقوبات.

أولًا: عقوبة تمرّد العبد على خالقه.

ثانيًا: عقوبة تمرّد الزوجة على زوجها.

ثالثًا: عقوبة تمرّد الابن على أبيه.

رابعًا: عقوبة تمرّد الجماعة على الأمير.

....

المبحث الأول

تعريف عام بمصطلح التمرّد

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التمرّد في اللّغة والاصطلاح:

أولًا: تعريف التمرّد لُغة: التمرّد مصدر مأخوذ من الفعل «مَرد» فيقال: مَرد مرودًا وتمرّدًا فهو متمرّد، والمارد العاتي مرد على الأمر بالضم يمرُد مرودًا، و تمرَّدَ علينا أي عتا وطغى واستعصى. قال ابن الأعرابي[1]: (المرد: التطاول بالكبر والمعاصي، والمريد الخبيث المتمرّد الشرير وشيطان مارد ومريد واحد. والمريد يكون من الجن والإنس وجميع الحيوانات)[2].

والحاصل أن التمرّد يحمل معنى مخالفة الأمر، سواء كان بسبب شبهة تحمله على ترك الأمر، أو على سبيل العتوّ والطغيان، وإن كان إطلاقه على النوع الثاني أكثر من إطلاقه على النوع الأول.

ثانيًا: تعريف التمرّد اصطلاحًا: وتعريف التمرّد في الاصطلاح لم يخرج بعيدًا في جملته عن التعريف اللغوي، وبالرغم من وجود هذا المصطلح في كتب المتقدمين إلا أنني لم أجد -على قصور مِنّي- مَن عرّفه اصطلاحًا، حتى جاء المختصّون بعلم التربية في العصر الحديث فعَرّفوا هذا المصطلح،

(١) هو محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي، أبو عبد الله: راوية، ناسب، علاّمة باللغة. من أهل الكوفة. كان أحول. أبوه مولى للعباس بن محمد بن علي الهاشمي. وهو ربيب المفضل بن محمد صاحب المفضليات. مات بسامراء سنة ٢٣١هـ. وهو غير ابن الإعرابي أحمد ابن محمد المحدث. راجع ترجمته في: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (٤/ ٣٠٦).

(٢) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور(٣/ ٤٠٠).

فقد جاء في دائرة معارف الأُسرة المسلمة بأن تعريف التمرّد: هو الخروج على السلطة والقيم والقوانين والعقائد والأعراف السليمة، وقيل: هو الخروج على ما ينبغي الالتزام به[1]. وهذا التعريف الثاني هو المعني هنا في البحث كونه يتماشى مع طبيعة المادة التي نحن بصدد الحديث عنها، ويمكن أن نستخلص من التعاريف السابقة تعريفًا أسهل وبعبارة أشمل، فنقول: التمرّد: هو عبارة عن مخالفة ما يجب الالتزام به، وعدم الانقياد على سبيل القصد أو العتوّ والاستكبار.

وقد ذكر الله هذا المصطلح بهذا المعنى في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم، هي:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ [النساء: ١١٧]، أي: (تمرّد على معاصي الله)[2] وقيل: (يعني عاتيًا تمرّد على ربه عَزَّ وَجَلَّ)[3].

قال الطبري[4] في تفسيره: (يعني: متمرّدًا على الله في خلافه فيما أمره به، وفيما نهاه عنه)[5].

(١) دائرة معارف الأسرة المسلمة لعلي بن نايف الشحود (٤٢/ ١٨٥).

(٢) وهو تفسير قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ، ينظر: جامع البيان للطبري (٩/ ٢١٢).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٢٥٧).

(٤) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان. رأس المفسرين، وأحد أفراد الدهر علمًا، وذكاء، وكثرة تصانيف. ومن أشهر مصنفاته: جامع البيان في تفسير آي القرآن، وتاريخ الملوك والأمم. توفي سنة: ٣١٠هـ. ترجمته في: إنباه الرواة على أنباه النحاة لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي (٨/ ٨٩)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٧/ ٢٩٨)، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص: ٩٥)، وطبقات المفسرين للأدرنوي (ص: ٤٨).

(٥) جامع البيان (٩/ ٢١٢).

وقال القرطبي[1] (المريد: الخارج عن الطاعة، وقد مرَد الرجل يمرُد مُرودًا إذا عتا وخرج عن الطاعة، فهو مارد ومريد ومتمرد)[2].

والموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج: ٣].

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ [الصافات: ٧].

هذه ثلاثة مواضع ورد فيها لفظ التمرّد بصيغة اسم فاعل مارد ومَريد، ومنه أُخذ عنوان هذا البحث، وقد وردت أيضًا بعض الألفاظ في القرآن تحمل مدلول مصطلح «التمرّد»، ومن هذه الألفاظ:

أولًا: المعصية:

المعصية مشتقّة من الفعل عصا يعصي، والمصدر منه عاصيًا وعاصٍ، فيقال عصى يعصي فهو عاصي وعاصٍ، وهي في اللغة يدور معناها حول ترك الأمر ومخالفته والخروج عنه. جاء في المعجم الوسيط: (عصاه معصية وعصيانًا: خرج من طاعته وخالف أمره فهو عاصٍ)[3].

وفي الاصطلاح عرّفها صاحب كتاب التعريفات، فقال: (المعصية: مخالفة الأمر قصدًا)[4].

وواضح من هذا التعريف أن معنى المعصية يحمل نفس معنى التمرّد، إذ كلاهما فيه مخالفة الأمر بقصد،

(١) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري أبو عبد الله القرطبي مصنف التفسير المشهور، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، قال الذهبي: إمام متفنن متبحر في العلم له تصانيف مفيدة تدل على إمامته. مات بمنية سنة ٦٧١ هـ. طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ٧٩)، وطبقات المفسرين للأدرنوي (ص: ٢٤٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٣٨٨).

(٣) المعجم الوسيط لمجموعة مؤلفين (٢/ ٦٠٦).

(٤) التعريفات للجرجاني (ص: ٢٨٣).

وهـذا المصطلح هو أكثـر اصطلاحات القرآن اسـتعمالًا للتمرّد! حيث ورد لفظ عصا وما اشـتق منه في كثير من المواضع، مثل: قوله تعالى في سـورة آل عمران: ﴿وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وفي سـورة النساء: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [النساء: ١٤]، وفي سورة النساء أيضًا: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [النساء: ٤٢].

وفي سـورة هـود: ﴿وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾[هـود: ٥٩]، وفي سورة طه: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١].

وفي سـورة الأحـزاب يتكـرر قولـه تعالـى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وفي سورة المجادلة: ﴿وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ [المجادلة: ٨]، وفي سورة الحاقة: ﴿فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ﴾ [الحاقة: ١٠]، وفي سورة الجنّ يتكرّر قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الجن: ٢٣]، وفي سورة المزمل: ﴿فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٦]، وفي سورة النازعات: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ [النازعات: ٢١].

وهكـذا تجد القرآن الكريم قد أولى هذا اللفظ من ألفاظ التمرّد اهتمامًا كبيـرًا، وعنـد كلّ لفـظ من هـذه الألفاظ تجـد المفسّـرين يذكـرون أن معنى المعصية: مخالفة الأمر والخروج عن الطاعة، وهو نفس معنى التمرّد(١).

ولكـن ثمّة تنبيه يجب التنبّه إليه، وهو أن مصطلح «المعصية» في القرآن الكريـم قد اختـص -في الغالب- بمخالفة أمـر الله ورسـوله دون غيرهما، إذ أغلـب المواضع التـي ورد فيها هذا اللفظ هي في سـياق مخالفة أمر الله، وأمر النبـي ﷺ على سـبيل الاسـتكبار، إلا في بعـض المواضع القليلـة مثل: ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي﴾ [طه: ٩٣]، والله أعلم.

---

(١) ينظر مثلاً ما قاله القرطبي في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ﴾ (٤/ ٢٣٦)، وابن عاشور في التحرير والتنوير (٤/ ١٧٥).

ثانيًا: الإبى: الإبى مأخوذ من الفعل أبى يأبى، والألف المقصورة منقلبة عن ياء، والمصدر أبيًا، وأَبَيْت الأمر أي امتنعت عنه. قال ابن فارس:[1] (الهمزة والباء والياء يدلّ على الامتناع، أبيت الشيء أباهُ)[2]، ويمكن أن نستخلص من التعريف اللغوي التعريف الاصطلاحي، فنقول:

الإبى: هو الامتناع عن إنفاذ الأمر إما لعدم رغبة، أو على سبيل الاستكبار، وهو بهذا قد اتفق مع معنى التمرّد؛ ولذا قلنا إنه من الألفاظ المقاربة له.

وقد ورد هذا اللفظ في عدة مواضع من القرآن، مثل: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤]، [الحجر: ٣١]، [طه: ١١٦]، قال السعدي في معنى أبى: أي (امتنع عن السجود؛ واستكبر عن أمر الله)[3]، وفي سورة الكهف يخبر الله عن قصة الخضر مع أهل القرية، فقال تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الكهف: ٧٧]، أي فامتنعوا عن تضييفهما، وفي سورة طه قال تعالى مخبراً عن تمرّد فرعون على الاستجابة لآيات الله: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾ [طه: ٥٦]، وهكذا غيرها من الآيات التي فيها هذا اللفظ.

---

(١) هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، من أئمة اللغة والأدب. أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها، له تصانيف من أهمها معجم مقاييس اللغة، توفي سنة: ٣٩٥هـ. راجع ترجمته في: إنباه الرواة النحاة للقفطي (١/ ١٢٧)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ١١٨). وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٣٨).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٤٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ٤٨).

ثالثًا: النشوز:

ومن الألفاظ التي استعملها القرآن الكريم في التعبير عن التمرّد، لفظ النشوز، وهو لفظ مأخوذ من الفعل (نشز) والذي يعني في اللغة ما ارتفع من الأرض، ثم استعمل للمرأة التي تترفع على زوجها فيقال: (نَشَزَتِ المرأة تَنْشُزُ وتَنْشِزُ نُشوزًا، إذا استعصت على بَعْلها)(١)، أي تمرّدت على زوجها، وخرجت عن طاعته، وفي الاصطلاح لم يبعد عن المعنى اللغوي، فقد عرّفه صاحب كتاب دستور العلماء بقوله: «وفي الشرع: امرأة عاصية في حق زوجها بأن خرجت من منزله، ومنعت نفسها عنه بغير حق، بأن أوفى مهرها أو وهبت له» (٢)، وقال ابن عاشور: (النشوز: عصيان المرأة زوجها والترفّع عليه وإظهار كراهيته)(٣)، وهما تعريفان واضح فيهما معنى التمرّد والنكوص عما يجب الالتزام به.

وقد ورد هذا المصطلح -بمعنى التمرّد- مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤].

قال القرطبي: (أي تخافون عصيانهنّ وتعاليهن عما أوجب الله عليهن من طاعة الأزواج)(٤)، وهذه الآية لا ثاني لها في القرآن كله(٥).

(١) الصحاح في اللغة للجوهري (٢/ ٢٠٩).
(٢) دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون لعبد رب النبي نكري (٣/ ٢٧١).
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور(٤/ ١١٦).
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ١٧٠).
(٥) ورد في القرآن الكريم بعض المواضع المشتقة من الفعل (نشز)، ولكنها لا تحمل معنى التمرّد، وذلك قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا﴾، وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾، بسورة المجادلة، فهذان الموضعان لا يحملان معنى التمرّد والله أعلم.

رابعًا: الإباق:

الإباق في اللغة التمرّد في الانطلاق، والآبق: مشتق من الفعل أَبِق، وهو مصدر من أبق العبد إذا هرب، والفاعل منه آبق: وهو العبد المتمرّد على مولاه[1]، وهذا التعريف اللّغوي هو نفسه التعريف في الاصطلاح، ففي التعريفات عرّفه بأنه: (الآبق: هو المملوك الذي يفرّ من مالكه قصدًا)[2].

وقد جاء هذا المصطلح في موضع واحد في القرآن الكريم في سياق قصة نبي الله يونس عليه السلام حيث قال الله تعالى: ﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ [الصافات: ١٤٠]، وهي (استعارة تمثيليّة، شبّهت حالة خروجه من البلد الذي كلّفه ربه فيه بالرسالة تباعدًا من كلفة ربه بإباق العبد من سيده الذي كلفه عملًا)[3].

وقال القرطبي: (وقال غيره: إنّما قيل ليونس أبق؛ لأنه خرج بغير أمر الله عز وجل مستترًا من الناس، قال الترمذي الحكيم: سمّاه آبقًا؛ لأنه أبق عن العبودية[4])[5].

وهكذا تجد أن القرآن قد استعمل هذا اللفظ في هذا الموضع، وهو يحمل معنى التمرّد، والله أعلم وأحكم.

خامسًا: العُتوّ:

وهذا اللفظ من الألفاظ التي كثر ذكرها في القرآن الكريم، والعتوّ مصدر

(١) لسان العرب لابن منظور (١٠/ ٣).
(٢) التعريفات للجرجاني (ص: ٢٠) ودستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون لعبد رب النبي نكري (١/ ٢٧).
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣/ ٨٣).
(٤) نوادر الأصول للحكيم الترمذي (٤/ ٤٣).
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥/ ١٢٢).

من الفعل (عتا) فيقال عتا يعتو عتوًّا، وعليه جاء قوله تعالى: ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١]، و(العاتي: هو المبالِغ في ركوب المعاصي المتمرّد الذي لا يقع منه الوعظ)[١]، ومما ورد في القرآن بهذا اللفظ، قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [الأعراف: ٧٧]، أي تمرّدوا مستكبرين عن امتثال أمر ربهم، ضمّن العتو معنى الاستكبار، والعتوّ في اللغة: التمرّد والامتناع. انتهى من تفسير المنار[٢]. وجاء أيضًا في نفس سورة الأعراف وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦]، أي: (فلمّا تمرّدوا فيما نهوا عنه من اعتدائهم في السبت)[٣]، وأمّا في سورة الفرقان، فقد قال الله تعالى: ﴿فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٤]، فيتبيّن مما سبق أن القرآن قد استعمل جملة من الألفاظ للتعبير عن مصطلح التمرّد، وقد ذكرت منها ما فيه الكفاية، والله أعلم وأحكم.

المطلب الثاني: أنواع التمرّد في القرآن:

ذكر الله ﷻ عدة أنواع من أنواع «التمرّد» في كتابه، وأهم هذه الأنواع:

◈ أولًا: تمرّد العبد على خالقه:

إن مما اتفق عليه عقلاء المسلمين أن الله قد أنزل كتابه مشتملًا على كثير من الأوامر والنواهي، فأما الأوامر فواجب على العبد الإتيان بها ما لم تدلُّ قرينةٌ على نقلها من الوجوب إلى الاستحباب أو الندب، وأما النواهي فواجب تحريمها ما لم تدلّ قرينة تنقلها إلى الكراهة والتنزيه[٤]، وهذه الأوامر والنواهي خوطب بها الثقلان الإنس والجن على حدٍّ سواء.

(١) مختار الصحاح للرازي (ص: ٤٦٧).
(٢) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (٨/ ٤٤٩).
(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (١٠/ ٥٢٨).
(٤) ينظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول للشوكاني (١/ ٢٥٠).

ولكن اقتضت حكمة الله البالغة في عباده أن يخالف بعضهم هذه الأوامر والنواهي، وإذا كان كذلك جاز لنا أن نصِفَ من خالف أمر ربه بأنه قد تمرّد على الله في أمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى!

وأوّل من حمل لواء هذا الصنف من الثقلين هو إبليس اللعين، فحين تمرّد عن السجود لآدم، عوقب بالطرد من رحمة الله، فلما رأى ذلك كره أن يكون هو أول وآخر المتمرّدين، فراح يقسم الأيمان أن يكون له من الخليقة نصيب، وهذه سنة مطّردة في الكون، فالشرير يودّ أن لو كان الناس كلهم أشرارًا، وقد رُوي عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (ودّت الزانية أن النساء كلهن زنين)[1].

ويمكن أن نمثّل على تمرّد العبد على خالقه، بكل معصية عَصى بها الناس خالقهم.

ولكن ثمة شخصيات ذكرها القرآن في قصصه كانت مثالًا لتمرد العبد على خالقه، ومن هؤلاء: النمرود وفرعون وهامان وقارون، وكذا أبي لهب والوليد بن المغيرة وغيرهم.

فأما فرعون، فقد ذكره القرآن تارة بمفرده، مثل قوله تعالى عنه عندما آمن حين لا ينفع الإيمان: ﴿ ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٩١]، أي تمرّدت قبل عن طاعتنا ولم تستجب لأوامرنا. وتارة مع غيره من المتمردين، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٩].

---

(١) معالم السنن للخطابي (٤/ ٨٠)، والأثر لم أقف عليه في كتب السنة والتخريج، وقد ذكره غير واحد من العلماء، كابن قدامة في المغني (١٠/ ١٧٧)، وابن تيمية في الفتاوى (٢٨/ ١٥١)، لكن نقل ابن مفلح عن ابن المنذر، أنه قال: (وما روي عن عثمان أنه قال: ودّت الزانية أن النساء كلهن يزنين لا أعلمه ثابتًا عنه). أ. هـ. المبدع في شرح المقنع لابن مفلح (٨/ ٣٢٠).

وفي سورة غافر يقول الله عنه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٣، ٢٤]، وكلتا الآيتين تدلان على أن هذه الشخصيات من أبرز الشخصيات التي تمرّدت على خالقها، ولهذا قال: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، وقد عرّفت أن الكبر من أهم أسباب التمرّد، وعن أبي لهب قال الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]. وهكذا غيرهم.

◈ ثانيًا تمرّد الجماعة على الأمير:

ومن أنواع التمرّد التي قصّها الله علينا تمرّد الجماعة على الأمير، وقد ظهر هذا في قصة طالوت وموسى، فأما طالوت فقد نهى قومه عن الشرب فوق غَرفة اليد، فتمرّدوا وشربوا حتى رُووا، وأما موسى فأمرهم بدخول الأرض المقدسة فتمردوا، قال الله: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

ومن صور تمرّد بني إسرائيل أن موسى أمرهم بذبح البقرة فتعنتوا، وأمرهم أن يقولوا حِطّة، فقالوا: حنطة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]، قال بعض أهل التفسير: فلو لم يعترضوا لأجزأت عنهم أدنى بقرة، ولكنهم شدّدوا، فشدّد عليهم[(١)]، ولما ذهب موسى لميقات ربه أمّر على بني إسرائيل أخاه هارون، وقال له: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، ولمّا وقعوا في المحظور نهاهم عنه، ولكنهم تمرّدوا و ﴿قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩١]، وهو تمرّد صريح عن أمر الأمير.

---

(١) فتح القدير للشوكاني (١/ ١٢٠).

ومن أمثله هـذا النوع أيضًا ما قصّه الله علينا في شأن المنافقين الذين تمرّدوا على الخروج إلى أحد، حيث رجع عبد الله ابن أُبَي بثلث الجيش، فقال الله عنهم: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾.

أخرج الطبري بسنده، قال: خرج رسول الله ﷺ يعني: حين خرج إلى أُحد في ألف رجل من أصحابه، حتى إذا كانوا بالشوط بين أُحد والمدينة انخزل عنهم عبد الله بن أُبي بن سلول بثلث الناس، فقال: أطاعهم فخرج وعصاني، والله ما ندري علامَ نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس؟ فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النفاق وأهل الريب، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمة، يقول: يا قوم، أذكركم الله أن تخذلوا نبيّكم وقومكم عندما حضر من عدوهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، ولكنّا لا نرى أن يكون قتال، فلما استعصوا عليه، وأبوا إلا الانصراف عنهم، قال أبعدكم الله يا أعداء الله، فسيغني الله عنكم، ومضى رسول الله ﷺ[(١)]. ففي هذه القصة شاهد على تمرّد الجماعة على الأمير وقائد الجماعة، والله تعالى أعلم وأحكم.

◈ ثالثًا: تمرّد الابن على أبيه:

وأما تمرّد الابن على أبيه، فهو نوع من أنواع التمرّد التي ذكرها القرآن، وهذا النوع من التمرّد جاء اسمه في الشريعة بالعقوق، ففي صحيح البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: سُئل النبي ﷺ عن الكبائر، قال: «**الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وشهادة الزور**»[(٢)].

(١) جامع البيان للطبري (٦/ ٢٢٢)، وانظر كذلك: الدر المنثور للسيوطي (٤/ ١٠٨)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٦٣)، وأصل الرواية في مغازي ابن اسحاق وهو صدوق مشهور بالتدليس عن الضعفاء والمجهولين. انظر: تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس لابن حجر العسقلاني (ص: ٥١).

(٢) صحيح البخاري (٢/ ٩٣٩)، كتاب: الشهادات، باب: ما قيل في شهادة الزور. حديث رقم: ٢٥١٠.

والله ﷻ وإن لم يذكر هذا النوع من أنواع التمرّد باسم خاص يعرف به في القرآن الكريم، إلا أنه ذكره ضمنًا في قصة نوح عليه السلام، ففي سورة هود يصوّر الله سبحانه وتعالى لنا مشهدًا من مشاهد تمرّد الأبناء على آبائهم.

فبالرغم من أن نوحًا عليه السلام قد نادى ابنه بنداء الحنوة والأُبوة (يا بني)، إلا أن تمرّد الابن كان أعتى من ذلك بكثير، وأسمع إلى الله، إذ يقول: ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [هود: ٤٢]، فكان جواب ابنه أن قال: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ [هود: ٤٣].

يقول صاحب الظلال في ظلال هذه الآية: (وفي هذه اللحظة الرهيبة الحاسمة يُبصر نوح، فإذا أحد أبنائه في معزل عنهم وليس معهم، وتستيقظ في كيانه الأبوة الملهوفة، ويروح يهتف بالولد الشارد: ﴿ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ولكن البنوّة العاقة لا تحفل بالأبوة الملهوفة، والفتوة المغرورة لا تقدّر مدى الهول الشامل: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾... ثم ها هي الأبوة المدركة لحقيقة الهول وحقيقة الأمر ترسل النداء الأخير: ﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ لا جبال ولا مخابئ ولا حام ولا واقٍ، إلا من رحم اللّه) (١)، وهكذا رسمت لنا هذه القصة كيف يكون تمرّد الأبناء على آبائهم وكيف تكون نهاية ذلك، والله أعلم.

◈ رابعًا: تمرّد الزوجة على زوجها:

ومن أنواع التمرّد التي ذكرها الله علينا تمرّد الزوجة على زوجها، وقد سبق معنا أن القرآن قد اصطلح على هذا النوع من أنواع التمرّد بـ(النشوز).

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٤/ ١٨٧٨).

ولما كان هذا النوع من أنواع التمرّد يختص بالنساء، فقد ذكره الله في سورة النساء! قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾ [النساء: ٣٤]، يقول صاحب الظلال: (فأمّا غير الصالحات، فهُنّ الناشزات -من الوقوف على النشز: وهو المرتفع البارز من الأرض- وهي صورة حسيّة للتعبير عن حالة نفسية، فالناشز تبرز وتستعلي بالعصيان والتمرّد)[1].

إن صاحب الفطرة السليمة قد يستبعد أن هناك بعض النساء تتمرّد على أزواجهن، لكن هذه الحقيقة ذكرها الله في كتابه! ووضع العلاج الناجع لها.

ولئن كان هذا النوع من أنواع التمرّد ظاهرة غريبة عند أصحاب الفِطَر السليمة، إلا أننا في العصر الحديث أصبحنا نعايشه واقعًا ملموسًا، وأصبح في كثير من الأحايين من الأشياء المعتادة وشبه الطبيعية، خصوصًا في المناطق الأكثر ثراءً والمادية.

وقد بلغ من اهتمام القرآن بهذه الظاهرة، أنه أرشد إلى أساليب لاحتوائها، ما لم يذكره في احتواء غيرها من الظواهر كما سنعرف في مبحث العلاج إن شاء الله، عسى أن يكون قريبًا.

....

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢/ ٦٥٣).

المبحث الثاني

أسباب التمرّد

المطلب الأول: الكِبر:

يُعَدّ الكِبْر من أهم أسباب التمرّد؛ لأن المتكبّر يرى أنه فوق من يأمره أو أنه فوق الأمر الذي يؤمَر به؛ ولهذا يتمرّد عليه، ويُعرف الكِبْر في اللغة بأنه: العظمة[1]، وفي اصطلاح الشرع عرّفه النبي ﷺ بقوله: «**بطر الحقّ، وغمط النّاس**»[2].

وقد أخبرنا الله في كتابه أن كثيرًا من الذي رفضوا أوامره وتمرّدوا عليها كان الدافع لهم الكِبْر، فإبليس مثلًا وهو رمز أهل التمرّد وقدوتهم الأولى، ذكر الله سبب تمرّده وامتناعه عن السجود، فقال: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ أي أن كِبْره دفعه إلى الامتناع عن السجود لآدم، وفي سورة «ص» قال الله عنه: ﴿أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥]. والمعنى: (أاستكبرت بنفسك حتى أبَيْت السجود أم كنت من القوم الذين يتكبرّون فتكبّرت عن السجود لكونك منهم؟)[3] والصفة الأولى والثانية مردّها الكِبْر، والعياذ بالله.

ونفس هذا السبب هو الذي دفع فرعون لأن يتمرّد على موسى، وما جاء به من آيات الله، فقد أخبر الله عنه أن أوّل أمره في تمرّده على آيات الله، أنه كان يرى أنه أفضل من موسى، فكان يقول: ﴿ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٌ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [الزخرف: ٥٢]. وعندما ضعفت حجته أمام معجزات موسى صرخ

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ١٥٤) والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤/ ١٤٠).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٦٥)، كتاب: الإيمان. باب: تحريم الكبر وبيانه. حديث رقم: ٢٧٥.

(٣) معالم التنزيل للبغوي (٧/ ١٠٢).

في قومه، قائلًا: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] وفي سورة النازعات: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، ثم لما كثر أتباع موسى تجده يقول: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، وكل هذه الألفاظ مُشعِرة بداءِ الكبر الذي كان قد تأصّل في فرعون وقومه، كما قال الله: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [القصص: ٣٩]؛ ولهذا لم يتخلَّ فرعون عن كبره حتى حين أدركه الغرق، فقد قال: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ولم يقل كما قال السحرة: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [الشعراء: ٤٧، ٤٨]؛ لأن فرعون كان يستحقر موسى غاية الاستحقار؛ فلهذا عدل عن اسمه إلى اسم بني إسرائيل فقال: آمنت بالذي آمنت به بنو إسرائيل، ولم يقُل آمنت برب موسى. والله أعلم.

ومثل هذا إذا نظرنا في حال سائر الأنبياء مع أقوامهم، فقد كان الكِبْر هو السبب الأول في تمرّد أقوامهم عليهم، فكثيرًا ما نسمع في القرآن قوله تعالى مخبرًا عنهم ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ [الأعراف: ٧٥، ٨٨] وغيرها، وهو كلام واضح الدلالة على أن الباعث على تكذيب الرسل هو الكبر.

من خلال هذه النصوص وغيرها، نجد أن الكبر هو أول الأسباب التي تدفع صاحبها إلى التمرّد بل هو أهم الأسباب، والله أعلم.

المطلب الثاني: الظلم:

ومن أسباب التمرّد أيضًا التي ذكرها القرآن الكريم (الظلم)، والذي يعني وضع الشيء في غير محله تعدّيًا[1]. فالمأمور إذا وجد من الآمر ظلمًا حمله ذلك على أن يتمرّد على أمره؛ ولهذا أمر الله بالعدل على كافة

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٤٦٨).

المستويات، حتى مع من يكون بيننا وبينهم شيء من البغض أو الاختلاف في الرأي قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

ومما جاء في القرآن بخصوص التمرّد بسبب الظلم، تمرّد الزوجة على زوجها، فإن غالب تمرّد الزوجات على أزواجهن يأتي بسبب ظلمهم لهنّ، ومن هنا جاء الأمر للأزواج بمعاشرة المرأة بالمعروف -إن كانت واحدة- قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩] فإن كان تحت الرجل أكثر من امرأة كان العدل لازم بينهنّ؛ لأن عدم العدل بينهن يؤدي إلى تمرّد بعضهن على طاعة الزوج، فالله عندما أباح التعدّد للرجل ألزمه بالعدل بين الزوجات، فإن خَشِي عدم العدل، فقد أمره الله بعدم التعدّد، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾ [النساء: ٣].

ولا شك أن انتشار الظلم سبب رئيس من أسباب التمرّد، وهذه سنة كونيّة لا تتبدّل، ولو ألقينا نظرة عامة على الحياة المعاصرة، لوجدنا أمامنا عشرات البراهين والأدلة على اطراد هذه السنة في الكون.

المطلب الثالث: الجهل والخوف واتباع الهوى:

ومن الأسباب التي تحمل صاحبها على التمرّد: الجهل والخوف واتباع الهوى، فإنّ الجاهل قد يتمرّد على أمر ما لاعتقاده أنه يسلبه حريته، أو يحرمه حقّه، وهو في الحقيقة خلاف ذلك، ويصدق على هذا أغلب المعاصي التي يرتكبها العصاة. فالزاني مثلًا حين يتمرّد عن نهي الله باقتراف الزنا، تجد الباعث له على ذلك شيئين اثنين:

أولهما: اعتقاده أن هذا النهي يحرمه حريته الشخصية في تعاطي هذه المعصية! هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن جهله بعواقب هذه الجريمة يحمله عليها كذلك. ولو أن المتمرّد استحضر عواقب تمرّده لكان ذلك رادعًا له.

ثانيهما: اتباع الهوى والاستجابة لنزواتها خصوصًا وأن الله قد أخبرنا في كتابه أن النفس أمّارة بالسوء.

وعندما نتأمّل في آيات القرآن، ننظر كيف قصّ الله علينا أقوامًا تمرّدوا على ما أمروا استجابة لجهلهم واتباع نزوات نفوسهم، ففي سورة البقرة، يقول الله تعالى في سياق قصة طالوت ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، فهؤلاء القوم نهاهم الله عن الارتواء من شرب الماء، أما من اغترف غَرفة بيده فذاك ما أبيح لهم! لكن هل امتثل قوم طالوت هذا النهي؟! وإذا كان الجواب: لا! فما السبب الذي حملهم على التمرّد على هذا النهي وإتيان ما نهوا عنه؟!

إنّ سياق الآية يخبرنا أن أكثر القوم قد تمرّدوا عن هذا النهي، تجد هذا واضحًا في قوله تعالى: ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾، فقد ورد في السُّنة ما يدلُّ على أن القليل الذين امتثلوا الأمر بضعة عشر وثلاثمائة فقط، وأما البقية فتمرّدوا! فعن البراء رضي الله عنه قال: حدّثني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ممن شهد بدرًا: أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر بضعة عشر وثلاثمائة[1].

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٤٥٧)، كتاب: المغازي، باب: عدة أصحاب بدر. حديث رقم: ٣٧٤٠.

ولا شكّ أن السبب الذي قادهم إلى هذا التمرّد هو جهلهم بالحكمة التي من أجلها مُنعوا من الشرب، وخوفهم من الهلاك عطشًا، وفي المقابل اتباعهم لنفوسهم التي أمْلَت عليهم أنهم عطشى، وأنّ من حقهم أن يشربوا حتى يرتووا. ومثل هذا تجده في قصة موسى مع قومه حين أمرهم أن يدخلوا الأرض المقدسة فتمرّدوا وقالوا: ﴿لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، وواضح أن سبب هذا التمرّد هو الخوف والجهل بدليل قولهم: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢٢].

من خلال هذا الاستعراض الموجز تعلم أن الجهل والخوف واتباع الهوى من أهم أسباب التمرّد.

المطلب الرابع: الترف:

ومن أقوى أسباب التمرّد وفرة المال وكثرة العيال، وهذه حقيقة أكدها الله في قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ . أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦]، فحين يفيض المال بين يديْ العبد، تراه يتمرّد على أوامر الله، وقد قصّ الله علينا في كتابه كثيرًا من الأقوام كان السبب في تمرّدهم هو ما حباهم الله به من وفرة المال! فأهل الترف في كل زمان ومكان هم أهل التمرّد على الرسل والدعاة، إلا ما رحم ربي.

ففي سورة المؤمنون يذكر الله تعالى: أن أول من تمرّد على الرسل ووقف يجادلهم ويحاججهم هم أهل المال والترف، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ [المؤمنون: ٣٣]، وسبب تمرّد أهل الترف على الأنبياء والدعاة هو اعتقادهم أنّ ثراءهم دليل

محبة الله لهم، والدليل قولهم حين يتوعّدهم رسلهم بالعذاب: ﴿ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [سبأ: ٣٥]؛ ولهذا رد الله عليهم بقوله: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٧].

ومن هنا تعلم سر تعاقب أهل الترف على التمرّد على الرسل، فما من نبي إلا وكان أهل الترف في مقدمة المتمردين عليه، ومصداق هذا من كتاب الله قوله جلّ في علاه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [سبأ: ٣٤]، وأما قارون فقد كان مضرب المثل في تمرّد أهل الثراء، قال تعالى: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ [القصص: ٧٦] ذكروا من أنواع بغيه: الكفر والكبر[1]، وكفى بهما تمرّدًا.

....

(١) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٢٣).

المبحث الثالث

علاج ظاهرة التمرّد في القرآن

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أساليب علاج ظاهرة التمرّد:

أولًا: الحوار:

الحوار مبدأ من المبادئ التي جاء بها الإسلام عمومًا، وركّز عليها القرآن خصوصًا؛ وذلك لأن من الناس من يتمرّد على أمر الإسلام لا عن رفض تام، بل قد يكون لشبهة ونحوها، ومنهم من يتمرّدون عن أوامر الشريعة ترفّعًا واستعلاءً، وطيشًا واستكبارًا، ولكلا الصنفين فُتح باب الحوار!

فأما الصنف الأول فلبيان ما اشتبه عليه، وأما الصنف الثاني فلكي يرجع من غفل منهم إلى صوابه، ولتقام الحجة على من ركب هواه، وبهذا يكون الإسلام قد اتسم بالواقعية وساير الفطرة، سواء في أحكامه أو في نظامه.

ومما يجب أن يستقر في الأذهان أن الإسلام لم يقرر مبدأ الحوار عن ضعف، كلا. ولكنّه قرّره ليكون علاجًا لكثير من الأمراض التي تصيب الإنسان خاصة؛ لأنه أكثر لجاجة وعجاجة، وأكثر لكاعة وجدالًا، كما قال الله: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٤].

ومبدأ الحوار هذا تجده في كل قصة من قصص التمرّد التي قصّها الله علينا ابتداءً بإبليس، فحين تمرّد على السجود لآدم فتح الله معه الحوار، فقال: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢]،

وهـو حـوار ذكره الله جلّ في عـلاه في أكثر من موضع في القـرآن الكريم[1]، ويا سبحان الله، مَن أعتى من إبليس؟ ومع ذلك فقد فتح الله معه الحوار ليكون مَن دونه في التمرّد أولى بالحوار.

ومبدأ الحوار أيضًا تجده في قصة تمرّد قوم طالوت عليه، فقد قال بعض المؤمنين على سبيل الإرشاد والتذكير: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وفي قصة نوح مع ابنه تجد مبدأ الحوار حاضرًا في القصة، وقد تقدّم ذكر الآية مما يغني عن إعادتها هنا، فنوح يقول: ﴿ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ وابنه يقول: ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ ..﴾.

ومبدأ الحوار أيضًا تجده في قصة موسى مع فرعون وقومه، وهذا لا يكاد يُحصى كثرة، فقصة موسى هي أكثر قصص القرآن تكررًا، ولنأخذ على سبيل المثال ما جاء في سورة الشعراء، فعندما تمرّد فرعون على آيات الله فتح معه موسى الحوار وما أعذبه من حوار، قال الله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦-٢٩]، ولمّا انقطعت حجة فرعون راح يتهدد ويتوعد -كما هو حال كثير من فقراء الحجة في هذا الزمان- فقال: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]. وهكذا باقي قصص القرآن تجد الحوار فيها واضحًا جليًّا.

إن كثيرًا من المربّين يخطئون في تربية الأبناء والأجيال بانتهاجهم أسلوب الضرب والطرد منذ الوهلة الأولى، بل ربما ضرب الابن أو طرد التلميذ وهو لا

(١) ينظر على سبيل المثال: سورة الحجر: ابتداءً من الآية: ٣٢، وسورة الإسراء: ابتداءً من الآية: ٦١، وسورة ص: ابتداءً من الآية: ٧٤.

يدري ما جريمته. إن الضرب والطرد هما الأسلوبان الأخيران اللذان يلجأ إليهما المربي، وهذا ما يستفاد من قصة إبليس مع ربه، فالله لم يطرد إبليس إلا بعد بيان الحجة عليه من خلال الحوار المنطقي والواقعي الذي ليس وراءه حجة.

ثانيًا: الترغيب:

يُعدّ الترغيب من أكثر أساليب التربية في القرآن الكريم، وهو يعني وعد النفس بما تهواه وترغب فيه، وإنما أكثر الله -جل في علاه- من هذا الأسلوب في كتابه لأن النفس مفطورة على حب ما تهواه، والوصول إلى ما ترغب إليه، ومن هذا الباب ما أفاضه الله ﷻ من ذكر آيات وصف نعيم الجنة، وما أعدّه فيها من الحور العين.

فالمتمرّد باقتراف جريمة الزنا مثلًا، إذا علم أن اقترافه لهذه المعصية سيحرمه من الحور العين، فإن ذلك يكون رادعًا له من اقتراف هذا الرذيلة، ولكنك إذا تأملت لوجدت أن الردع هنا لم يكن نتيجة للنهي القسري، ولكنه نابع من رغبة داخليّة، وهو ما رغّبه فيه ربه من الحور العين.

وبالتأمّل في القَصص القرآني تجد أن كثيرًا من الحوارات التي كانت بين الأنبياء وبين من تمرّد من أقوامهم مشتملة على هذا الأسلوب، أسلوب الترغيب.

ففي قصه هود مع قومه تجده قد استعمل هذا الأسلوب، فكان يقول لقومه: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نوح: ١٠-١٢].

فَغَيرُ خافٍ على المتدبر أن هذه الآيات قد جاءت متزيّنة بأسلوب الترغيب؛ لأن إرسال السماء بالمطر على وجه الاستمرار، والإمداد بالأموال والبنين، وزيادة على ذلك إخراج نبات الأرض وبركاتها وزروعها وثمارها، ثم

تأمين ذلك بجريان الأنهار حولها حتى لا تذبل ولا تبيد، كل هذه أشياء ترغب النفس في تحصيلها؛ ولهذا رغبهم نوح بها! لكن تمرّد قومه كان أصلب عودًا وأقوى شكيمة إلا ما رحم ربي، وبنفس هذه الأسلوب خاطب هود قومه، فقال: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٥١ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴾ [هود: ٥١، ٥٢]، فإرسال السماء بالمطر، وزيادة القوة في الجسم والبدن، وغيرها من النعم التي وعدوا بها أشياء مرغوب فيها، وهي تبعث على الانقياد وترك التمرّد عن إجابة داعي الله.

ثالثًا: الترهيب:

الترهيب مقابل الترغيب، فإذا كان الترغيب يعني وعد النفس بما ترغب فيه، فالترهيب يعني وعد النفس وتخويفها بما ترهبه وتخاف منه وتنفر من سماعه.

وهذا الأسلوب قرين الترغيب، فغالبًا لا يذكر الترغيب إلا ويعقبه الترهيب والعكس بالعكس، فهما أسلوبان متعاقبان.

ومثلما رغّب الله المتمرّدين في ترك تمرّدهم بجنّته، رهّبهم كذلك بناره، وكم من متمرّد لا يرتدع عن تمرّده إلا بعرضه على قوارع الترهيب وزواجر التخويف، وإنا لنجد أمامنا النصوص المتكاثرة من القرآن التي اشتملت على هذا الأسلوب، فكل آية فيها ذكر للوعيد لمن قارف المعاصي والسيئات هي مما يصح التمثيل به هنا.

ولنبدأ بجريمة الربا -مثلًا- فإن الله عندما نهى المؤمنين عنها أعقبها بالترهيب لمن تمرّد على هذا النهي، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٧٨]، هذا هو الأمر، ولكن

ما مصير من تمرد عليه، وأبى إلا أن يتعامل بالمعاملات الربوية؟ وهل هو متوعد بما هو مرهوب؟ قال الله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٩]. قال بعض أهل التفسير: (وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، لمن استمر في تعاطي الربا بعد الإنذار)[١]. قلت: ومعنى (استمر على تعاطي الربا) أي: تمرّد عن النهي وأبى إلا أن يتعاطى بهذا الوسيلة.

وفي سورة المائدة نطالع مثالًا آخر، فعندما نهى الله عباده المؤمنين عن الصيد وهم في حالة الإحرام بالحج والعمرة، رهّب من تمرّد على هذا النهي وتوعّده بالانتقام، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [المائدة: ٩٥].

والتهديد لمن تمرّد على النهي وأبى إلا قتل الصيد واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، وعلى هذا يكون معنى الآية: (أي ومن عاد إلى قتل الصيد وهو محرّم بعد هذا النهي، فإن اللّه ينتقم منه في الآخرة لإصراره على المخالفة والذنب)[٢]، ولا شك أن الإصرار صورة من صور التمرّد.

ومما يمكن التمثيل به هنا أيضًا، ما جاء في سورة المائدة في سياق قصة عيسى مع قومه حين طلبوا منه أن ينزِل الله عليهم مائدة من السماء، فاستجاب الله لهم ذلك لكنه رهبهم من عاقبة تمردهم بعد نزول الآية، قال تعالى:

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٧١٦).

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي (٧/ ٥٦).

﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]، والمعنى: (إني منزّلها عليكم، أيها الحواريون، فمطعمكموها. «فمن يكفر بعد منكم» فمن يجحد بعد إنزالها عليكم رسالتي إليه، وينكر نبوة نبيِّي عيسى ﷺ، ويخالفْ طاعتي فيما أمرته ونهيته «فإني أعذبه عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين»، من عالِمي زمانه. ففعل القوم، فجحدوا وكفروا بعدما أُنزلت عليهم، فيما ذكر لنا، فعُذّبوا، فيما بلغنا، بأن مُسِخوا قردة وخنازير)[2].

من خلال هذه الآيات يتبيّن لنا أن الترهيب أحد الأساليب التي اتخذها القرآن في علاج ظاهرة التمرّد، والله أعلم.

رابعًا: اللّين:

ومن الأساليب الناجعة في علاج التمرّد، اللين في دعوة المتمرّد، والأخذ بيده على منهج التلطّف لما في ذلك من استمالة قلب المتمرد على الرجوع إلى الجادة، وتجد هذا الأسلوب واضحًا في قصة موسى مع فرعون، فإن الله حين أمر موسى وأخاه هارون بدعوة فرعون، أرشدهم إلى المنهج الأمثل للتعامل مع فرعون، فقال: ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤]، وإنما أرشدهم لهذا المنهج؛ لأن (من عادة الجبابرة إذا غلظ لهم في الوعظ ازدادوا عتوًّا وتكبرًا، والمقصود من البعثة حصول النفع لا حصول زيادة الضرر، فلهذا أمر الله تعالى بالرفق)[3]. وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير القول الليّن: (أي: سهلًا لطيفًا، برفقٍ، ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف، ولا غلظة في المقال، أو فظاظة في الأفعال، ﴿ لَّعَلَّهُۥ ﴾ بسبب القول

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٥.

(٢) جامع البيان للطبري (١١/ ٢٣٢).

(٣) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٢/ ٥١).

اللين ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ ما ينفعه فيأتيه، ﴿يَخْشَىٰ﴾ ما يضرّه فيتركه، فإن القول الليّن داعٍ لذلك، والقول الغليظ منفّر عن صاحبه)[1].

۞ المطلب الثاني: إنزال العقوبات:

➢ أولًا: عقوبة تمرّد العبد على خالقه:

إن من حكمة الباري -جلّ في علاه- ألا يُترك المتمرّد من غير أن ينال جزاءه من العقوبة، فالعقوبة من أنفع الوسائل في علاج كثير من الظواهر السيئة، كظاهرة التمرّد.

والله سبحانه قد أودع في كتابة كثيرًا من العقوبات الرادعة، فما من متمرّد عن حكم من الأحكام أو أمر من الأوامر أو نهي من النواهي إلا وله في الشريعة الإسلامية عقوبة معيّنة.

وقد عاقب الله -تعالى- أول المتمردين عن أوامره بأن طرده من رحمته، وحلّ عليه اللعنة إلى يوم الدين، وما أعظمها من عقوبة! قال تعالى: ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٤، ٣٥].

وللمتمرّد على النهي عن قتل المسلم عقوبة القتل قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٨].

ومن تمرّد على نهيه -سبحانه- عن السرقة جعل الله له عقوبة قطع اليد، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

وللمتمرّد على النهي عن جريمة الزنا عقوبة الجلد، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٢].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٠٦).

وهكـذا لا تجد عبدًا متمرّدًا عـن أمر أو نهي إلا وله عقوبته في كتاب الله، إن لـم تكـن في الدنيا ففي الآخـرة، وبهذا يكون القرآن قد قضـى على كثير من أشكال التمرّد في مهدها، وتلك من مظاهر الإعجاز التشريعي.

ثانيًا: عقوبة تمرّد الزوجة على زوجها:

وأمـا عقوبة تمـرّد الزوجة علـى زوجها، فقـد حدّدها الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في سـورة النسـاء، حيث أرشـد الأزواج إلى تدابير معينة قبـل البدء بالعقاب، كالوعظ أولًا وهذا الأسـلوب ينفع مع الزوجة التي كان سـبب تمرّدها شـبهة أو غفلـة ونحوهـا، وتلـك يكفي معهـا الوعـظ والنصـح دون أن نحتاج إلى العقوبـة، فإن لم ينفع الوعظ تـأتي أول خطوة من خطوات الردع وهي الهجر في المضجع، فإن تنتهي المرأة عن تمرّدها، فقد جعل الله لها عقوبة أكثر قسوة من الأولى وهي الضرب، فإن لم تنفع هاتان العقوبتان تأتي العقوبة الحاسمة وهـي عقوبـة الطـلاق، قـال الله تعالـى: ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴾ [النساء: ٣٤].

وقد يعترض بعض الشانئين عن الإسلام، فيقول: كيف يبيح الإسلام أن يضرب المرأة؟ أليس هذا من امتهان المرأة والقسوة عليها؟

والجواب: إن الذي خلق المرأة هو الذي شرع لها هذه العقوبة، وهو أعلم بهـا منكـم، فهـو القائـل: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤]، وليس شـرطًا أن يكون القصد بالضرب الإهانة! بـل إن من مقاصد الضرب التقويم، وعلاج الاعوجاج، وأما كونه فيه قسوة، فليس الأمر كذلك؛ فقد بيّن النبي ﷺ

كيفية الضرب وأنه ضرب غير مبرح[1]، كما بيّن ابن عباس أنه يكون بالسواك ونحوه[2]، ثم إن (الضرب ليس إهانة للمرأة -كما يظنّون- وإنما هو طريق من طرق العلاج، ينفع في بعض الحالات مع بعض النفوس الشاذة المتمرّدة، التي لا تفهم الحسنى، ولا ينفع معها الجميل) [3].

➢ ثالثًا: عقوبة تمرّد الابن على أبيه:

وأما عقوبة تمرد الابن على أبيه، فقد ذكرها الله في موضعين من كتابه: فأما الموضع الأول: ففي سياق قصة نوح عليه السلام وأما الموضع الثاني ففي سورة الأحقاف.

والعقوبة التي ذكرها الله في قصة نوح هي الهلاك الذي حاق بابن نوح عليه السلام قال الله تعالى: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

وأما موضع سورة الأحقاف، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأحقاف: ١٧]. وموضع الشاهد هو قوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾، والقول الذي حقّ عليهم هو العذاب والعقوبة، قال الطبري: (هؤلاء الذين هذه الصفة صفتهم، الذين وجب عليهم عذاب الله، وحلّت بهم عقوبته وسخطه، فيمن حلّ به عذاب الله على مثل الذي حل بهؤلاء من الأمم الذين مضوا قبلهم من الجن والإنس، الذين كذبوا رسل الله، وعتوا عن أمر ربهم)[4].

(١) ينظر: صحيح مسلم (٤/ ٣٩)، كتاب: الحج، باب: حجة النبي ﷺ. حديث رقم: ٣٠٠٩.
(٢) ينظر: جامع البيان لابن جرير (٨/ ٣١٤).
(٣) ينظر: روائع البيان للصابوني (٣/ ٣٦).
(٤) جامع البيان لابن جرير (٢٢/ ١١٩).

فعقوبة تمرّد الابن على أبيه إذن هي الهلاك في الدنيا والآخرة، وقد أكد هذا المفهوم محمد ﷺ بقوله: «**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم**»[1]، وأولى الرحم بالصلة هما الوالدان.

◄ رابعًا: عقوبة تمرّد الجماعة على الأمير:

وعقوبة تمرّد الجماعة على الأمير أمر معلوم في كتاب الله، وهي وقوع المصيبة على الجماعة، فكل من قصّ الله علينا خبرهم من المتمرّدين على أمرائهم كانت المصيبة هي العقوبة التي وقعت عليهم.

فبنو إسرائيل حلّت عليهم أنواع المصائب بسبب تمرّدهم على أنبيائهم، فحين تمرّدوا على تنفيذ أمر ذبح البقرة، عوقبوا بالتشديد عليهم في صفتها، فما وجدوها إلا بشق الأنفس، وباهض الأثمان.

وتمرّدوا على دخول الأرض المقدسة، فعوقبوا بمصيبة التيه في الأرض، كما قال الله: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٦].

وفي عهد النبي ﷺ وفي غزوة أحد تحديدًا نطالع مشهدًا آخر من مشاهد وقوع المصيبة على الجماعة التي تخالف أمر قائدها، ففي سورة آل عمران، يقول الله تعالى: في وصف حال المؤمنين بعد وقوع المصيبة: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[آل عمران: ١٦٥].

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٤٢٧)، كتاب: الأدب، باب: في النهي عن البغي. حديث رقم: ٤٩٠٤. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٤٩٢)، حديث رقم: ٩١٨.

ومعنى ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾، (أي: بسبب عصيانكم رَسُول الله ﷺ حين أمركم ألا تبرحوا من مكانكم فعصيتم، يعني بذلك الرماة)[1].

وفي هذا درس بليغ للمسلمين ألّا يتمرّدوا على طاعة الأمراء إذا ما أُمروا بمعروف ولم يأمروا بمنكر، بل إن فيه درسًا لكل مجموعة من الأفراد يؤمّرون عليهم أحدهم ألا يخالفوا أمره، خصوصًا إذا كان الأمر صادرًا عن مشورة ومراجعة أفراد الجماعة، فإن التمرّد على أمر مثل هذا يوقع المصيبة على المجموعة بأكملها، وفي عصرنا الحاضر مثال واضح على هذا، فحين تمرّدت بعض المجموعات على ولاة أمرها، حلّت المصيبة على البلاد بأسرها، فزال الأمن، وضاق على الناس معاشهم، وحل الاضطراب والقلق، والله المستعان، ولا تزال كثير من هذه البلدان تعاني من تبعات مثل هذا السلوك المشين.

إذا عرفت هذا، فاعلم أن التمرّد على الأمير على نوعين: ممدوح، ومذموم.

أما الممدوح فحين يأمر الأمير بأمر فيه مخالفة لأمر الله، فمثل هذا الأمر جدير أن يُتمرّد عليه[2]، لا سيما وأن النبي ﷺ قد قال: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»[3]، وقال أيضًا: «**إنما الطاعة في المعروف**»[4]، وسبب ورود الحديث أن النبي ﷺ بعث سرية وأمّر عليهم رجلًا من الأنصار، وأمرهم

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ١٥٩).

(٢) مع التنبيه إلى ما أرشد إليه النبي -عليه الصلاة والسلام- من الصبر على ولاة الأمر -الولاية الكبرى- ما لم يرَ المسلم كُفرًا بواحًا.

(٣) رواه أحمد في المسند (٣٤/ ٢٥١). حديث رقم: ٢٠٦٥٣. والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ١٧٧)، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٢٦)، والألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ١٧٨)، حديث رقم: ١٧٩.

(٤) صحيح البخاري (٦/ ٢٦١٢)، كتاب: الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية. حديث رقم: ٦٧٢٦. وصحيح مسلم (٦/ ١٥)، كتاب: الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية. حديث رقم: ٤٨٧١.

أن يطيعوه فغضب عليهم، وقال أليس أمر النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى قال قد عزمت عليكم لما جمعتم حطبًا وأوقدتم نارًا ثم دخلتم فيها، فجمعوا حطبًا فأوقدوا، فلما همّوا بالدخول فقام ينظر بعضهم إلى بعض، قال بعضهم: إنما تبعنا النبي ﷺ فرارًا من النار أفندخلها؟! فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه فذكر للنبي ﷺ فقال: «**لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا إنما الطاعة في المعروف**»، الحديث.

وأما المذموم، فحين يأمر الأمير بالمعروف -وخاصة في الولاية العظمى والخلافة- فمخالفة هذا الأمر يوقع صاحبه في الإثم والعياذ بالله، فقد قال النبي ﷺ: «**اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل حبشي كأن رأسه زبيبة**»[(١)]، وقال أيضًا: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني**»[(٢)]، فحريٌّ بالمسلم أن يسمع ويُطيع فيما يؤمر به من غير معصية.

هذا ما تيسّر لي كتابته في هذا الموضوع، ولا شك أن هذا الموضوع أكبر من يكون في وريقات، ولكني حاولت جهدي أن أكتب عصارته في غاية الاختصار مع الوفاء بالمقصود، والله أسأل أن أكون قد وفّقت إلى ذلك، وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

....

(١) صحيح البخاري (١/ ٢٤٦)، كتاب: الجماعة والإمامة، باب: إمامة العبد والمولى. حديث رقم: ٦٦١.
(٢) صحيح مسلم (٣/ ١٤٦٦)، كتاب: الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية. حديث رقم: ١٨٣٥.

الخاتمة

وبعـد أن ألقيت عصا هذا البحث بعد أن ضربت بها هناك، خلصت إلى النتائج الآتية:

١- إنّ القرآن قد اهتم بهذه الظاهرة كثيرًا ووضع لها العلاج النافع.

٢- إنّ ظاهرة التمرّد ليست ظاهرة وليدة اليوم بل هي قديمة قِدم الخليقة.

٣- إنّ كثيرًا من المربّين يقعون في الأخطاء التربوية لعلاج هذه الظاهرة، وذلك لعدم انتهاجهم المنهج القرآني في التعامل مع هذه الظاهرة.

٤- إنّ من أسباب انتشار ظاهرة التمرّد في هذا الزمان، البعد عن القرآن وعدم تدبّره، إذ لو قرئ القرآن لأخذت منه العبرة، مما يعني البعد عن هذه الظاهرة.

٥- إنّ خطر هذه الظاهرة لا يقتصر على المتمرّدين بل يعمّ المجتمعات والجماعات بأكملها وهذا يستدعي تكاتف الجميع على محاربة هذه الظاهرة، والله أعلم.

التوصيات:

إن أهمية موضوع التمرّد في القرآن الكريم لا تُخفى؛ لذا أوصي الباحثين وطلبة العلم أن ينبري أحدهم لهذا الموضوع في رسالة علميّة، ويعطيه مزيدًا من التأصيل والتحرير حتى تعمّ الفائدة.

مجلة تدبر

المصادر والمراجع

١. «إنبـاه الرواة على أنباه النحاة» لجمال الدين أبي الحسـن علي بن يوسـف القفطي. تحقيـق: محمـد أبو الفضل إبراهيـم. ط١: دار الفكـر العربي- القاهرة، ومؤسسـة الكتب الثقافية- بيروت: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٢م.

٢. «البحر المحيط» لمحمد بن يوسـف الشـهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل. ط: دار الفكر، بيروت: ١٤٢٠هـ.

٣. «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» للشوكاني. دار المعرفة- بيروت. (د. ت).

٤. «التحرير والتنوير» لمحمد الطاهر بن محمد. ط: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٥. «التعريفات» لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١: دار الكتاب العربي- بيروت: ١٤٠٥هـ.

٦. «تفسـير القرآن العظيم» لابن كثير، إسـماعيل بن عمر بن كثير القرشـي الدمشـقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط٢: دار طيبة للنشر والتوزيع: ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٧. «التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج» للزحيلي، ط٢: دار الفكر المعاصر- دمشق: ١٤١٨هـ.

٨. «تفسـير مقاتل بن سـليمان». تحقيق: أحمد فريد، ط١: دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٩. «تيسـير الكريم الرحمن» لعبد الرحمن بن ناصر السعدي. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ط: مؤسسة الرسالة. (د. ت).

١٠. «جامـع البيـان في تأويل آي القـرآن»، لأبي جعفر محمد بن جريـر الطبري. تحقيق: مكتب التحقيق بدار هجر. ط١: دار هجر. (د. ت).

١١ . «الجامع لأحكام القرآن» لمحمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: سمير البخاري. ط: دار عالم الكتب، الرياض. ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م.(د.ط).

١٢ . «دائرة معارف الأسرة المسلمة» لعلي بن نايف الشحود. (د.ن).

١٣ . «الدر المنثور» لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. تحقيق: مركز هجر للبحوث ط: دار هجر(د.ط)

١٤ . «دستور العلماء» لعبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري. ط: دار الكتب العلمية- بيروت. (د. ت)، (د.ط).

١٥ . «روائع البيان» لمحمد بن علي الصابوني. ط٣: مؤسسة مناهل العرفان- بيروت. ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

١٦ . «السلسلة الصحيحة» لمحمد ناصر الدين الألباني. ط: مكتبة المعارف- الرياض. (د. ت).

١٧ . «سنن أبي داود» لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني. ط: دار الكتاب العربي ـ بيروت. (د.ط)، (د. ت).

١٨ . «الصحاح في اللغة» لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي. (د.ن).

١٩ . «صحيح البخاري» لمحمد بن إسماعيل البخاري. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا. ط٣: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت. ١٤٠٧ - ١٩٨٧م.

٢٠ . «صحيح مسلم» لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط: دار إحياء التراث العربي- بيروت. (د.ط).

٢١ . «طبقات المفسّرين» لأحمد بن محمد الأدرنوي. تحقيق: سليمان بن صالح الخزي ط١: مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة: ١٩٩٧م.

٢٢ . «طبقات المفسّرين» لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. تحقيق: علي محمد عمر. ط١: مكتبة وهبة - القاهرة: ١٣٩٦هـ.

٢٣. «فتـح القديـر» لمحمد بن علـي الشـوكاني. ط١: دار ابن كثيـر، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت: ١٤١٤هـ. (د.ت).

٢٤. «في ظلال القرآن» لسيد قطب. ط: دار الشروق - القاهرة. (د.ط)، (د.ت).

٢٥. «لسـان العرب» لمحمد بـن مكرم بن منظور الأفريقي المصـري، ط١: دار صادر- بيروت.(د.ت).

٢٦. «المبدع في شـرح المقنع» لإبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، ط١: دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م. (د.ت).

٢٧. «مجموع الفتاوى» لشـيخ الإسلام لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيميـة الحراني، تحقيـق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسـم. ط: مجمـع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية: ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٢٨. «مختار الصحاح» محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر. ط: مكتبة لبنان ناشرون: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢٩. «معالم التنزيل» لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي. تحقيق: مجموعة محقّقين. ط٤: دار طيبة للنشر والتوزيع. ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣٠. «معالم السـنن» لأبي سـليمان أحمد بن محمد الخطابـي. ط١: المطبعة العلمية- حلب. ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م. (د.ت).

٣١. «المعجـم الوسـيط» لمجموعـة مؤلّفيـن. تحقيق: مجمـع اللغة العربيـة. ط: دار الدعوة. (د.ن).

٣٢. «معجم مقاييس اللغة» لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط: دار الفكر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٣. «المغني» لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسـي، ط: مكتبة القاهرة: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م. (د.ت).

٣٤. «**المنـار**» لمحمد رشـيد رضـا. ط: الهيئـة المصرية العامة للكتاب. سـنة النشـر: ١٩٩٠م (د.ت).

٣٥. «**نـوادر الأصـول**» لمحمد بن علي بن الحسـن بن بشـر الحكيم الترمـذي. ط: دار الجيل- بيروت. ١٩٩٢م. (د. ت).

٣٦. «**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**»، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان. تحقيق: إحسان عباس، ط: دار صادر- بيروت. (د.ن).

فهرس الموضوعات

مجلة تدبر



ثانيًا: مُسْتَخْلَصَاتُ الرَّسَائِلِ والمَشَارِيعِ العِلْمِيَّة

مجلة تدبر

مجلة تدبر



تقرير عن
رسالة علمية بعنوان:
القبول في القرآن الكريم
دراسة موضوعية

إيمان بنت عبد اللطيف بن كامل الكردي

- **عنوان الرسالة**: القبول في القرآن الكريم دراسة موضوعية.
- **الباحث**: إيمان بنت عبد اللطيف بن كامل الكردي.
- **المشرف**: دكتورة نارمين بنت لطفي بن محمد حبيب.
- **الدرجة**: ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى.
- **الجهة المانحة للدرجة**: جامعة طيبة.
- **سنة الإجازة**: عام ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م.
- **الوصف المادي**: تقع في أربعة فصول، من (٤٥٦) صفحة.

مجلة تدبر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

القبول أمر جليل، ومطلب أساس، يسعى إلى تحقيقه كل الخلائق، والقبول موضوع متّسع باتساع الإسلام جميعه كيف لا؟ والإسلام عمل والقبول نتيجته، والإسلام زرع والقبول حصاده.

ومن هنا تأتي هذه الدراسة لتجمع عناصر القبول في بوتقة واحدة؛ ليسهل الوصول إليها والاستفادة منها.

❑ لمحة عامة عن الرسالة:

وهي عبارة عن دراسة تقدمت بها الباحثة لنيل درجة الماجستير في قسم الدراسات القرآنية، تخصص التفسير وعلوم القرآن.

والرسالة تسلط الضوء على عوامل القَبول -عند الله تعالى- بالوقوف على شروطه ومسلّماته وموجباته ومحبطاته وعلاماته، وتُبرز نخبة ممن منّ الله عليهم بالقبول وذكرهم في كتابه. وتوضّح بعضا من أساليب الترغيب فيه والحث عليه الواردة في القرآن الكريم، مع محاولة الكشف عن طرق الارتقاء في منازل القبول، ومعرفة آثاره على العبد، وآثار انتفائه في الدنيا والآخرة.

❑ مزايا الرسالة:

أنها كانت بمثابة جولة مباركة بين جَنى الكتاب الكريم، وخيره العميم، أظهرت بجلاء حقائق ونتائج هامة، وجمعت كل ما يتعلق بموضوع القبول في بوتقة واحدة، ربما تفرقت في الكتب، القديم منها والحديث، وجلّت جوانب ربما لم تكن جلية، وكشفت عن جوانب إيجابية قد يجهلها المرء، وقد تؤدي

معرفتها وتطبيقها إلى رضوان الله، والعكس بالعكس، فهناك عواملُ سلبيّة -قد يجهلها المرء، وقد لا يُعذر بجهلها- تكون سببًا في سخط الله وغضبه، نسأل الله السلامة.

ومن أهم المزايا: التعرف على موجبات وعلامات القبول؛ لتكون المنهج الذي يسعى المؤمن إلى تحقيقه في جميع أعماله.

❑ فصول البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يُقسّم إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة وفهارس، وذلك على النحو التالي:

المقدمة: وتضمّنت أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، و الدراسات السابقة، ومنهج البحث وخطته.

أما التمهيد فتجلّت فيه ثلاثة أمور:

الأول: مفهوم القبول في اللغة والاصطلاح.

الثاني: الألفاظ الدالة على القبول أو الترغيب فيه.

الثالث: الألفاظ الدالة على التهديد بعدم القبول أو تأخيره.

وتلا ذلك فصولٌ أربعة قسمت على النحو التالي:

الفصل الأول: وفيه خمسة مباحث:

مبحث تناول مسلّمات القبول، وفيه مطلبان: مطلب عن اختصاص الله تعالى بالقبول، وآخر عن أن الإيمان أصل في قبول العمل.

والمبحث الثاني احتوى على شروط القبول، وفيه مطلبان: مطلب عن الإخلاص في العمل، وآخر عن الاتباع وترك الابتداع.

أما المبحث الثالث فتناول موجبات القبول، واشتمل على ثمانية مطالب: تحدّثت عن أداء الفرائض والحرص عليها، وتحري الحلال، والخشوع والتذلل، ودوام الذكر، و التوبة وعدم الإصرار على المعاصي، وحسن الظن بالله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والرضا والشكر.

وفي المبحث الرابع تناولت الباحثة علامات القبول، وقد اشتمل على ثلاثة مطالب:

مطلب عن الخوف والخشية من الله، ومطلب في الازدياد من الطاعات والحرص عليها، ومطلب عن محبة الصالحين.

وفي المبحث الخامس: بيّنت محبطات القبول ومؤخراته في ثلاثة مطالب: مطلب عن المحبطات لجميع الأعمال، ومطلب عمّا يُحبط عملًا بعينه، أو محبط لثوابه، ومطلب ثالث في مؤخرات القبول.

أما الفصل الثاني فقسم إلى ثلاثة مباحث تناول فيها أسماء وسمات ومنازل المقبولين.

فتناول المبحث الأول: أسماء بعض المقبولين الواردة في القرآن من الأنبياء والرسل، وبعض الأولياء والصديقين، وبعض الصحابة.

أما المبحث الثاني: فتلمّس سمات المقبولين التي أبرزها القرآن سواء كانت سماتا كلية جامعة، أو سماتا فردية .

والمبحث الثالث: احتوى على منازل المقبولين، وفيه مطلبان:

مطلب عن القبول العام لأمة الإجابة، ومطلب عن قبول خاص لأفراد أو فئات.

❁ **والفصل الثالث** احتوى على أساليب القرآن في الحث على طلب القبول، واشتمل على ثمانية مباحث كل منها تناول أسلوبًا من الأساليب، وهي أسلوب الترغيب والترهيب، والأسلوب القصصي، وأسلوب ضرب المثل، والأسلوب الإنشائي، والأسلوب الوعظي، وأسلوب العرض والإغراء، و الأسلوب العقلي، و الأسلوب الوجداني.

❁ **أما الفصل الرابع:** فاحتوى على درجات القبول وآثاره، وتضمّن ثلاثة مباحث:

مبحث قسم إلى مطالب عن درجات القبول، وأنواعه وأسبابه، وسبل الارتقاء في درجات القبول،

ومبحث عن آثار القبول في الدنيا والآخرة، وآخر عن آثار عدم القبول في الدنيا والآخرة،

❁ **ثم الخاتمة**، واشتملت على النتائج و التوصيات.

➢ أبرز نتائج الرسالة:

١- أن القبول بيد الله وحده ولا موجب عليه، ولا مستحق من الخلق؛ بل هو محض تفضّل وتكرّم منه سبحانه.

٢- أن القبول درجات متفاوتة بحسب صلاح القلب، وأنه منوط بالإيمان وجودًا وعدمًا.

٣- القبول درجات، أدناها قبول النجاة من النار، وأعلاها قبول المحبة الخاصة.

٤- الفرق بين قبول العمل بذاته، وبين قبول العبد بذاته، وأن كثرة العمل المقبول يؤدي إلى ارتقاء العبد في درجات القبول رفعة وعلو منزلة.

٥- أن طاعات الموحدين مهما كان تفريطهم فهي مقبولة عند الله؛ وهو وعدٌ منه سبحانه إذا استوفت شرائط صحتها ولم يكن هناك ما يفسدها من السيئات.

٦- أن أدنى درجات القبول قد تستلزم تقديم المؤاخذة والعذاب، كما في حال الظالم لنفسه الموحّد، إن لم يعفُ الله عنه.

٧- عظم درجات القبول، وأنها متعددة ومتفاوتة بتفاوت درجات الجنة.

٨- أن العلاقة وطيدة بين درجات الجنة ودرجات القبول؛ فكلما ارتقى العبد في سُلَّم القبول ارتقى في درج الجنة.

٩- أن جميع ألفاظ الوعيد -من لعن ومقت وغضب وخلود في نار جهنم- الموجهة لعصاة هذه الملّة على اقترافهم الكبائر الموبقة، إنما تُحمل على تأخير القبول لاستيفاء العقاب وطول المُكث وشدة التقريع، وليس حبوط العمل بالكلية.

١٠- بيّن القرآن الكريم أسماء شامخة في سماء القبول للتأسي بهم واقتفاء أثرهم، وذكر أسماء لأقوام وأشخاص طُردوا ومُنعوا القبول للعبرة والعظة.

١١ - القبول متعلق بعدل الله تعالى الذي لا يغادر مثقال الذرة، ثم بفضله وكرمه، وبدرجة المحبة التي رقى إليها العبد في عين الله.

١٢- التفاضل بين الناس في الدنيا مبني على مقتضى حكمة الله تعالى وعدله وفضله ولا علاقة له بالقبول، أما التفاضل في الآخرة فمبنيّ على القبول وعلى ما وقر في القلوب، والعمل الصالح يزيد ذلك ويرفعه.

١٣- سؤال الله القبول ينبغي أن يكون ديدن العبد في جميع الأعمال التي يتوجه بها إلى الله.

١٤- القبـول أنواع أفصحت عنها النصوص القرآنية، وحثّت على طلب الدرجات العُلى والتنافس فيها، وابتغاء الوسيلة إليه سبحانه والقرب منه.

أبرز توصيات الباحث:

١- مع أن القبول متعلق بالمشيئة وقد تفرّد به الحق سبحانه، إلا أنه ﷻ جعـل له أسـبابًا ينبغي الأخذ بها، وعـدم الاغترار وتعليـق الأمر على صفات المغفرة والرحمة؛ فينبغي تحرّي موجباته وتقديمها عند أي عمل.

٢- ينبغـي على العبد التطلـع للدرجات العُلى من القبـول، والترقي في درجاته من حسَن لأحسن؛ فتقوى الله تعالى، وصدق العزيمة، والهمّة في طلب مرضاته؛ تؤدي إلى الحصول على أعلى درجات القبول.

٣- التوسـع في دراسـة أسـاليب الحـث على طلـب القبـول في القرآن، والاستفادة منها في التربية والتعليم، وهي مادة غزيرة في القرآن الكريم، عظيمة الأثر على استقامة الدين والخلق.

٤- لا يعلم العبد أي عمل قُبل منه؛ فينبغي أن يسعى واضعًا نصب عينيه أمورًا منها:

- الإخلاص والمتابعة.
- الإحسان والإتقان.
- التنويع في جميع أبواب الخير، والسعي على النيل من كلٍ بسهم.
- الإكثار من النوافل والازدياد منها قدر الاستطاعة.
- الثبات والاستمرار وعدم الانقطاع.
- ترك السيئات.

٥- ينبغي أن يعيد الإنسانُ النظر في أعماله؛ ليتعرف على ما وافق أشراط القبول، وما بعُد عنها، فيتحرَّى بذلك الصواب، ويستقيم على الجادة.

٦- الحاجة ماسة إلى توعية المسلمين بطرق كسب الثواب، وسبل إحراز القبول، عن طريق دعاة مخلصين يترسّمون منهج الأنبياء في الدعوة، ويحببون العباد في العمل الصالح، فإن مع القبول نصرَ الأمة، ورفعةَ شأنها، وعودة ديار الإسلام إلى الريادة والقيادة.

مجلة تدبر

مجلة تدبر



تقرير عن
برنامج تاج الكرامة بمركز آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

كم هيَ جميلةٌ تِلكَ اللحظاتُ التي يَشعرُ فيها المرءُ بِنشوَةِ نَجَاحِهِ، يَومَ يَرتَقِي مَنَصَةَ التَّتويجِ في حفلِ التَّخرُّجِ البَهِيجِ، فما من لحظةٍ في ذلكَ اليومِ إلا وتُسَجِّلُ لنفسِها أنَّها أسعدُ لحظة، وخصوصًا مع الشعورِ ببلوغِ المَقصَدِ ونوالِ الطموحِ، وارتداءِ تلك القبّعةِ المُربّعةِ وذلك الرداءِ اللطيفِ، وتلك الحزمةِ المبرومةِ التي يَحملُها النَّاجحُ بيدِهِ، فهي شَهادةُ الإثباتِ على اجتيازِهِ مراحلَ الاختبارِ والانطلاقِ إلى عالمِ الحياةِ الجديدةِ.

ليست هذه قصةَ النجاحِ في الدنيا فحسب، بل هي قصةٌ الفوزِ في الآخرةِ..

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَجِيءُ صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ، وَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ، وَتُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً»**(١).

فصاحبُ القرآن سيُلَبّسُ تاجَ الكرامة بدلًا عن قبعة النجاح، وسيُلَبسُ حُلَّةَ الكرامةِ بدلًا من رداءِ التَّخرُّجِ، وسينالُ شهادةَ الرضا، ويُمسِكُ كِتَابَهُ بِيَدَيهِ، فيقولُ: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ بدلًا من تلك الرزمةِ المبرومةِ التي يحملُها أحدُنا يومَ تَخرُّجِهِ.

انطلاقًا من هذا وتيسيرًا على من يرغبُ في صحبةِ القرآنِ، أطلق مركزُ **«آيات»** لتعليمِ القرآن الكريم برنامجَ تاجِ الكرامةِ.

---

(١) رواه الترمذي (٢٩١٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني في «صحيح الترمذي» برقم (٢٣٢٨): حسن.

برنامجُ تاجِ الكرامة

يهدف لصناعة شـخصيّة مصبوغة بالقرآن، تتخذ القرآنَ صاحبًا صادقًا، تصاحبُـهُ في كلِّ أحوالِها وأوقاتِها، في خلواتها وسَـكناتِها، ليُصاحبها القرآنُ في حياتِها ومماتِها، في قبرِها ومبعثِها، في دنياها وآخرتِها.

الأهداف التفصيليّة للبرنامج:

- ✓ رفعُ قيمة القرآن في النفوسِ، واستشعارُ عظمته.
- ✓ إزالةُ الحواجزِ بين الناسِ والقرآنِ.
- ✓ بَثُّ الوعيِ من خلالِ الوحي.
- ✓ تصحيحُ التِّلاوةِ.
- ✓ تعلّم السُبل الميسِّرة لفهم كتاب الله.
- ✓ إحياءُ سُنَّةِ التَّدارُسِ، وبناءُ مهاراتِ الـمُدارسةِ القُرآنيةِ.
- ✓ تكوينُ ملَكَةِ التدبّر.
- ✓ بناء منهج للتزكية بالقرآنِ.

ينقسمُ البرنامجُ إلى عدةِ مستوياتٍ، استنبطت من قوله تعالى:

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

المستوى الأول: «التهيئة الإيمانية».

وهدفهُ التشويقُ لمصاحبة القرآنِ، ورفعُ قيمتِه في النفوسِ، وتوليد الدافع للإقبال على مصاحبة القرآن.

ويشتمل على مجموعة من المحاضرات، منها:

- مشروع لا يعرف الخسران «تجارة لن تبور».
- المشوق إلى القرآن «تحبيب النفس إلى القرآن، والارتباط بعلاقة خاصة معه».
- كيف غيَّر القرآن الصحابة رضي الله عنهم؟
- القرآن كتاب التغيير «مقارنة بين القرآن وغيره في التشريع والتغيير».
- إنَّ عليه لحلاوة «قوة اللفظ القرآني وبلاغته، وجمال الكلمة القرآنية والأسلوب القرآني».
- من روائع الاستنباطات «استنباطات تبهرك بالقرآن».
- القرآن منطلق تفكيرنا «أثر حضور القرآن في البناء الفكري للمسلم، القرآن والأدلة العقليّة، والقرآن والاستفسارات الكبرى».
- شكاية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه «صور من الهجر المعاصر للقرآن».
- يا ليتني أعطيت القرآن عمري «ألم الفقد».
- كيف تودّد الله لعباده في القرآن؟
- القرآن وجواب سؤال الهوية.
- قراءة القرآن للإنسان.

➢ **المستوى الثاني : «يَتْلُو عَلَيْهِمْ».**

وهدفهُ معاهدةُ القرآنِ قراءةً وحفظًا معَ تصحيحِ التلاوةِ.

ويشتمل على مجموعة من المحاضرات، منها:

- تعاهدوا القرآن «أهمية وجود الوِرد في حياتك».
- الصحابة وتحزيبهم للقرآن.
- ما معك من القرآن؟! «حفظ القرآن لماذا؟ وكيف؟».
- ورتّل القرآن ترتيلًا «مبادئ في التجويد».
- مختصر أخلاق حملة القرآن للآجري.

➢ **المستوى الثالث : «ويعلِّمُهم».**

وهدفهُ تعلُّمُ مبادئِ أصولِ التفسيرِ وَعُلومِ القُرآنِ، ومعرفةُ الطريقِ لبيانِ معنى الآيات.

ويشتمل على مجموعة من المحاضرات، منها:

- أساسيات في أصول التفسير وعلوم القرآن؛ "مضمون متن الركيزة في أصول التفسير".
- مدخل للتعريف بالمصحف الشريف؛ من خلال كتاب الدليل إلى القرآن سؤال وجواب للشيخ عمرو الشرقاوي.
- منهجيّة مقترحة لبيان معاني الآيات.
- القراءة المعاصرة للنص القرآني.
- المنهجيّة في تعلّم مفردات القرآن وجمله؛ المفردة القرآنية في جزء النبأ أنموذج.

- مقاصد أشهَر السور والآيات التي كان يقرؤها النبي ﷺ في يومه، وليلته، وجمعته، مثل سور: الفاتحة، الكهف، ق، السجدة، الإنسان، المُلك، الأعلى، الغاشية، الكافرون، الإخلاص، الفلق، الناس، خواتيم البقرة، وخواتيم آل عمران، آية الكرسي.

المستوى الرابع: «يتدارسونه».

وهدفهُ إحياءُ سُنَّة مجالس التدارس، وتعلم المهاراتِ المستلزمةِ لذلك، مع تكوين ملكةِ التدبّر.

ويشتمل على مجموعة من المحاضرات، منها:

- تكوين ملكة التدبّر «مفاتيح ومهارات».
- مهارات وتطبيقات لعقد حلقات المدارسة القرآنيّة.
- منهجية عملية لمعايشة السور.
- التفسير الموضوعي وأثره في التدبّر.
- حجب الانتفاع عن النص القرآني.

المستوى الخامس: «ويزكّيهم».

وهدفهُ كيفَ نتربى بالقرآنِ؟ والتعرّف على المنهج التربوي القرآني.

ويشتمل على مجموعة من المحاضرات، منها:

- التربية بالقرآن.
- القرآن خير مُربٍ.
- كيف نتربى بالقرآن؟
- التربية السمعيّة.
- القرآن وبناء الإنسان.
- البيوت والأسر القرآنيّة.

تصاحبُ هذهِ المستوياتِ أنشطة إثرائية موجّهة، مثل:

- **كتابة أبحاث:** حول تميّز لغة القرآن على غيرها من اللغات، وأبحاث أخرى يختارها المشارك تحت إشراف إدارة البرنامج.
- تلخيص كتب تتعلق بالتدبّر وعلوم القرآن: ككتاب «**هذه رسالات القرآن**» للشيخ فريد الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكتاب «**لعلهم يتفكرون**» لعبد الله القرشي، و«**الخلاصة في تدبر القرآن**» للدكتور خالد السبت، وغيرها من الكتب.
- تعليقٌ على مُشاهداتٍ، وتدريبات وتطبيقات على ما دُرِس خلال المستويات.
- وجود بث مباشر في كل مستوى للنقاش مع المشاركين، والإجابة عن استفساراتهم، وإضافة بعض المحاضرات المتممة لأهداف المستوى.

لا ينتقل الطالب لمستوى إلا بعد الاختبار حول محاضرات وكتب المستوى الذي قبله.

مما يميز البرنامج أنه:

- يحاضر فيه أكثر من عشرين أستاذًا، وداعية، وطالب علم من المتخصّصين بالدراسات القرآنيّة.
- في متناولِ الجميع.
- متاح مجانًا ودون تكاليف.
- متاحٌ في أي وقتٍ، ومن أيِّ مكان.
- لا يَشترِطُ سنًا معيّنًا، أو شهادةً علميةً، أو مُستوىً ثقافيًّا.
- لا يحتاج لأكثر من خمسين ساعة.

◈ يُسْر الوسيلة؛ لضمان التفاعل الأكثر نشاطًا.

◈ البرنامج يؤهّل المـُـجتازَ له للالتحاق ببرنامج: **أحسن الحديث**، وهو المسار التطبيقي التفصيلي لما دُرِس.

التعريف بالبرنامج:

يوجد تعريف بالبرنامج هنا داخل هذا الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=aFsQBM1YIiw

جدول البرنامج مفصّلًا [1]

المستوى	المحاضرات
	المرحلة الأولى
(١)	كذلك لنثبّت به فؤادك/ مواعظ القرآن.
	كيف غيّر القرآن الصحابة رضي الله عنهم؟
	أثر القرآن على مَن سمعه.
	يا ليتني أعطيت القرآن عمري.
	ما مشروع عمرك مع القرآن؟ بث مباشر
	المرحلة الثانية
(١)	تجارة لن تبور.
	الكتاب المعجزة.
	إنّ عليه لحلاوة.
	عظمة القرآن.
	إعجاز القرآن في التغيير والتأثير.
	الطريق إلى التغيير بالقرآن.
	كيف تودّد الله لعباده في القرآن؟
	القرآن منطلق التفكير والوعي.
	شكاية الرسول ﷺ لربه.
	دلائل القرآن على حجيّة السنة.
	لغة كتاب ربّي.
	مقاصد القرآن الكبرى الإعجاز التأثيري واستثماره دعويًّا/ بث مباشر

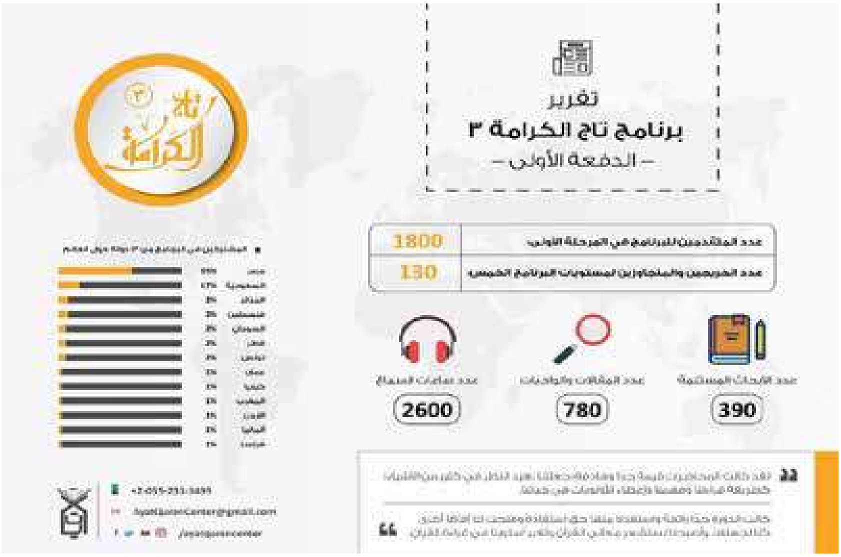
(١) تتغير بعض المواضيع والعناوين مع تنوع الدفعات.

	المستوى الثاني
(٢)	ما معك من القرآن؟!
	تعاهُد القرآن وأهمية الورد.
	آداب حملة القرآن.
	تصحيح التلاوة.
	إجابة القرآن عن الاستفسارات الكبرى.
	مصحفي الشخصي. (مهارات التعامل مع وِردي) بث مباشر
	المستوى الثالث
(٣)	مناهج المفسرين.
	قرآن فسّرته السنة.
	الدليل إلى القرآن.
	منهجيّة مقترحة لبيان معنى الآية.
	تفسير سورة الفاتحة.
	تفسير خواتيم البقرة.
	اللغة المُبهرة.
	كيف نقرأ كتب التفسير؟ كتاب السعدي أنموذج. بث مباشر
	المستوى الرابع
(٤)	مقاصد السور التي تُقرأ يوم الجمعة.
	التفسير الموضوعي وأثره في التدبّر.
	مقاصد السور وأثرها في التدبّر.
	قواعد التدبّر وتطبيقات على قصار المفصّل.
	حُجُب الانتفاع بالنص القرآني.
	منهجية عملية لمعايشة القرآن.
	مهارات التدارس.

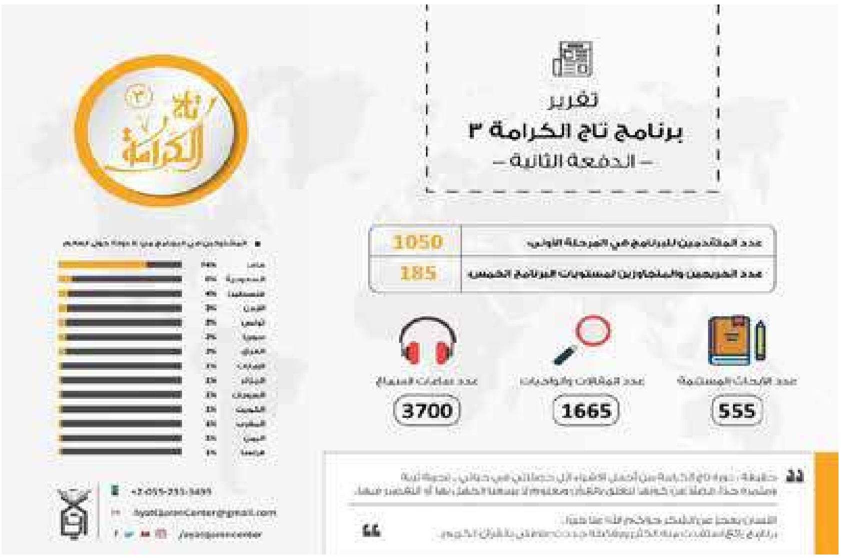
	تكوين ملكة التدبّر.
	الأداء السمعي وأثره في التدبّر.
	مجلس تدارس تطبيقي لسورة الزلزلة. بث مباشر
	المستوى الخامس
(٥)	القرآن مربٍّ.
	التعليق على سورة الإنسان.
	كيف نتربى بالقرآن؟
	القرآن وبناء الإنسان.
	الأسرة القرآنيّة.
	التربية في القرآن.
	البيوت القرآنيّة.
	البيوت القرآنية (مجلس التدارس الأسري). بث مباشر

تقرير الدفعات السابقة

الدفعة الأولى



تقرير الدفعة الثانية



قالوا عن البرنامج

◈ الدكتور محمد الربيعة[١]:

سعدتُ بالمشاركة معكم حول علم من العلوم الأساسيّة في فهم كتاب الله ﷻ وهو علم المقاصد القرآنيّة، نسأل الله أن يأخذ بأيدينا وأيديكم للعلم النافع، والعمل الصالح.

◈ الدكتور مساعد الطيار[٢]:

ما تقومون به في هذا البرنامج عمل عظيم، بل هو من أعظم الأعمال، وأعلى الجهاد في سبيل الله لأنه مرتبط بكتاب الله.

◈ الشيخ مصطفى العدوي[٣]:

امضوا قُدمًا مبتغين وجه الله الكريم، ما زلتم في خيرٍ وبركةٍ وأجرٍ من الله ما دمتم تعلّمون كتاب الله، لا يستوي مَن علّم الناسَ كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ؛ مع مَن علَّم الناسَ لعب كرة القدم، والمسرحيات، والمسلسلات، وفَّقنا الله وإيَّاكم للعمل بكتابه وسنة رسوله ﷺ، وشكر الله لكم وجمعنا وإياكم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويا بشراكم يوم تَلْقون ربكم بما تجدون في صحائفكم من تلاوةٍ وذكرٍ، فإن كانت ألسنتُكم نطقت ليل نهار بكتاب الله؛ فنُوِّرت بذلك الصحائف، ونصعت بذلك القلوب، وارتفعت بذلك الدرجات، وحُطَّت

(١) من مقدمة محاضرة مقاصد السور.

(٢) من مقدمة كلمة «تجارة لن تبور».

(٣) من كلمة مسجلة نصيحة لطلاب البرنامج.

بذلك الخطايا، جمعنا الله وإيَّاكم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وشفَّع فينا وفيكم القرآن الكريم، وجعله حجةً لنا لا علينا.

◈ **الشيخ عبد الله العجيري** (١):

ابتهجت كثيرًا جدًّا عندما اطلعت على البرنامج الطيب النافع.

مشاعر بعض الطلاب والطالبات

◈ **أَمة الرحمن أم زيد:**

كان أقصى أحلامي في تعاملي مع كتاب الله ﷻ أن أُرزق مصاحبته وكنت أظن مصاحبته أي تلاوته، وحفظه، وفهم المعنى من الآيات، فمَنَّ الله ﷻ عليَّ بدخول هذه الدورة المباركة التي أخذت بقلبي لكتاب الله، ساقتني لأعلم أن مصاحبتي لكتاب الله أن أجعله صاحبي حقًّا وأغوص وأتعمّق في كل معانيه وأسراره. كانت هذه الدورة بعد فضل الله ﷻ، ما زاد حبّي وشوقي لآيات الله تلاوة وسماعًا، والتحسّر على ما مضى بعيدًا عنه، وقادتنا لنجعل كتاب الله لنا قائدًا ومربيًّا ومؤنِسًا ومطمئنًا ومثبّتًا.

أسأل الله أن يجزيهم عنّا خير الجزاء ويثقل موازين كل القائمين على البرنامج، ويفتح لهم كل الأبواب لإيصال هذا الفضل العظيم.

◈ **آمنة الذوادي:**

في الختام لا نريد ختامًا، صدقًا عشنا مع البرنامج ونتمنى لو كان دائمًا، نفعتمونا نفعتمونا نفعتمونا كثيرًا كثيرًا، خرجتم بنا إلى نور العلم والفهم. إلى الحياة مع القرآن. جزاكم الله عنا خيرًا كثيرًا، وأحسن الله إليكم ونفع بكم، الحمد لله الذي هدانا لهذا البرنامج. على أمل تكراره مرارًا.

(١) من مقدمة محاضرة القرآن منطلق التفكير والوعي.

جـزى الله بالخيـرات عنّا كل العاملين على هــذا البرنامج، جزى الله عنا مشـايخنا خير الجـزاء، البرنامج ممتاز ممتاز ممتـاز ممتاز، نريـده أن يتواصل أو أن تنظمـوا برنامجًا آخر. لا تقطعوا هذا العمل الطيـب، واصلوا واصلوا واصلوا نحن معكم.

◈ نور الدين محمود:

أستســمحكم عذرًا، فإنــي لا أحســن التعبير ولكن ســأحاول ترجمة ما يجول بداخلى من أحاسـيس تجاه هذا المشـروع المبارك بإذن الله، كنت أظنّ فيمـا مضى أني علـى دراية بطريق القـرآن، فلمّا تعرضت لما عرضه مشـايخنا الفضـلاء -جزاهـم الله عنا خير الجـزاء- أدركت أني لم أكن أعرف شـيئًا عن القـرآن من قبل، وكنـت كالذي خرج من الظلمات إلـى النور، فلطالما قرأت فى التفسـير ولم أدرك أن له مناهج حتى تعلمــت هذا منكم، ولطالما ظننت أن التدبّـر لا يختلـف عن الــمُدارسة، ولم أكن أعرف شـيئًا عن معايشــة القرآن، وكان جديـدًا علـيّ معرفة أنّ للمقاصــد علمًا فيه تصنيفـات. كل هذا -وغيره الكثيـر- تعلّمتــه من البرنامج. لقد فتـح أمامنا آفاقًا عديدة لعلوم شـتى تحتاج عمـرًا على أعمارنا، حتى ندرك بعضها، ولكن سـنبدأ بـإذن الله لعلّنا نلقى الله ونحن على الطريق -نسأل الله ذلك-.

في بعـض الـدروس كنت أشـعر بقـول السـلف: «وإنه لتأتي علـى القلب سـاعات يتراقص القلب فرحًا بذكر الله، فأقول لو أن أهل الجنة فى مثل ما أنا فيه من النعيم إنهم لفي عيشٍ طيّب». جزاكم الله عنّا خير الجزاء ونفع الله بكم، حيث كنتم ولا حرمنا الله وإياكم من شرف صحبة القرآن ولا من شرف الدعوة إليه .

◈ سارة أمين:

(يا ليتني أعطيتُ القرآن عمري)

سيكون شعور كل من سيلتحق بهذه الدورة المباركة هذه الجملة، سيتذوقه كما لم يتذوقه من قبل. لن أتكلّم عن روعة ما في الدورة من محاضرات، فقد تكلّم عنها غيري الكثير، ولكن يكفي أن التربية والمتابعة مستمرتان إلى ما بعد الدورة، وهذا هو الدور المفتقد للدورات التي عن بعد.

الـمُدارسة للسور، والآيات، والتطبيق العملي لما درسناه؛ وجدناه فعلًا بعد انتهاء الدورة.

نعمة أن الإنسان يجد من يُعلّمه ويُتابعة ويحثّه دائمًا ويدفعه للأفضل، هي نعمة تستحق الشكر لله أولًا ثم للقائمين على ذلك.

◈ شيماء إبراهيم:

«أَوَمَن كانَ مَيتًا فَأَحيَيناهُ وَجَعَلنا لَهُ نورًا يَمشي بِهِ فِي النّاسِ» هذا هو احساسي بعد البرنامج، جزاكم الله خيرًا.

◈ هناء محمد:

كنت واحدة ممن تشرّفوا باجتياز هذا البرنامج الرائع الكريم -الدفعة الثانية- ولم أكن قبله قد حصلت على علم شرعي، وكنت متردّدة بسبب الوقت والظروف، لكنّي اكتشفت مع هذا البرنامج، أنني لو لم أكن قد اشتركت به لكنت خسرت الكثير طوال حياتي وندمت كثيرًا.

لأنه برنامج يضع أمامك خطوات ومراحل يرتقي بها المشترك عقلًا وقلبًا، وتعلو روحه بمصاحبة القرآن مع نخبة رائعة من علمائنا وشيوخنا الأفاضل، يقرّبوننا من كلام الله ونعيش في رحابه ونتعلم منه أسلوب الحياة،

ورقي النفس، وحصن القلب، وكفاية العقل، ورجاحة الفكر، كل ذلك بالقرآن فهو دستور حياة.

ومع هذه الدورة تشعر كأنك لم تعايش أبدًا قبلها أو تحيا أو تصاحب القرآن، فهي دورة تضعك على بداية الطريق لفهم ووعي حياتك بالقرآن، فهنيئًا لكل من يشارك بها، دورة مباركة جزى الله عنّا مركز آيات كل خير، وأعانهم على عمل الكثير والكثير من تلك الدورات الرائعة المفيدة القيّمة.

◈ إسراء لطفي:

تلك الدورة أزالت حواجز كثيرة -بفضل الله- كانت تحجب نور القرآن، كنت أقرأ وأحفظ قول الله تعالى على لسان الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾، فلما التحقت أبصرت.

من أفضل ما حضرت من الدورات بل أفضلها على الإطلاق، موضوعها فهم القرآن وثمرتها تزكية الإيمان، ولا أبالغ إن قلت: إنها أولى بالبدء للمبتدئ وأجدر بالتثبيت للمتوسط، ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ وأحقّ بالتخصّص للمتقدم، فهي زادُ المسلم ليس للآخرة فقط بل للدارَيْن، كثيرٌ منّا كان يقرأ القرآن ويحفظه، فلمّا تعلّمنا التدبّر في هذه الدورة كأنما أشرقت حياتنا بنور كلام ربنا. جزى الله القائمين خيرًا ووفّق المسلمين لتلك للدورة الطيّبة المباركة.

◈ هاجر علي:

كنت أسمع عمّن يعيشون بالقرآن فيصير حياتهم، فأتعجّب وأظنها معجزة لا يحقّقها إلا الأفذاذ، لم أكن أدري أني بهذا البرنامج سأصل إلى سرّ ذاك الأثر الذي يكمن بداخلي، وأتعطّش للقرآن وتعلّمه وإفناء الحياة في سبيله. ذاك الأثر الذي يجعلك تصبر على كل صعاب الدنيا، وتتمنى ألا تموت حتى

تؤتيه حقّه، فتصير من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.. ولم أحزن على شيء بقدر حزني على تقصيري في القرآن؛ بعدما ذُقت جماله بفضل الله، ولكن هذا الأثر ينبض بقلبي لينهض بي بعد أن ظننت أن ذلك مستحيل! رب اهدني واهدِ قلبي وعلمني وأكرمني بكرمك، واجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني..

◈ **محمد عادل:**

برنامج «تاج الكرامة» غيّر علاقتي بالقرآن تمامًا، كأن القرآن ينزل من جديد، كأني أول مرة أسمع عن القرآن، وكأني أول مرة أقرأ القرآن، الكلمات، والمعاني، والتدبّرات، والهدايات، والمقاصد، والفوائد.. وغيرها الكثير من الأمور التي لم أكن أعرفها عن القرآن.

يا الله! كم كانت رحلة رائعة مع كلامك وستستمر إن شاء الله، وبعد انتهاء هذه الرحلة نقول الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

◈ **أسماء أحمد:**

جزاكم الله خيرًا، حقًّا البرنامج من أمتع الدورات التى التحقتُ بها طيلة حياتى ولا أتمنى أن ينتهى.

فكرة المستويات رائعة تجعل هناك تشوقًا لما بعده، الأبحاث والدروس.. كل شيء رائع.. وطبعًا تغيَّرت نظرتي تمامًا للقرآن.

◈ **مروة أمين:**

جزاكم الله خيرًا، الحمد لله استفدت كثيرًا من الدورة. أكثر ما يميّز الدورة أنها تميل إلى التطبيق العملي أكثر من كونها دراسة أكاديمية، كذلك كانت تبث معاني إيمانية إلى جانب المعلومات العلمية.. ولا أنسى هنا

الإشادة بالقدر العالي من المرونة الذي تمتع به المشرفون للتيسير علينا.

طاهر المقداد:

لمراحل البرنامج ومحاضراته أثر في الوجدان لا يمحى، كشف المحاضرون فيها عن علمٍ غزير وخبرة واسعة ونحسبهم في ذلك مخلصين، والله حسيبهم. فأظهروا ببراعتهم بعض ما يخفي الكتاب العزيز من دُرر ثمينة؛ فازددنا به معرفة، وله قربًا، وصرنا بشغف ننتظر المقرّر لنستمع ونستمتع وندوّن جديد الملاحظات، ونضع الخطط ونعدّلها للتنفيذ ونتجهز للاختبارات، فنرى في أنفسنا إشراقًا، وفي همتنا نشاطًا، وفي عباداتنا ضياء ما كنا نعهده من قبل، وما ذلك الا بفضل بركة الكتاب الكريم واخلاص القائمين فيما نظن.

أعظم الله أجورهم في الدّارَين على جميل صنائعهم ورفع درجاتهم في عليين إنه أكرم مسؤول.

◈ سارة إبراهيم:

أولًا: بارك الله فيكم ونفع بكم وجعلنا وإياكم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصّته، وجزاكم الله خير الجزاء عن كل ما قدّمتموه.

ثانيًا: لقد استفدنا كثيرًا -بفضل الله- من هذا البرنامج القيّم. فلقد أنرتم بصيرتنا على أعظم كتابٍ على وجه الأرض. كم أحسسنا بقيمة الكتاب الكريم! وكم عنا غافلين عن فضله وعظمته! وكم نحن مقصّرون في التعايش معه! نسأل الله ﷻ أن ينفعنا بما علّمنا ويرزقنا العمل بما تعلّمناه.

◈ د. رولا بدوي:

اللهم بارك.. دورة تدفع بك إلى ثنايا كتاب الله، تعلّمك كيف تستخرج

كنـوزه. تتعرّف إلـى القرآن تدرك كم كنت بعيدًا عنـه.. محاضرات ثرِيّة لنخبة من الشيوخ الأفاضل.. وفقهم الله.

جـزى الله القائميـن على هـذه الدورة خيـر الجزاء.. ووفـق الله كل من اشترك فيها.

ماذا قدّم لكم برنامج تاج الكرامة:

https://www.youtube.com/watch?v=97jNXb6c3WI

https://www.youtube.com/watch?v=l3bVT9iFHG4&feature=youtu.be

للتواصل:

https://www.facebook.com/AyatQuranCenter/

مجلة تدبر

مجلة تدبر



ثالثًا: تقارير المؤتمرات العلمية

مجلة تدبر



تقرير عن

المؤتمر العالمي الخامس للدراسات القرآنية
وتدبر القرآن الكريم في أوروبا عنوان المؤتمر
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ..﴾

المنعقد بمركز التراث الإسـلامي بمدينة مانشستر- بريطانيا في الفترة من

٣١ يونيو إلى ١ يوليو ٢٠١٨ الموافق ١٦-١٧ شوال ١٤٣٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تعريف بالمؤتمر:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

وبعد:

قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

هذا نص قرآني يطلب ممن سمعه أن يجعلوا رسول الله ﷺ قدوة حسنة لهم، يقتدون به في أعمالهم، وأقوالهم، وأخلاقهم، وسلوكهم مع المسلمين وغيرهم، وهو ﷺ الذي كان يدعو ربه فيقول: «**اللهم إني أسألك العدل في الغضب والرضا، وأسألك القصد في الفقر والغنى**»، وكان ﷺ في كل الأحوال على وجه عظيم من الكمال لم يبلغه بشر مثله، فهو خير قدوة يقتدي به الناس عامة، وأما الطامحون لبلوغ الكمال الإنساني في السلوك فلهم في اتِّباعه تأسٍ وعزاء بكل ما قد يمر بالإنسان من أحوال.

وجعل الله الذين آمنوا معه، وصدقوا، وأخلصوا، واستقاموا، أمثلة رائعة يقتدى بها في معظم الفضائل الفردية والاجتماعية، فضربوا لغيرهم المثل العليا في حسن المواطنة، وحسن الجوار والإصلاح وإعمار الأرض علي مر الزمان، ثم إنَّ كلَّ عصر من العصور من بعدهم لا يخلو من وجود طائفة من أمة محمد ﷺ تصلح لأن تكون قدوة حسنة للأفراد والمجتمعات، قَلَّت هذه الطائفة أو كثرت. ولئن انتقل الرسول ﷺ إلى جوار ربه، فإنَّ سيرته التي تحتوي على جزئيات سلوكه ماثلة لنا. وفيما بلغنا من تراجم أصحابه -رضوان الله عليهم- ما يكفي لتجسيد القدوة الحسنة للمجتمع المسلم وغير المسلم-خصوصًا في الغرب- وفي هذا العصر بالذات.

أهمية المؤتمر:

يأتي هـذا المؤتمر امتدادًا لمؤتمرات سـابقة تبنتها الأكاديمية الأوروبية للدراسـات القرآنية التي عنيت بالتعريف بالقرآن وتدبره وتدريسـه وأبحاثه في الغرب، وفي هذا المؤتمر بالذات نعتني بسـيرة الرسـول ﷺ لنبين للمسـلمين وغيرهم كيف كان ﷺ خلقه القرآن.

أهداف المؤتمر :

◈ تدبر آيات القرآن الكريم التي تبين ثناء الله سبحانه علي رسله صلوات الله وسلامه عليهم، واتخاذهم قدوة في الصبر والعلم والعمل.

◈ تدبـر آيـات القـرآن الكريـم التـي تبين ثنـاء الله سـبحانه علـي نبينا محمدﷺ: القدوة في أقواله و أعماله و أخلاقه و سيرته.

◈ دراسـة جوانب من أخلاق رسول الله ﷺ الواردة فيما صحّ من سنته وسيرته، وبيان سموّها، وكونها صورة حيّة للقدوة الحسنة للأمة.

◈ اسـتقصاء الأحاديـث في الكتـب الصحيحة السـتة والسـيرة النبوية الشـريفة، الدّالـة على معالم القـدوة النبوية في كافة مناحي حياتـه العملية؛ مع الخاصَّة والعامَّة والصحابة، في السراء و الضراء، والغضب والرّضى.

محاور المؤتمر:

➢ **المحور الأول** : أهمية القدوة **(في القرآن الكريم والسنة النبوية)** وأثرها الكبير على حياة الفرد والمجتمع.

➢ **المحـور الثاني** :جوانـب القدوة بالنبـي محمد ﷺ مسـتخلصةً من الآيات التي أثنى اللهُ ﷻ عليه فيها.

➢ **المحور الثالث** : النبي محمد ﷺ القدوة في التربية وحسـن المعاشرة ولين الجانب مع أهل بيته.

- **المحور الرابع** : النبي محمد ﷺ القدوة في بناء الإنسانية وحضارتها، وإرساء العدل ونشر السلام.
- **المحور الخامس** : منهج الرسول ﷺ في السلم والحرب.

ورش العمل:

- نماذج وتطبيقات للرسول ﷺ كقدوة في عدله وإحسانه مع أصحابه.
- نماذج وتطبيقات للرسول ﷺ كقدوة في عدله وإحسانه مع أهل بيته.

البحوث المشاركة:

شارك في المؤتمر جمع من الأكاديميين والأساتذة بجامعات من مختلف الدول بعدة أبحاث في نطاق المحاور المذكورة أعلاه منها:

- **جوانب القدوة بالنبي محمد ﷺ في ضوء القرآن الكريم** (د. عبد الرحمن سند راشد الرحيلي).
- **سمات القدوة في قصة مؤمن آل فرعون** (د. فهد بن محمد عبد الله الماجد).
- **طرق التربية النبوية و أساليبها في السنة الشريفة** (د. ميمونة الزدجالية).
- **معالم القدوة في التفسير النبوي للقرآن الكريم بين الأصالة و المنهج** (د. يزيد ع اللطيف ع الكريم الصالح الخليف).
- **منهج النبي ﷺ في التعامل مع زوجاته من خلال سورة التحريم** (ضيف الله الرفاعي الجهني).
- **القواعد الفقهية المستفادة من المنهجية النبوية في التعامل مع غير المسلمين** (د. سناء محمد عبد الرحمن عبده).
- **القبلة رمز الاجتماع في السلم و الحرب** (د. مها حسن الهوساوي).

توصيات المؤتمر:

١ - الاتفاق على وجوب الاقتداء بالنبي ﷺ في أقواله و أعماله و منهج حياته.

٢ - نشر سيرة الرسول ﷺ و ترجمتها و التعريف بها لعموم الناس والمسلمين -خاصة- في الغرب.

٣ - وجوب التصدي للشبهات المثارة حول سيرة الرسول ﷺ ودحض هذه الافتراءات باستخدام البحوث و الدراسات العلمية الموثقة بالبرهان.

٤ - وجوب إبراز جوانب القدوة في سيرة النبي ﷺ.

٥ - التأكيد على استخدام المنهج النبوي ومنهج الصحابة -رضوان الله عليهم- في تفسير وتدبر القرآن الكريم.

٦ - التأكيد على المنهج النبوي في التربية، ووجوب نشره بين الناس.

٧ - التأكيد على إتباع المنهج النبوي في التعامل مع غير المسلمين.

٨ - إبراز الجوانب الحضارية و الروحية و العلمية للإسلام و نشرها بين المسلمين في الغرب خاصة و كافة الناس.

٩ - التوصية بعقد المؤتمر العالمي السادس للدراسات القرآنية في مانشستر العام القادم -بإذن الله- و سيتم تحديد عنوانه لاحقًا.

مجلة تدبر



رابعًا: المُلخَّصات باللُّغةِ الإنجليزيَّة

TADABBUR MAGAZINE

Periodical, Scientitic and Arbitral Magazine specializes in arbitration and dissemination studies and searches related to Holy Quran, biannual issued

Number5; Muharram 1440 AH, corresponding to October 2018

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]

TADABBOR MAGAZINE Index:



1658-7642

TADABBUR MAGAZINE

Periodical, Scientitic and Arbitral Magazine specializes in arbitration and dissemination studies and searches related to Holy Quran, biannual issued

Number 5; Muharram 1440 AH, corresponding to October 2018



Tadabbur Magazine

352 P, 17×24 cm

ISBN: 5883/ 1438

Date: 24/6/1438

ISSN : 7642- 1658

مجلة تدبر

Price: (25) Saudi Riyals or equivalent in local currency

The magazine is authorized by the Ministry of Information , Saudi Arabia: 375

Correspondence and Subscriptions

All correspondence and subscriptions should be addressed to the Editor-in-Chief

Info@tadabburmag.sa

+966503072333

@tadabburmag

http://www.tadabburmag.sa

All contributions express their authors' views

Tadabbur Magazine

A reviewed academic periodical dedicated to the review and publication of research and academic studies in the field of promoting the understanding of the Qur'an. It is published twice a year.

The magazine is licensed by the Ministry of Culture and Information, Saudi Arabia.

Mission: To be researchers' first choice for the publication of their research and studies in the field of understanding the Qur'an.

Vision: The magazine will provide an academically reviewed facility for researchers to publish their academic studies in the in-depth understanding of the Qur'an and related areas, observing professional publishing international standards.

Aims:

- Encourage academic studies leading to in-depth understanding of the Qur'an.
- Publish academic research and studies in the field of understanding the Qur'an.
- Ensure inter-communication between academics dedicated to Qur'anic studies and promote exchange of experience.
- Open up new areas of academic studies in the field of in-depth understanding of the Qur'an.

One: Research and studies in the field of in-depth understanding of the Qur'an.

1. The formulation of academic principles applicable to the understanding of the Qur'an.
2. Teaching methods of in-depth understanding the Qur'an.
3. Deduction from the Qur'an.
4. Objectives of the Qur'an.
5. The inimitability of the Qur'an.
6. The superior excellence of the Qur'an style.
7. Qur'anic themes.

Two: Reports of academic meeting and conferences related to the in-depth understanding of the Qur'an.

Three: Summaries of theses of distinction focused on the in-depth study of the Qur'an.

Four: Issues raised by the Editorial Board so as to request essays by specialists in the understanding of the Qur'an.

Consultative Committee

Conditions for Publication

One: material to be published:

The magazine aims to provide a forum for researchers all over the world to publish their academic studies in the area of in-depth understanding of the Qur’an, provided that such research reflects originality and conforms to the ethics and methodology of academic research.

The magazine will publish material that has not been already published in Arabic, in any of the following areas:

- Original research
- Academic debate
- Summaries of academic theses of distinction
- Reports of academic seminars and conferences.

Two: Format guidelines

1. Studies must not be more than 50 pages or less than 25 pages, A4, including abstracts in Arabic and English, as well as a bibliography.
2. Two centimetres margins should be left on all four sides of the page, with single spacing between the lines.
3. For Arabic, the font traditional arabic should be used, size 16 for the research itself, 12 for footnotes and the abstract, and 11 for figures and tables.
4. For English, Times New Roman should be used, size 12, and size 10 for the footnotes, abstract, figures and tables.

5. Qur'anic verses cited should be written as in the electronic copy published by King Fahd Complex for the Publication of the Qur'an, size 14, not bold.

6. Footnotes should be page by page, with separate numbers for each page. Footnotes should be automatically, not manually, entered.

7. Every submitted contribution should be accompanied by the following details in both Arabic and English: The title; the author with his or her biodata; the author's contact details; themes of his or her previous research.

8. The abstract should not exceed 250 words, and should include: the theme of the contribution, its aims, methodology, main findings and recommendations. Special attention should be given to the writing of abstracts.

9. Every abstract in Arabic and English should give at the end no more than six key words that clearly identify the topic and the main issues it addresses.

10. Contributions must be free of grammatical mistakes.

Structure of contributions

Submitted contributions should be structured according to the requirements of academic research, in the following order:

1. The introduction should define the subject matter, its limits, objectives, methodology, strategy and plan.
2. Literature review, if any, and what the submitted research adds.
3. The submitted research should address certain inter-related aspects, in accordance with the research plan.
4. Each aspect should address a particular topic that forms a part of the overall theme of the research.
5. The submitted research should be written in proper academic style, free of grammatical mistakes, and with accurate citations.
6. A proper conclusion should be added, which includes the main findings and recommendations.
7. Footnotes citing works of reference should follow the proper standard used in Islamic and Arabic language research: "The work; the author; volume; page". E.g. *Lisan al-Arab*; Ibn Manzur; 2/233. Quoted Qur'anic verses should be followed in the main text by the name of the Qur'anic surah and the number of the verse. E.g. (Women: 55)
8. References should be added at the end of the research according to the following system:

i. If the reference work is a book: the title; the author's surname; the author's first name(s); the name of the editor, if any; the edition number, city of publication, the publisher, year of publication. E.g. *Al-Jami' al-Sahih*; al-Tirmidhi, Abu Isa Muhammad ibn Isa; edited by Ahmad Muhammad Shakir, et al; 2nd edition, Beirut; Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, 2004.

ii. If the reference work is an unpublished dissertation: the title of the dissertation; the author's surname; the author's first name(s); the degree for which it is submitted (Masters or Doctorate); the country; the faculty; the university; year of submission. E.g. *Ya'qub ibn Shaybah al-Sadusi: Atharuh wa Minhajuh fi al-Jarh wal-Ta'dil*; Matiri al-, Ali ibn Abdullah; M.A. Saudi Arabia; Faculty of Education; King Saud University; 1418 AH.

iii. If the reference work is an essay published in a periodical: the title; the author's surname; the author's first name(s); the name of the periodical; place of publication; volume and number; year of publication; pages in the periodical x-xx. E.g. *Imam 'Affan ibn Muslim al-Saffar wa Minhajuh fi al-Talaqqi wal-Ada' wal-Naqd*; Matiri al-, Ali ibn Abdullah; Majallat Jami'at al-Qasim [Al-Qasim University Magazine]; Islamic Studies Section; al-Qasim. Vol. 3, No. 1; 1431 AH; pp. 35-85.

iv. Certain abbreviations should be used where entries are unavailable. These are:

n.p. where the publisher is not mentioned

n.e. where the edition is not mentioned

n.d. where the date of publication is not mentioned.

- To submit a contribution through the magazine's website or by post implies that the author confirms that the research was not published anywhere else and is not, and will not be, submitted for publication elsewhere until it has been peer-reviewed by the magazine.

- The Editorial Board has the right to decide, on initial reading, whether it should be sent for review or rejected.
- The author is entitled to receive summaries of the reports of the reviewers so as to make the necessary amendments and to respond to any points that he or she finds unacceptable. The Editorial Board has the final say with regard to any ensuing dispute between the author and the reviewers.
- Authors will receive a letter to inform them whether their contributions have been accepted for publication in the magazine or a letter of apology if the contribution is rejected.
- Authors may publish their research that are published in the magazine after six months of the date of the magazine, but in any future publication, they must mention its publication in the magazine.
- Submission of a contribution through the magazine website or its email constitutes acceptance by the author of the magazine's conditions for publication. The Editorial Board determines the priorities of research publication.
- Views expressed in the published contributions reflect the views of the authors, and they are not necessarily shared by the magazine.

- The magazine adopts the University of Chicago referencing system in citing foreign sources.
- The author of a published contribution is given five copies of the magazine number in which his or her research is published.

No. (1)

The Elicited Subtleties from the verse: “Allah and His angels send blessings on the Prophet” Demonstrative Study

Prof.Ahmed Moath ElwanHaqi Al Elwani
Prof. aisha Ahmed Moath ElwanHaqi Al Elwani
Professor of Creed and Contemporary Doctrines, Al-Zahra University in Gaziantep, Turkey.

Abstract

This research explains the verse: “Allah and His angels send blessings on the Prophet”. The researcher divided the research to an introduction, preface and six chapters.

Introduction: The researcher mentioned the reason behind the writing of the research; because serving the prophet Mohammed is of the most important duties, as previous studies, curriculum, and research plan stated.

Preface: The researcher defined prayer upon the prophet linguistically and idiomatically.

The first chapter: The semantic sides in the verse: The researcher demonstrated the semantic sides, which scientists derived from the verse.

The second chapter: How to pray upon the Prophet and its religious judgment: The researcher showed that the way of the prayer upon him came in firm ways and it has been mentioned in the firm hadiths. He mentioned that most scholars have said that praying upon the Prophet is obligatory, and then they differed in its obligation positions.

Religious judgment on uttering the peace on the Prophet: The researcher said that the religious judgment on uttering the peace on the Prophet rises to the degree of praying upon him to the obligation in some positions

The third chapter: The judgment of over-praying upon the Prophet (pbuh): The researcher pointed out that the verse refers to over-praying upon the Prophet (pbuh), but there is no clear text that states the limit of praying, as the verse did not refer to situations of prayer upon him, and this is not determined by time but correct for all times.

The fourth chapter: The wisdom of praying upon the Prophet. The researcher mentioned the opinions of scholars (may Allah have mercy on them) in the wisdom of Allah's command to his faithful worshipers to pray upon him.

The fifth chapter: The subtleties that have been derived from the verse: Scientists elicited several findings from the verse, and the verse indicates a great consideration for the prophet (PBUH).

The sixth chapter: The context of the verse: The researcher mentioned the context of the verse in Surah Al-Ahzab.

Conclusion: The researcher mentioned the most important findings.

No. (2)

"Dr. Farid Al-Ansari's Curriculum in Studying the Qur'an and contemplating its verses"

Abd El-haleem Mostafa Balghiti

Professor of Islamic education in secondary education in Morocco.

Abstract

Contemplating the verses of the Holy Quran and its wording only happens after studying them and of what is proved by the correct evidence and the explicit rules that few guided interpreters of this nation followed as it was described by the Allah (SWT).

This Research which is entitled: "Dr. Farid Al-Ansari's Curriculum in Studying the Qur'an and contemplating its verses" to clarify and explain the project of the late Dr. Farid Al Ansari in studying and contemplating its facts and its messages and contributing in the establishment of a project to found the contemplating theory of the Holy Quran in sight of getting the explicit to regular rules of contemplation and studying for the verses of the Holy Quran and a getting a control for this process putting the Verses of Allah away of defect, venality and new ideas in defect explanation.

The scientific curriculum which helped me in my research was a descriptive curriculum. The scientific information

came as it is in reality. I presented it tidily according to the curriculum and I followed the analysis method - when it is needed -.

At the end of this research one of the important results is that: linking the Islamic nation to the Holy Quran comes from establishing Quran lessons according to Dr. Al-Ansari's approach. It is not intended in these lessons to be for explanation of the Holy Quran but also for the contemplation, speculation and precognition.

The research concludes to invite the individuals and the associations to the disposition in the origin of explanation, its rules and its curriculum then thinking hard to establish the project of contemplation.

Key words:

Quran lessons – Farid Al-Ansari – Examining curriculum - speculation – precognition – Holy Verses – The curriculum guidance.

No. (3)

Rewards depend on the kind of deed in Al-Masad Surah

Dr. Ali Abd- Allah Hammad Al sakaker

Doctor of Quran Tafseer, Quran Science and Islamic Studies Department-Islamic University-madina

Abstract

This is a research relates to one of the objective Tafseer topics. It clarifies for the reader and the contemplator the extent of emergence for this topic in the verses of the Holy Quran and how Allah affirms the principle of justice. He judged that the human will be rewarded with the kind of deeds. And that base of contemplation positions in the Holy Quran. I have concluded through my research that the evidence on the base of (Rewards depend on the kind of deed) could be a phenomenon of a clear evidence. It also could be embedded and extracted from the contemplation of Allah's verses or by studying Tafseer books as in Al-Masad Surah which is one of the most shortened Surahs in which this concept emerges.

In this way, I made this surah the focus of my study for this important topic. This surah is enriched with this concept. We can elicit from every verse and sometimes in every single word as (perish) (flame) (her neck) – the rule of Rewards

depend on the kind of deed. Abu Lahab – the uncle of the prophet– was the core of this surah and the reason Allah descended it. The surah presented his and his wife's enmity to the prophet (peace be upon him). It showed that they will be rewarded of the same kind of enmity they gave to the prophet (peace be upon him). After I finished of the research, I recommended whoever cares for this art to research more and more and show its images and details. They should compare this rule to the other similar rules like: "Treatment with antagonistic intention" in their objective studies. I recommend widening studying this topic to get the benefit of it in delivering speeches ,essays and sermons.

Key words:

Rewards depend on the kind of deed -Surah Al-Masad – contemplation– The Holy Quran.

No. (4)

The phenomenon of rebellion and its treatment in the Holy Quran.

Dr.. Mohamed Mo’men Mohamed Bamo’men.

Head of Tafseer Department at the Higher College of the Holy Quran - University of the Holy Quran and Islamic Sciences - Hadramout Valley Branch – Yemen

Abstract

Objectives:

One of the most prominent characteristics of the Holy Quran is its comprehensiveness to all fields of life, and its validity for every time and place, and this property made it a unique approach that humanity lacks to organize their lives and solve their problems no matter how time goes on. One of the most important issues that the Quran has warned of, and put the effective treatment for is (the phenomenon of rebellion), that nations suffered from - in old times and recently – and it had a bad impact on individuals and societies.

There is no doubt that taking on how Quran deals with it, contributes directly to the treatment and elimination of it, especially in our time, and in here lies the importance of the subject.

Research Methodology:

This research came to highlight the attention of the Quran to this phenomenon, through an introduction, three chapters, and a conclusion, in which the research dealt with the definition of rebellion, its types, the most important reasons, and how to treat it.

The research reviews the most important results, including:

1. The Quran has been interested in this phenomenon a lot and put the beneficial treatment.
2. The phenomenon of rebellion is not a phenomenon born today, but it is as old as the creation.
3. Many educators fall into educational errors to treat this phenomenon, because they do not follow the Quran approach in dealing with it.
4. One of the causes of the spread of the phenomenon of rebellion in this time, is being away from the Quran and the lack of contemplation, because if the Quran has been recited, lessons would have been taken from it, which means being away from this phenomenon.
5. The danger of this phenomenon is not limited to the rebels, but the entire communities and groups, and this calls for the unity of all to fight this phenomenon.

Recommendation: I recommend researchers and students to study this subject in a scientific research, and give it more rooting and editing to disseminate benefit.

Key words:

Rebellion, meaning, reasons, types, treatment - the Quran...

Table of Contents